دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

عيد مبارك سعيد
وعمر مديد



ذكرى عيد الشباب المجيد



دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957 م

التحرير:
الهاتف: 623.60

الإدارة و التوزيع: 636.93 - 627.03 - 627.04 - 608.10

✱

الاشتراكات: في المملكة المغربية: 70 درهما
في العالم: 80 درهما

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

● المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي كاتبيها ولا تلزم المجلة أو الوزارة التي تصدرها ●

تهنئة

في هذه الأيام السعيدة تحل الذكرى الثامنة والخمسون لميلاد أمير المومنين سبط النبوة جلالة الملك الحسن الثاني، أعز الله أمره، ونصر جنده، وأطال بقاءه وكلأه برعايته.

ولهذه المناسبة المجيدة، يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أن تتقدم إلى حضرة أمير المومنين حامي حمى الملة والدين، جلالة الملك الحسن الثاني بأزكى الأماني وأطيب التهاني، داعية لجلالته بالصحة والهناء وطول العمر، حتى يحقق لشعبه الوفي المتعلق بأهداب عرشه ما يصبو إليه من تقدم وازدهار وعزة وسؤدد، وأن يحفظه للأمة الإسلامية ذخرا وملاذا، وأن يقر عين جلالته بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه الأمير السعيد المولى الرشيد، وسائر أفراد الأسرة العلوية الشريفة. إنه على كل شئ قدير وبالإجابة جدير.

دعوة الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

إفتتاحية العدد:

عيد الشباب عيد الأمل

بقلم الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الأمل دائما أكبر من النافذة التي تطل عليه، وأكبر من العين التي تنظر إليه، بل أكبر من الإنسان نفسه، إنه الأفق الذي يلف البحر والسماء التي كلما زدت فيها صعوداً زادت ارتفاعاً.

وهو من الحقوق الطبيعية التي تولد مع الإنسان، ومن الخصائص التي ركبها الله فيه للترويح على نفسه والتأنيس لقلبه.

والأمل طاقة تدفع الإنسان وتجره وتصعد به وتضغط عليه وبالتالي تحركه.

وكلما اتسعت مدارك الإنسان كلما كبرت آمالـه وقويت حركته، ولذلك كانت آمال الشعوب المتخلفة قصيرة وحركتهـا ضعيفـة وتقـدمها بطيئاً، لضعف المـدارك المحركـة لآمـالهـا والمضيئة لأفق أحلامها.

فـالعنـايـة برفع مـدارك الشعوب وتعليمهـا وتثقيفهـا نور يكشف غياهب الآمال ويشع في أرجائها، فترى العين أنحاءها ومسالكهـا، وينشأ العزم على اقتحـامهـا وامتلاكهـا، ويحـدث التقدم والنماء والازدهار والرخاء.

☆ ☆ ☆

ونحن في غمرة عيد الشبـاب وبحبوحـة أفراحـه، تصلنـا مع الزغـاريـد والألحـان فرحـة الشعب بقرارات جلالـة الملـك الحسن الثاني.

1) إلغاء شهادة الباكلوريا نهائيا.

2) إتاحة الفرصة للراسبين في الدورة الأولى.

3) بناء عشرة معاهد تقنية عليا سنوياً وإلى غايـة سنـة ألفين.

4) جعل التعليم ميداناً للبحث المستمر.

5) تطبيق التفكير الجهوي واللامركزيـة الجهويـة على التعليم.

إنها قرارات الأمل، حققت أمل الشعب في جلالة الملك وستحقق أمل جلالة الملك في شباب شعبه، وعيد الشباب عيد الأمل.

أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني يقول في اختتام الدروس الحسنية الرمضانية:

• وجدت في نفسي وذلك قبل البلوغ الشرعي ميولا عظيمة إلى علم الحديث

ترأس أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني بمسجد القصر الملكي العامر بعاصمة ملكه السعيدة حفل إحياء ليلة القدر المباركة.
وبعد أن أدى جلالته صلاة العشاء والتراويح، وبعد أن استمع إلى ختم صحيح البخاري الذي تختتم به سلسله الدروس الحسنية الرمضانية، توجه بهذه الكلمة السامية إلى السادة العلماء :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السادة العلماء

إننا نشكركم على المجهود الذي قمتم به، سواء أمامنا تلقون الدروس الحسنية أو في مساجد المملكة كلها، وأنتم تفسرون كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله المصطفى الكريم ﷺ.

وإننا قد استفدنا كثيرا مما سمعناه وذلك على اختلاف المواضيع التي طرقت، وعلى اختلاف المناهج التي اتبعت.

إننا ذكرنا سادتنا العلماء والأساتذة المحترمين بالتقاليد المرعية في هذا الباب، والتي فتحنا عليها أعيننا، ألا وهو أن صحيح البخاري كان يختم في آخر رمضان بعد ثلاثة أشهر من التدارس كل سنة.

فتعقد مجالس برئاسة السلطان أو الملك كل عشية، وطيلة الأشهر الثلاثة كانت الدروس والمناقشات تروج أمام العلماء.

وقد حضرت خلال نقاشات حادة جدا حينذاك. ومن ثم وجدت في نفسي وذلك قبل البلوغ الشرعي، ميولا عظيمة إلى علم الحديث لأن هذا العلم يلم بجميع أنواع المعرفة الشيقة التي يتطلع لها أو إليها كل ذي فكر يريد أن يزيد في معلوماته حقبة بعد حقبة.

فلذا طلبت منكم ـ معالي العلماء ـ أن تسيروا على نهج أسلافكم ومن سبقكم وأساتذتكم ومشايخكم الذين لا زلنا نذكر منهم ومعظمهم بالخير والرحمة والبركة، أن تسيروا على نهجهم في السنة المقبلة.

فلست هنا في مقام من ينصب نفسه لا عالما ولا أستاذا، ولكن لكل منصت له حق النقد البناء.



من المآثر الخالدة في العهد الحسني الزاهر دار الحديث الحسنية

حينما كنا نصلي التراويح جاءت سورة الضحى مثلا وفيها آية ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾، يقول العلماء : إنه حينما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ قال : ياربي كيف أرضى وواحد من أمتي في النار ؟

فيمكن مثلا انطلاقا من حديث الشفاعة وربطه بآية الكرسي : «**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**».

وربطه بالآية : ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾.

وربطه بآيات الأمل، وانا اعتقدها آية الأمل، والأمل هو الركن الأساسي لكل دين : ﴿**قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جمعيا**﴾. فجعلها نكرة مطلقة للزمان والمكان.

هذا مثال والأمثلة كثيرة، زيادة على ما في هذه الطريقة من فوائد جلى يمكننا أن نتعرف بمناسبتها على البيئة التي كان يعيش فيها النبي ﷺ، كيف كان يعامل أصحابه، كيف كان يعامل حتى أعداءه وخصومه الذين

• ما وضعت دار الحديث إلا لحفظ الحديث وطرقه والتطرق إليه كما يجب.

جاؤوا يطلبونه العفو ؟ كيف كان يعامل السائل في العلم، كيف كان الصحابة يتعاملون بعضهم مع بعض، بحيث تمكن هذا الشباب الذي نظرا للامتحانات التي ستضيق من وقته، ونظرا لتشعب الشعب وكثرتها التي تطلب منه أن يتخصص في الحين في ناحية من نواحي العلم والمعرفة كان لهذا الشباب أن يعطي لدينه القيمة اللازمة حيث أنه نشأ في بيئة سليمة طاهرة كان يدنسها الشرك ولكن كانت كذلك تعرف من الخصائل الحميدة رغم جاهليتها الجهلاء فكانت تحترم الأشهر الحرم وكانت لا تقاتل في مكة، وكانت وكانت وكانت... وكان الضيف ضيفا، وكان الحليف حليفا، وكان التسامح تسامحا نهائيا قاطعا..

فرجائي منكم معالي العلماء والمشايخ أن تبنوا دروسكم المقبلة في السنة المقبلة إن شاء الله على المنهاج.

وخصيصا الذين يتابعون دروسهم أو دراستهم في دار الحديث الحسنية فمع الأسف منذ ثلاث سنين أو أربع سنوات لم أر اسم خريج واحد من دار الحديث أتى ليلقي الدرس أمامنا، وما وضعت دار الحديث إلا لحفظ الحديث وطرقه والتطرق إليه كما يجب.

نحن في ليلة القدر وهذا الكلام ليس لوما ولا مؤاخذة ولكن هو تشجيع لخريجي دار الحديث **«وأما بنعمة ربك فحدث»** على الأقل أن نرى غرسنا يانعا ومبشرا بالخير.

فعيدكم مبارك سعيد وجزاكم الله على ما أفدتمونا به واستفدنا منه والسلام عليكم ورحمة الله.



من النادر في الكتابة عن القادة السياسيين أن يستطيع الكاتب الذي توخى الموضوعية اكتشاف ما يعتبر الخط المستقيم في تفكير الشخصية التي يؤرخ لها أو يدرس جانبا من جوانب سلوكها، بمعنى أنه يصعب عليه اكتشاف الثوابت الفكرية وسط متغيرات الواقع.

وأمام عجزه الذي يعزى في الغالب إلى غياب المبادئ في فكر تلك الشخصية، يعلن أن عالم السياسة ليس سوى عالم المتغيرات والمواقف المتحولة حسب الظروف والأحوال. وتكون النتيجة في ضوء هذا المنطق «أن السياسة لا مبادئ لها».

وإذا كان معظم القادة السياسيين والحاكمين يؤكدون بسلوكهم هذه القاعدة فإن فئة قليلة منهم تمثل الاستثناء من تلك القاعدة، وهي الفئة التي تمارس السياسة والحكم على أساس تحكيم المبادئ في مواقفها، أي تحكيم الثوابت في المتغيرات، أو على الأقل إعطاء الثوابت اعتبارها في كل لحظة من لحظات الاختيار بين السياسة العاجلة والسياسة العقلانية ذات المرمى البعيد.

هناك تمايز بين فئتين من رجال الحكم في التاريخ القديم والحديث على حد سواء. وهو تمايز لم ينشأ من الصدفة، ولا يقال فيه ما يقال عن الفرق بين الموهوبين وغير الموهوبين في كل فن من الفنون، إنما هو فرق ناشئ في نظري عن وجود شروط أو غيابها في شخصية الحاكم، وفي مقدمة هذه الشروط، الوعي بحقيقة التاريخ الوطني والإنساني الذي يتاح لحاكم ولا يتاح لآخر، والوعي بالتاريخ هنا ليس مجرد معرفة بالتاريخ واطلاع على مجرى أحداثه، وإنما هو قدرة على تحديد ثوابته وسط متغيراته، والتحام ضوابطه وسننه من وراء ازدحام أحداثه. الوعي بالتاريخ تفاعل مع المعرفة التاريخية تفاعلا يثمر وعيا واضحا بواقع الإنسان وواقع المجتمع الإنساني في قوانيه التي ينضبط بها، وإن كان من المألوف عند عامة الناس أنهم لا يعطون المعرفة ما تستحق من الاعتبار في المجال السياسي. بل إن المعرفة عندهم هي آخر ما يمكن التفكير فيه بالنسبة لمؤهلات رجل السياسة أو رجل الحكم، لأنهم يجعلونها في مقابل السلوك الدوغمائي، أو يجعلونها في مقابل النظرة الواقعية، وهكذا يصنفون مجموعة من المؤهلات السياسية وكأنها نقيض للمؤهلات الثقافية، ولا أحتاج إلى التدليل على كون هذا التفكير هو من مظاهر التخلف. وذلك لأن المعرفة التي نعنيها ونطلبها في رجل السياسة هي الوعي بالتاريخ الإنساني وعيا يحملنا على المساهمة البناءة فيه.

وقد كانت الثقافة بهذا الاعتبار من مقومات (السياسة الشرعية) في الإسلام، فقده اعتبر المفكرون المسلمون من

ذوي الفكر السياسي، كالماوردي وابن خلدون أن العلم شرط من شروط الإمام أو خليفة الرسول أو في أمير المؤمنين، وكانوا يقصدون بالعلم العلم المؤدي إلى الاجتهاد. ولا يؤدي العلم إلى الاجتهاد إلا إذا تجاوز مستوى التقليد، وتفتحت فيه مدارك العقل. فوقف على مناط الأحكام ومقاصد الشريعة. وهم يضيفون إلى هذا الشرط شرطا آخر، وهو الرأي المفضي إلى سياسة الرعية، وتدبير المصالح. وهذا الشرط لا يضيف جديدا سوى تأكيد ثمرة الثقافة الصحيحة. لأن الثقافة الصحيحة لا تعتبر كذلك إلا إذا أنشأت لصاحبها هذا الرأي ومكنته من التصرف بما ينبغي في كل موقف من المواقف.

الثقافة بهذا المعنى كانت شرطا من شروط الحاكم في الفقه السياسي الإسلامي. وهي إن كانت فرض كفاية بالنسبة للمحكومين فإنها فرض عين بالنسبة للحاكمين. ذلك أن مزية الثقافة في شخصية الحاكم أنها تبصره بقوانين الحياة والاجتماع، بينما هي بالنسبة لغيره إنما تكمل له ما ينقصه، ولذلك فالثقافة في شخصية الحاكم أفضل منها في كل شخص عداه، إن لم أقل إنها بالنسبة للحاكم أنفع، لأنها تتجاوز شخصيته إلى غيره، فالمجتمع بقيادة الحاكم المثقف يصبح محمولا على الخطة التي يقرها المنهج الفكري. والمنهج الفكري هو تحديد للاختيار السياسي، وتحديد للبرنامج الذي يحقق ذلك الاختيار، واتجاه قاصد نحو هدف أو نحو جملة أهداف تصب كل الأنشطة والفعاليات الاجتماعية في القنوات المتجهة نحوها.

يتأكد ذلك للمؤرخ حينما يتصدى لكتابة تاريخ عصر من العصور في مجتمع من المجتمعات، فالمؤرخ يجد نفسه في الغالب مع الحاكم المثقف، ملكا كان أو أميرا أو قائدا سياسيا، كأنه مع مسيرة تاريخية مقروءة بوضوح في ضوء أحداث ومواقف متطورة في اتجاه معين. بينما يجد المؤرخ نفسه مع الحاكم غير المثقف مع تاريخ غامض القراءة والفهم، أو مع ممارسة سياسية كأنها لعبة من اللعب التي تتحكم فيها الصدفة، والأهواء، والحسابات الضيقة، والمواقف المتناقضة. ونأخذ تاريخنا الإسلامي من هذه الزاوية سواء من المشرق أو المغرب، فنجد من الخلفاء والملوك من نعتبر تاريخهم تحركا هادفا، ومن نعتبر تاريخهم حركة لولبية تدور حول نفسها.

تلكم هي مزية الثقافة في شخصية الحاكم والقائد السياسي. وقد تكتفي بذاتها فتظهر في السلوك وفي الممارسة الواعيين للحكم، وقد تنضاف إليها مزية ثانية تتمثل في ترجمة الثقافة إلى مواقف واختيارات محددة معبر عنها بوسائل ملموسة تتيح للدارسين والمؤرخين الرجوع إليها والاستظهار بها في تحديد تلك المواقف والسلوكات.

ونحن لا نثبت جديدا عندما نقول إن جلالة الملك الحسن الثاني هو من هذه الفئة الممتازة من الحاكمين والقادة السياسيين. ومن ملوك المغرب الذين يعتبر عصرهم بمثابة خطى ثابتة في مسيرة ممنهجة، نحو أهداف واضحة، فتاريخ ربع قرن في المغرب المعاصر، وفي ظل الحكم الحسني تقفنا على هذا الاستنتاج بدون عناء، فربع قرن الماضي هو مسيرة منطلقة من مبادئ ومستهدفة لأهداف. ولا تكون الحياة السياسية في مجتمع ما بمثابة المسيرة، إلا حين تنطلق من تصور شامل نحو أهداف شاملة، ولا يتأتى ذلك إلا في ضوء وعي بالتاريخ الوطني والشخصية الوطنية بمقوماتها وتراثها والقيم التي تضبط سلوكها. وهذا لا يعني في الأخير سوى حضور الثقافة الشاملة لدى القائد، حضورا يعينه على تبين السبيل الأوفق لمزاج مجتمعه وضوابط سلوكه، وثوابت شخصيته.

يتجلى الوعي بالتاريخ الوطني وبالشخصية الوطنية للمغرب لدى جلالة الملك الحسن الثاني في اختيارات، وإنجازات، ومواقف، منها ما يخص المغرب ومنها ما يعم العالم العربي والإسلامي، ولا يحتاج من يكتب في هذا الموضوع إلى الدلائل والوثائق المثبتة. لأن ما يتوافر من هذه الدلائل والوثائق ما يتيح كتابة تاريخ مفصل، إذ من المعلوم أن لجلالة الملك كتابات وخطبا وندوات وتصريحات تجعل من فكره كتابا مفتوحا، ومن سياسته قيادة واضحة الأهداف.

هذه الاختيارات والإنجازات والمواقف تنطلق من منطلقين.

أولهما : التاريخ الوطني.

وثانيهما : الواقع العالمي والإقليمي.

ويؤكد ذلك جلالة الملك في أكثر من مناسبة، ومما جاء في بعض المناسبات قول جلالته :

«إن المستقبل الذي ما فتئت أصوره لكم، وأنعته بيدي وبعيني وبجميع جوارحي ذلك المستقبل الذي سيجعل من المغرب أحسن مما كان عليه أيام كانت خريطته شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، تلك الخريطة التي لم تخطها لا مطامع الاستعمار ولا إرادة الاستيلاء. ولكنها الخريطة التي خطتها يد الله حينما أراد أن يقلد هذه الأمة، وهذا الشعب، مسؤولية نشر كلمة الله، ونشر الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية. وإذا فالمغرب لا يمكنه أن يتنكر لماضيه، ولكن لا يمكنه أيضا إلا أن يساير العصر ومقتضيات العصر. بل يجب عليه أن يحترم هذا وذاك.

(من كلمة جلالته في عيد الشباب 1984/7/8).

ومما جاء في بعض الخطابات الأخرى قول جلالته متحدثا عن أهم مرجع يرجع إليه المغاربة لتحديد مستقبلهم وحل مشاكلهم :

«لنا في مرآة تاريخنا من العراقة والأصالة والحقائق التاريخية ما يجعل من المغرب بمثابة شيخ غني بالتجارب، وكهل يقوم بممارسة تقويم الأوضاع، التقويم الحق وتحليلها التحليل اللازم، وما يعجله يتخذ القرار عن روية وحكمة، وما يجعل المغرب شعبا شابا له من الإقدام ومن العزيمة، ومن طاقة الابتكار ما يؤهله للقيام بكل عمل جليل».

(من خطاب جلالته في عيد الشباب 1982/7/8).

هذه المرجعية الأساسية التي هي التاريخ الوطني تجعلنا ندرك أن مقومات الفكر الحسني في التعامل مع الواقع الوطني، لأنه ينفذ وعيه من جذوره، ويمضي معه في عروقه ومكوناته وأطواره، فيعي من خلال ذلك مقومات الشخصية المغربية وتطلعاتها.

ولا يسعنا المجال لاستقصاء الدلائل على حضور الوعي بالتاريخ الوطني والإنساني في تحديد المواقف السياسية والاختيارات. وإنما نكتفي ببعض المعالم الكبرى.

ـ فمن تلك الاختيارات أن المغرب عندما تحرر من نير الاستعمار كان بطبيعته يتوق إلى الحرية وإلى الديمقراطية اللتين كافح من أجلهما. ولكنه كان لنفس السبب أيضا مفتقرا أشد ما يكون الافتقار إلى ما يضبط حريته ويعيد إلى نفسه معنى احترام السلطة، ويرسخ في سلوكه التوازن بين الحرية والقانون، وبين الحق والواجب، وبين حرية الذات وحرية الجماعة. فهل ينساق فيما انساقت فيه شعوب من إفريقيا وآسيا يومئذ من الأخذ بالنظام الديكتاتوري تحت شعار نظام الحزب الوحيد، الذي هو النظام القادر ـ في زعمها ـ على تحقيق الفاعلية وحمل الشعوب على إنجاز تطلعاتها الثورية، أم يشق لنفسه طريقا يتلاءم مع تاريخه ومزاجه، ليظل تاريخه مطبوعا بالحرية والديمقراطية ؟

هنا تجلت عبقرية الحسن الثاني في الاختيار الثاني. وهو الاختيار الذي قام على التعددية الحزبية، وعلى النظام الدستوري، وعلى احترام الحريات العامة، ولكن في نطاق القانون. وفي إطار المصلحة العليا للبلاد.

ومن غير ضجة ولا صخب اتجه جلالته نحو هذا الاختيار الذي كان يستجيب لطبيعة الشخصية الوطنية، ووضع دستور 1962 الذي يعكس عبقرية هذا الاختيار السياسي البعيد. في حين نرى أن قيادات سياسية أخرى في بلاد متعددة أخطأت في رؤيتها، وأقحمت شعوبها في متاهات ما تزال تعاني منها إلى اليوم، ورأينا أن أنظمة مطلقة أخرى في آسيا تتراجع أمام ضغط الواقع عن الاستمرار في ذلك النظام، لأنها تتيقن يوما بعد يوم أنه نظام له من المساوئ أكثر مما له من الحسنات. وأنه يعطل من القوى الإنسانية أكثر مما يفيد من تعبئة والتزام.

ـ ومن المنجزات التاريخية الكبرى التي أنجزها الحسن الثاني عن وعي بالمسؤولية، التي يلقيها التاريخ الوطني على كاهل ملوكه وقادته في صيانة وحدة البلاد،

قيام جلالته بهذه المسؤولية في استكمال الوحدة بعد الاستقلال، واستكمال سيادة المغرب على كامل التراب الوطني شماليه وجنوبيه، وتفكيره الدائب في استكمال تلك السيادة بالنسبة لبعض الجيوب التي ما تزال تابعة للاستعمار الإسباني. وقد كانت هذه السياسة الجادة في تحقيق الوحدة الوطنية هي مضمون المسيرة الخضراء التي استرجع بها المغرب صحراءه في الجنوب، ولم تكن مسيرة خضراء إلا لأنها كانت سلمية وواعية، تنطلق من احترام القانون، ومن المطالبة بالحقوق الثابتة، وتؤثر الحوار على العنف، وتؤكد أن الاستمرارية في طلب الحق أكبر دليل على ثبوت ذلك الحق.

وينطلق الوعي التاريخي بالوحدة الوطنية عند الحسن الثاني من واقع تاريخي صهر المغرب بجميع أجزائه وأقاليمه في تلك الوحدة التي ظل حريصا عليها، حارسا لها، مجندا دائما في الذود عنها، مندفعا إلى الرد على كل من يحاول المس بها، وهذه الوحدة الوطنية جعلت تاريخ المغرب يظهر لنا كيف كان قيام دوله المتعاقبة ينطلق تارة من الشمال، وتارة من الصحراء، وتارة من الشرق. فالدوة الإدريسية انطلقت من الشمال، والمرابطون جاءوا من الصحراء، والمرينيون جاءوا من المغرب الشرقي، وهكذا تعاقبت الدول معطية الفرصة لكل إقليم من أقاليم المغرب لكي يظهر غيرته وإيمانه بالوحدة مهما يمكن أن يقال عن عوامل تأسيس تلك الدول من دوافع أخرى، وهذا ما أشار إليه جلالة الملك في خطابه بمناسبة عيد الشباب لسنة 1983. ولابد هنا من إيراد كلمة عميقة المغزى وردت على لسان جلالة الملك في استجواب صحفي أجراه جلالته مع مبعوثي جريدة السياسة الكويتية بتاريخ : 1978/6/17 وذلك حين قال :

«المغرب هو كيان منذ أن فتحه المولى إدريس الأول. وقد وقعت للمولى إدريس الأول، والمولى إدريس الثاني مصائب. وفوجئ بالمنية بكيفية لم تكن منتظرة، ومع ذلك بقي المغرب هو المغرب. المعجزة هي أن يبقى المغرب مغربا، فقط خمسين سنة بعد أن خلق. والعجب ليس أن يبقى مغربا بعد ألف سنة. فالمغرب من الدول التي حباها الله بروح الغيرة وشعور الوحدة الوطنية كما ظهر أيام المسيرة، إن المغاربة في وقت الخطر يشكلون رجلا واحدا، يدا في يد. سواء كان فراغا في الداخل أو خطرا جاء من الخارج، وإنني أعتقد شخصيا - ولله الحمد - أن ما يجري في دمنا نحن المغاربة من حب النظام وتشبث بالاستقرار، وما وضعناه من قوانين دستورية، وما جبلت عليه جميع القوات في هذه البلاد من سياسيين ومدنيين وعسكريين وعلماء وطبقة شعبية كادحة يجعل الشعور الغريزي والبديهي عندهم هو حماية المغرب أولا وقبل كل شيء، وهذا ما وقع عبر التاريخ.

ولو كان المغرب من الدول التي تعيش برجل لما دام هذه المدة الطويلة. فالمغرب ليس دولة تعيش برجل، أو حول رجل. المغرب يعيش حول عبقريته وحول أصالته، وأكثر من ذلك أنه يعيش من غيرته على مواطنته، بحيث إنني مطمئن ومرتاح البال على المغرب، ليس لثلاثين أو أربعين سنة، وإنما إلى أن تقوم الساعة».

- ومن تلك الإنجازات الباهرة القائمة على النظرة العلمية إلى جعل السياسة منهجا للتنمية، سياسة جلالته القائمة على تنمية المغرب تنمية شاملة، تجمع بين تنمية الاقتصاد وتنمية الحضارة وتنمية الثقافة. ولم يتردد جلالته منذ بداية عهد الاستقلال في التركيز على استثمار الطبيعة المغربية وتنمية القدرات الإنسانية بشكل يطرد مع النمو الديمغرافي للمجتمع المغربي، وقد ظل الإصلاح الزراعي واستصلاح الأراضي واستغلال الطاقة المائية وشد الفلاحين إلى الإرض، ورفع مستوى الحياة في البادية، ظل ذلك كله الشغل الشاغل لفكر جلالته، بحيث كان الهاجس الذي يملأ نفسه، ناظرا إلى الأفق البعيد الذي يصبح فيه المغرب أحد مصادر الأمن الغذائي بالنسبة للمنطقة الجغرافية التي يحتلها في العالم. وها نحن نقتطف بواكير هذه السياسة الرشيدة، ونرى بوادرها واضحة ملموسة، وإذا كانت سياسة التنمية تقوم على عنصرين، وهما الأرض والإنسان، فإن عناية الحسن الثاني بالإنسان المغربي واهتمامه بتكوينه

عن طريق المدرسة والجامعة، وعن طريق التكوين المهني، وعن طريق تعميم التعليم، وإثراء الحضارة المغربية، إن عناية جلالته بهذا الجانب من التنمية هو من أبرز مظاهر سياسة التنمية التي نرى ثمارها يانعة، ولا تزداد إلا ازدهارا مع مرور الأيام.

- ومن مظاهر الوعي بالتاريخ الوطني لدى جلالة الملك الحسن الثاني الرؤية الواضحة والبعيدة التي يتمتع بها في تحليل الأحداث ورسم التخطيطات، والتعامل مع الواقع تعاملا حكيما. وهذا ما يتجلى في مواقفه تجاه العديد من قضايا العالم العربي والإسلامي. ومن أمثلة ذلك نظرة جلالته إلى منهج العمل الإسلامي الذي هو أحد مطالب الصحوة الإسلامية التي يعيشها العالم الإسلامي المعاصر، ذلك أن العالم الإسلامي عرف في العقود الأخيرة يقظة دينية جديدة، جاءت نتيجة الضغوط والإحباطات التي عاناها في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وقد تحولت هذه اليقظة إلى تيار يبدو جارفا حينا، وهادئا حينا آخر، وكان على كل قادة العالم الإسلامي أن يتعاملوا مع هذا التيار على أساس تحليل طبيعته وتقييم دوافعه والاعتراف بمشروعيته، وعلى التخطيط لاستثماره لحساب الشعوب الإسلامية. وقد كانت آراء جلالة الملك ومواقفه واضحة بالنسبة للعمل الإسلامي في توجيه تلك الصحوة. ونرجع في استخلاص التصور العام للواقع الإسلامي لدى جلالة الحسن الثاني إلى خطبه السامية في اجتماعات رؤساء المجالس العلمية بالمغرب، أو في المؤتمرات الإسلامية التي ترأسها لنجد فكرا منهجيا واضحا يتعامل مع الواقع ومع التاريخ، والتاريخ ليس إلا واقعا قد مضى، والواقع كذلك ليس إلا تاريخا ينسج نفسه طبقا للسنن الإلهية نفسها، يتحدث جلالة الملك إلى أعضاء المجالس العلمية بتاريخ 14 ربيع الأول 1400. فيشير إلى الغاية التي من أجلها أنشئت هذه المجالس، وإلى النضال الذي يجب أن يخوضه العلماء يوميا من أجل نشر الوعي الديني ونشر الفهم الحقيقي للإسلام. ويؤاخذ العلماء بغيابهم عن الميدان اليومي حتى أصبحوا غرباء عن هذا الواقع، ويقول : «إنكم حضرات العلماء، ولست أدري ولا أريد أن أدري، من هو المسؤول ؟ هل أنتم، أم الإدارة، أم السياسة، أم البرامج ؟ أصبحتم غائبين عن الميدان اليومي في المغرب، بل يمكنني أن أقول : إنكم أصبحتم غرباء ذلك وليس من تلك الغربة التي يقال فيها : «وطوبى للغرباء»، فهذه الغربة نؤدي ثمنها جميعا، كنا أطفالا أو شبابا أو كهولا أو شيوخا. نؤدي ثمنها لأنه أصبح الإسلام وتدريس الإسلام في الجامعات أو في المدارس الثانوية لا يعدو أن يكون دروسا لتعليم نواقض الوضوء ومبطلات الصلاة.

فأين هو تحليل النظام الاقتصادي الاجتماعي والاشتراكي المحض الإسلامي ؟ أين هو تعليم وتلقين الطلبة والتلاميذ على أن الدين قبل كل شيء هو المعاملة ؟ ولا أعني بالمعاملة التحفة أو القضاء. أعني بها حتى المعاملات الدولية، حتى معاملة الشورى في البرلمان، حتى معاملة السلطة مع الرعية، حتى معاملة الرعية مع الأقلية منها، كانت نصرانية أو يهودية، بحيث ما من نقطة نقطة دستورية، سياسية، اقتصادية، واجتماعية إلا ونجد لها الجواب في الإسلام. وحتى إذا لم نجد لها جوابا لا نجد بابا مغلقا أمامنا للتشريع بما يطابق العقيدة والنظام».

إن أسس العمل الإسلامي كما نستنبطها من توجيهات جلالته تعتمد على ما يلي :

1 - إيجاد المؤسسات العلمية والدينية التي تؤطر الجماهير الإسلامية وتنيط مسؤولية التوجيه الديني بالعلماء. ولا تسمح بتاتا بجعل الدين ميدانا للمزايدات التي يستغلها من لهم أهداف سياسية لا علاقة لها بالدين. في هذا الإطار أنشئت المجالس العلمية في كل أقاليم المملكة المغربية لتكون مصدر الفتوى والتوجيه الديني، وحمل الناس على التمسك بأهداب السنة. وملء الفراغ الروحي للجماهير المتطلعة إلى فهم الدين فهما وسطا لا غلو فيه ولا شطط.

2 - الدعوة إلى التضامن الإسلامي، والعمل على جعل وحدة الدين مبدأ ومنهجا لوحدة المبادئ والغايات، وهذا المبدأ يعني التخطيط الإسلامي المحكم. والعمل

المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، ومن شأن تطبيق هذا المبدأ ألا يجعل الأنظمة الإسلامية المختلفة تختلف في توجيه تلك الصحوة، وقد تزج بها في اتجاه يصبح وبالا على شعوب أخرى، وقد استدل جلالة الملك على وجوب هذا الاتجاه الوحدوي في رسالته إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري بقوله تعالى : **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾.**

3 ـ اعتبار اللغة العربية لغة الدين الإسلامي التي تمكن من فهم القرآن والسنة فهما مباشرا من غير وساطة قد تحول إلى كهنوت، كما وقع لبعض البلاد الشرقية الإسلامية، فإشاعة اللغة العربية، وجعلها لغة ثانية ـ على الأقل بالنسبة لتلك الشعوب الشرقية ـ وتعميقها لدى المتعلمين والمثقفين المسلمين سيقوي الصلة بين مصادر العقيدة وبين تراث الإسلام. فينصهرون في مشاعر واحدة ويتقاربون في الرأي والفهم، ويتجاوزون الكثير من الخلافات والتأويلات الفاسدة التي لا يستغلها سوى رجال ينصبون أنفسهم ناطقين رسميين باسم الإسلام، مستغلين سذاجة الجماهير وجهلها بالنصوص الدينية في لغتها الأصلية.

وهكذا تتكامل منهجية العمل الإسلامي في توحيد الخطة، وإنشاء المؤسسات، ودعم اللغة العربية ـ إلى جانب تعميق الإيمان بوسطية الإسلام وسماحته.

وأود أن أختم هذه المقالة عن وعي جلالة الملك بالتاريخ الوطني وتعامله مع التاريخ العام في فهم الواقع الإنساني وسياسته. السياسة المستمدة من طبيعة ثوابته ومتغيراته.

أود أن أختم ذلك بنظرة جلالته إلى الأشياء وسعة أفقه الفكري والثقافي. هذه السعة التي مكنته من رؤية الواقع المغربي في عضويته مع الواقع الإقليمي والعالمي في كثير من الخطب والندوات والتحليلات للأوضاع الوطنية والعالمية.

وليس أدل على ذلك من كلمته المشهورة بأن المغرب شجرة جذورها إفريقيا، وفروعها تمتد من الغرب والشرق. وهذا التشبيه يتضمن كثيرا من الحقائق التاريخية والحضارية.

بل إن هذا التشبيه يحدد في نظري معنى الأصالة ومعنى المعاصرة وكيف تتكاملان.

فالأصالة لا تعني الانسداد أمام المؤثرات الأجنبية المفيدة المثمرة، واللقاح الفكري والحضاري المخصب. بل إنها لا تسمى أصالة إلا وسط التعامل مع أصالات أخرى.

والذات لا تتحدد قوتها إلا وسط التجاذب والصراع مع غيرها. أما حين تكون في حالة السلب فإنها لا تستطيع حتى إدراك نفسها.

فالأصالة هي القدرة على الحوار مع الآخر. وهي القدرة على الأخذ مع الحفاظ على الهوية. والمعاصرة هي هذا الحوار المستمر بين الأنا والآخر.

وقد كانت المعاصرة مع الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط هي التي انتشلت أوروبا من خمودها وجمودها. وها نحن اليوم نرى الغرب يأخذ نفس الدور، يعطي بعد أن أخذ، ويسير في طريق تنمية الفكر البشري بخطى واسعة.

وقد كان المغرب وهو في موقع من الجغرافية العالمية يمكنه من النظر إلى الغرب مثلما يمكنه من النظر إلى المشرق وإلى الجنوب، كان دائما ملتقى الحضارات العابرة أو المجاورة أو المتاخمة، وكان يتأثر بها ويؤثر فيها. ولم يكن جامدا ولا منغلقا ولا مسدودا على ذاته. وإلا لكان قد فقد شخصيته ودوره الحضاري. وبرغم هذا الموقع الذي تتجاذبه فيه الرياح الأربع، ظل محافظا على أصالته وعقيدته وهويته الوطنية والتاريخية ـ يقول جلالة الملك في كتابه : «التحدي» :

«المغرب يشبه شجرة تمتد جذورها المغذية امتدادا عميقا في التراب الإفريقي، وتتنفس بفضل أوراقها التي يقويها النسيم الأوربي.

بيد أن حياة المغرب ليست عمودية الامتداد فحسب، بل هي تمتد كذلك امتدادا أفقيا نحو الشرق الذي نحن مرتبطون معه بالتالد والطارف من الصلات الثقافية، وحتى لو أردنا ـ ونحن لا نريد قطعا ـ فإن من المستحيل علينا قطع هذه الصلات.

إنها روابط الدم والروح، وقد بقيت عبر قرون حية راسخة، إننا ورثة الذين أعادوا إلى الغرب في الماضي حضارة يونانية وأخرى متوسطية كانتا مجهولتين في أوربا.

وعندما أنقذ التراجمة العرب في القرن الثامن إرث الثقافة اليونانية من الضياع، وعندما ظل المفكرون العرب طوال خمسة قرون يعقبون ويعلقون على البحوث اليونانية في حقول الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والحساب والطب، مضيفين إليها ثمرات عبقريتهم وعلمهم الذاتي، فإنهم لم يكونوا واعين أنهم بذلك إنما يحملون مشعل النهضة، مع أن ذلك هو الذي تم عبر إسبانيا وبلاد المتوسط.

إن المغرب يحترز من أن يعيش في الماضي، ولكنه مع ذلك يأخذ من ماضيه العبر الكبيرة والدروس التي تقوده في الحاضر والتي يمكن أن ترسم خطاه في المستقبل».

ثم يختم جلالته تحليل المعطيات الجيوسياسية لهذا الموقع ولذلك التشبيه فيقول :

«هذه إذن هي الشجرة، الشجرة المغربية بكل أوراقها الخضراء، وجذورها الضارية في الأعماق. هذه هي شجرة التحدي التي أصلحنا في ظلها وحرثنا وبذرنا، متآزرين متضامنين، لم تكن هذه المهمة سهلة، ونحن نعرف أن هناك واجبات أخرى تنتظرنا قبل أن نجني الثمار، مهمات أخرى ومتاعب أخرى، ولكن ها هي السنابل قد علت، لننظر إليها بأمل وثقة، وباعتراف كذلك ولنحمد كلنا الله العلي القدير الذي قال في أواخر سورة الفتح : ﴿**ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**﴾.

☆ ☆ ☆

بعد هذه الجولة السريعة في فكر الحسن الثاني يتأكد لنا ما يقوم عليه هذا الفكر من مقومات تمنحه المنهجية والرؤية الواضحة والوعي العميق بسنن التاريخ وسنن الحياة الاجتماعية، وإنها لعناصر ومقومات كافية لإمداد قيادته الحكيمة بكل أسباب التوفيق والسداد لأنها قيادة تساير سنن الحياة وميراث التاريخ الوطني وطموحات شعبنا ورؤيته المستقبلية.

أعاهد الله وأعاهدكم..

للأستاذ أحمد مجيد بن جلون
مستشار قانوني بالديوان الملكي

لم تمض إلا خمسة أيام على ذلك اليوم الرهيب الذي التحق فيه بالرفيق الأعلى محرر البلاد جلالة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، حتى ألقى جلالة ملكنا المحبوب الحسن الثاني العظيم، يوم 15 رمضان 1350 الموافق لثالث مارس 1961، ذلك الخطاب التاريخي الذي أكد فيه حفظه الله على الخصوص :

«وإنني أعاهد الله وأعاهدكم على أن أضطلع بمسؤولياتي، وأؤدي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية، وتقاليدنا القومية العريقة، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا، كما أعاهد الله وأعاهدكم على أن أدافع على حوزة الوطن واستقلاله وسيادته وأحرص على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول.

وسأسعى كل السعي لأحذو حذو جلالة والدي المرحوم في خدمة الشعب ورعاية حقوق أبنائه وحرياتهم ومصالحهم، والمحافظة على المكاسب القومية والعمل لتنميتها، وبذل كل جهد لتحقيق تقدم الأمة وتمهيد سبل النهوض والسعادة والرخاء أمامها».

إنه القسم المولوي الكريم الذي أداه جلالة الملك الحسن الثاني أمام شعبه، والوعد الذي فاه به أدام الله عزه ونصره عندما قبل تحمل المسؤولية العظمى.

وإنه في نفس الوقت لبرنامج للعمل الصالح الذي أخذ على نفسه تحقيقه لصالح شعبه وأفراد أمته.

وإنه كذلك لتصريح لما كان يريده ملك البلاد من رقي للوطن وتقدم لرعيته، ونمو وازدهار لوطنه، وعزة ومناعة لأمة بايعته بشغف والتفت حوله بإيمان وعاطفة، وعزيمة وتجرد، وقلوب ملؤها الشكر والامتنان.

وإنه أيضا لتعبير صادق عما يكنه ـ حفظه الله ـ من محبة واعتزاز بوطن هو أحد أبنائه، يريده أرقى الأوطان وأسمى الدول وأسعد الأمم.

ومرت السنون نسج خلالها ملكنا المقدام وشائج الائتلاف والتضامن، وثوب الرقي والتقدم، وأصنافا من المنجزات، وأنواعا من المشاريع، واسترجع أراضينا المغتصبة، ولقن الدرس النافع، وعلم التعليم الصحيح، وأذكى الطموح، ووجه العزائم، وسهر في مجهود لم يعرف انقطاعا على تحقيق الرغبات الجماعية والمصالح القومية، إلى أن بلغت أمتنا المكانة المرموقة التي تحتلها، وأينعت ملامح المغرب، مغرب الحسن الثاني الكفء المقتدر، أطال الله عمره وخلد في الصالحات ذكره.

إنه مغرب المبادئ : لقد عاهد جلالته على أن يؤدي واجبه طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية.

وبالفعل كانت أعماله ومبادراته وتوجيهاته كلها تنطوي تحت راية الإسلام، وتنساق إلى أسمى القيم. فدستور البلاد الذي حرره جلالته بيمينه يؤكد أن المغرب دولة إسلامية،

وينص على المبادئ الأساسية للبلاد، وهي مبادئ تحافظ على كرامة الفرد، وتصون حقوقه وحرياته، وتنظم حياة المجتمع على أساس المساواة والتضامن الفعال.

أما التعليم فقد أصبح يمتاز بانفتاحه على أجود المناهج وأحدثها، ولكنه أعطى للتعليم الأصيل حظه الوافر من الاهتمام بإنشاء مدارس ومعاهد تؤوي الطلبة الذين يرغبون التخصص في علوم الدراسات الإسلامية، في إطار التوجيهات الملكية السامية. وفي هذا الإطار أصبحت دار الحديث الحسنية منار ثقة وإعجاب، زكت مجهودها بتأهيل علماء أجلاء، ساهرين على أن يكونوا في خدمة المواطن.

إنه مغرب التلاحم : فمنذ أن تسلم جلالة الحسن الثاني مقاليد الحكم واعتلى عرش أجداده المقدسين، ما فتئ الشعب والعرش يعطيان أروع مثال للتفاهم العميق والتقدير الصادق والمحبة المتبادلة، في استقرار تام واستمرار كامل، تبادل الأمة ملكها التوجيه بالتنفيذ، والنصح بالامتثال، والحرص بالوفاء والإخلاص، والمجهود بالمثابرة.

وبفضل هذا التكامل المقدس، أمكن لشعبنا أن يحقق المعجزات، ويكسب الرهان في كل ميدان. ولا أدل على ذلك من الجو السياسي الذي نسقه جلالته فحققه : لقد أصبح المغرب مثالا يقتدى به، وقبلة للديمقراطية الحقة، ذلك النظام الذي يغني الفقير دون أن يكون في حاجة إلى إفقار الغني. وإذا كانت الديمقراطية عقيدة وسلوكا، فإنه يحق للمغرب أن يعتز بديمقراطيته، ذلك أن جلالة الحسن الثاني نمى في شعبه غريزة الديمقراطية بالمبادئ التي دعا إليها حتى آمن بها كل فرد من أفراد أمته، ثم نسق مؤسسات دستورية جعلت الجميع يمارس حقوقه على أحسن جو من الحرية والمساواة والتآخي والتقدير المتبادل. فالمغرب لا يعرف نظام الحزب الوحيد، ولا يخضع في اختيار ممثليه إلى أي توجيه، ولا يسمح بممارسة سيادته إلا لمجموع الأمة.

إنه مغرب النماء : وقد يطول العرض لو أردنا أن نذكر بكل ما أنجزته عزيمة جلالة الحسن الثاني في كل الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعلى كل المستويات. إلا أنه من الممكن أن نرجع بذاكرتنا إلى ما كنا عليه، وأن نقارنه بما أصبح حقيقتنا، فنرى بكل وضوح وجلاء البون الشاسع بين هذا وذاك. لقد ذللنا المستحيل، فكانت المنجزات، وكانت المعجزات، وكانت السدود، وكانت الطرق، وبرزت الأحياء والمدن، وأنجزت التصاميم تتلوها التخطيطات، وأقدمنا على أغرب التجارب فنجحت، واتجه طموحنا إلى توفير أغنى المكاسب فتوفق. وأنبتنا الشمندر وقصب السكر. وبرنا ننتج من البواكر والفواكه ما عزز مردودنا من العملات الصعبة، وخضنا معركة تنمية السياحة، ووجهنا عمالنا إلى الخارج ليعملوا ويعينوا، سفراء السلم، وممثلي الكد، فضربوا أروع مثال للمجهود النافع والعمل الصالح، وطورنا صناعاتنا، اعتبارا بحاجياتنا وبمتطلبات غيرنا، فغزت الأسواق الخارجية حيث عرفت بخاصياتها وانتقيت لجودتها وحسن صنعها ونسبية أثمانها.

إنه مغرب المشروعية : فليس بغريب أن تنص المادة الرابعة من الدستور على أن القانون هو أسمى تعبير عن إرادة الأمة، ويجب على الجميع الامتثال له، وليس للقانون أثر رجعي، ذلك أن المغرب المسلم لم يكن لينساق إلى غير نظام يرتكز على القانون ويستمد عناصر من القانون ويجعل القانون سلاح كل فرد من أفراد الأمة. وما كاد المغرب يسترجع سيادته، حتى وفر جلالة المرحوم الملك محمد الخامس، أسكنه الله فسيح جنانه، لكافة المواطنين القوانين الضرورية لحماية الحياة الفردية، من الممكن أن نذكر من بينها : قانون الحريات العامة الذي صدر يوم 15 نونبر 1958 والذي يتكون من ثلاثة ظهائر شريفة تتعلق بحرية التجمعات العمومية، وحرية تكوين الجمعيات، وحرية الصحافة، وكلها مواضيع تهم الحياة الفردية والجماعية بكيفية حيوية. ولم تمض إلا سنة على هذه المنجزة الضخمة حتى صدر بتاريخ فاتح شعبان 1378 الموافق لعاشر يبراير 1959 قانون المسطرة الجنائية الذي يحتوي على جميع القواعد التي تحمي المواطن في بيته وفي عمله وفي عائلته وفي كرامته، ثم جاء الدستور الذي أكد تشبث المغرب بالمشروعية، وتلته تلك المجموعة التي لا مثيل لها من القوانين التي احتضنتها بلادنا، والتي جعلت من المغرب تلك القلعة المنيعة التي تنقاد لمجرد القانون.

إنه مغرب الوحدة الترابية :

وهل من حاجة إلى تحليل الموضوع ؟ لقد عاش الشعب

المغربي قاطبة المعركة المقدسة التي خاضها العرش منذ استرجاع الكرامة، والملحمة الخالدة التي قادها عاهلنا المفدي جلالة الحسن العظيم لاسترجاع أراضينا السليبة وأقاليمنا المغتصبة. فالاستعمار لم يتنازل عند الإعلان عن الاستقلال إلا عن الأراضي التي كانت تحتلها فرنسا وشمال المملكة الذي كانت تحتله إسبانيا، باستثناء سبتة ومليلية والجزر الجعفرية. لكن إرادة العرش كانت أقوى من عناد المستعمر، وهكذا استرجعنا إقليم طرفاية سنة 1958 وناحية سيدي إفني سنة 1969، وبعد ذلك، وجه جلالة ملكنا العظيم عنايته إلى الصحراء. فأعطى ـ حفظه الله ـ الدليل على تشبثنا بالمبادئ والأخلاق، فرفع الأمر إلى المنتظم الدولي. وراوغت إسبانيا، وساعدها غيرها فلم ينفعهم ذلك في شيء، ثم طلب رأي محكمة العدل الدولية فاعترفت بحق المغرب. وكانت المسيرة الخضراء الخالدة، وكان الخلاص، وعادت الصحراء إلى وطنها الأصلي، ولازال السعي موصولا لتحقيق الوحدة الكاملة.

إنه مغرب الالتزام والوفاء :

جاء في تصدير الدستور : المملكة المغربية جزء من المغرب الكبير، وبصفتها دولة إفريقية، فإنها تجعل من بين أهدافها تحقيق الوحدة الإفريقية. وإدراكا منها بضرورة إدراج عملها في إطار المنتظمات الدولية، فإن المملكة المغربية التي أصبحت عضوا عاملا نشيطا في هذه المنظمات تتعهد بالتزام ما تقتضيه مواثيقها من مبادئ وحقوق وواجبات، كما تؤكد عزمها على مواصلة العمل للمحافظة على السلم والأمن في العالم.

لقد اتخذ المغرب منذ استقلاله تلك المواقف الشجاعة والمسؤولة إلى جانب أصدقائه وإخوانه، دفاعا عن الحق وخدمة للسلم، ومؤازرة لمن يؤثرون المبادئ على المصالح المادية المجردة، فمن نيجريا إلى الجزائر، ومن الجولان إلى سيناء، ما فتئ الجندي المغربي يضحي بروحه فداء للـه وللأخوة الإنسانية. وعندما كثرت مشاكل بعض الدول الشقيقة واستفحلت، سارع المغرب إلى التدخل الدبلوماسي الضروري، سعيا وراء الحل الأنسب. أما فيما يهم علاقاته الخاصة فإنه أصر باستمرار على أن يكون في مستوى التزاماته حتى نال تلك السمعة المرموقة التي جعلت منه المتعامل الوفي الذي لم يعرف عنه قط أنه أخل بواجبه، أو تنكر لوعده.

إنه مغرب الأصالة.

إنه مغرب الشباب.

إنه مغرب المسؤولية.

إنه مغرب المستقبل.

إنه مغرب الحسن الثاني الذي أراده فحققه، بعبقريته وحزمه، وطموحه وحدبه.

وإننا، إذ نحتفل بعيد الشباب، ونعتز بذكرى ميلاد جلالة عاهلنا العظيم، فإننا نرمي إلى التعبير عن شكرنا ومحبتنا للملك صالح قاد البلاد فأحسن قيادتها، وتفانى في خدمة شعبه فوفر له العزة والرخاء والطمأنينة.

فلتعش يا مولاي لشعبك الشكور، الملتف حول أهداب عرشك الميمون، ولتدم أفراحك، وليحفظنا الله في ملكنا المصلح، وفي ولي عهده المحبوب سمو الأمير سيدي محمد، وفي صنوه العزيز المولى الرشيد، وفي سائر أفراد عائلتكم المصونة، إنه هو السميع المجيب. والسلام ختام.

عيد الشباب السعيد ميلاد المغرب الجديد

للدكتور
إدريس
العلوي
العبدلاوي

رئيس جامعة القرويين

إذا كان عيد العرش أكبر أعيادنا الوطنية وأخلدها لأنه مناسبة عظيمة وجليلة، تجسد في أفراحها ومسراتها وحفلاتها ومهرجاناتها عظمة ذلك الرباط القوي المتين الذي يؤلف بين العرش والشعب في تلاحم وانسجام تام، ذلك الرباط السرمدي الذي يعتبر في مفهومه ومدلوله عروة وثقى، وميثاقا دينيا وروحيا وعقائديا، فإن عيد الشباب السعيد الذي نحتفل فيه بميلاد مفخرة الدولة العلوية المجيدة، وجوهرة عقدها الثمين الفريد، جلالة الملك الحسن الثاني أمد الله في عمره وحفظه ذخرا للدين والوطن، إنما نحتفل فيه في الحقيقة بميلاد أمة، وبزوغ عهد جديد، فمنذ أشرقت جنبات القصر الملكي العامر بطلعته الميمونة البهية وهو رمز كل تقدم، وشعلة كل أمل، وقدوة كل شاب طموح، فقد أراد جلالة والده العظيم المنعم ـ طيب الله ثراه ـ أن يكون نموذجا لشعبه، ومثالا يحتذى في كل أعماله وتصرفاته، وقدوة حسنة للآباء الذين عليهم أن يسهروا على تربية أبنائهم التربية المثلى التي كان محمد الخامس يربي بها ولي عهده، وفلذة كبده، حتى أهله لولاية الملك من بعده، والنهوض بأعباء المسؤولية التي تقتضيها الأمانة العظمى لشعبه الكبير. وأن يجعل من عيد ميلاده الميمون حافزا للشباب إلى سلوك سبيل النهضة وطلب الكمال، فكان نعم القائد، ونعم القدوة، وأصبحت ذكرى ميلاده ترتبط في ذهن كل مواطن مغربي بالعمل الجاد والتضحية من أجل إسعاد الشعب، والسهر على مصالح الرعية، وتحقيق التقدم والازدهار والرخاء في جميع المجالات، كما أصبحت هذه الذكرى مناسبة سعيدة لتحقيق المشاريع الكبرى التي تعود على الشعب المغربي الكريم بالخير العميم والرفاهية والسعادة الغامرة. وعندما نحتفل بهذه الذكرى الميلادية العظيمة فإننا نقاسم ملكنا أفراحه، ونخلد تاريخها الذي يعد في نفس الوقت تاريخ إشراق فجر الانبعاث للكيان المغربي ودولة المغرب الجديد.

وذكرى الميلاد السعيد هذه إنما هي مناسبة لاستعراض ذكريات معركة العرش والشعب ضد الاستعمار والتخلف، فقد سلخ جلالته ثمانية وخمسين عاما من عمره المديد السعيد في صمود وتحدّ شامخ، يواجه به مكايد الاحتلال، ومظاهر التأخر، فانتصر في الماضي على الاستعمار في معركة التحرير والاستقلال التي خاضها بجانب والده محمد الخامس ـ طيب الله ثراه ـ وخاضها معهما الشعب المغربي كله بقوة السلاح والمواجهة، وأصبح اسم جلالته بجانب اسم والده مقارنا لانتصار الشعوب المغلوبة على أمرها... واستمر جلالته يوالي النضال تلو

النضال للانتصار على التخلف وتحقيق الازدهار، وللانتصار بالأمس القريب في معركة استكمال تحقيق الوحدة الترابية والسيادة الوطنية الكاملة بالمسيرة الخضراء المظفرة التي سلاحها الإيمان والقرآن، مسيرة فريدة في التاريخ اعتبرت حدث القرن، ومعجزة الزمان. تلك الفكرة الجديدة المدهشة في سجل المقاومة والتحرير التي ابتكرتها العبقرية الحسنية الخالدة.

لقد وهب جلالته شبابه لبلاده راضيا موفقا ـ أدام الله عزه ونصره، ناضل في بطولة نادرة وكفاح مستميت في سبيل استرجاع استقلال بلاده وحريتها، وناضل وما يزال يناضل باستمرار لبناء هذا الاستقلال على أسس متينة تضمن لشعبه الوفي حياة كريمة ومستقبلا زاهرا.

وكان كما يقول الشاعر :

كل يريد رجاله لحياته

يا من يريد حياته لرجاله

ولم يكن الاستقلال في نظر جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله أو في نظر جلالة الحسن الثاني ـ أمد الله في عمره وأبقاه ـ غاية في حد ذاته، وإنما وسيلة للقضاء على رواسب الاستعمار، والنهوض بالبلاد ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، في إطار تعاليم دينها الحنيف، وتقاليدها التاريخية العريقة.

ولبلوغ هذا الهدف فإن جلالة الحسن الثاني نصره الله يصل ليل نهار، ومنذ تربعه على عرش أسلافه المنعمين على توفير غد أفضل لشعبه الوفي، وذلك بالسهر على تنفيذ تخطيطات محكمة ومتكاملة ترمي في مجموعها إلى رفع الإنتاج وتقويته في جميع الميادين، وحفظ التوازن بينه وبين تزايد السكان وتكاثر الحاجيات.

وهذا ليس بغريب ولا مستبعد أن يكون الحسن بن محمد بن يوسف بهذا الشكل وبهذه الشخصية العظيمة، فهذا الأصل الكريم الذي انحدر قبل كل شيء من السلالة النبوية الشريفة، وهذا الفرع النامي الفاضل من تلك الدوحة العلوية المنيفة، لا يستغرب عليه القيام بأعمال الخير، والنهوض ببلده وأمته، لأن جلالة والده ـ طيب الله ثراه ـ أعطى تفانيه من أجل شعبه إلى أن يصون مصالحه القريبة والبعيدة، ولهذه الغاية المثلى عمل ـ طيب الله ثراه ـ على أن يكون ابنه البار صاحب الجلالة الحسن الثاني جديرا بتولي أمر هذه الأمة من بعده. فأعده في مدرسة المسؤولية، وفي مدرسة الحياة، وجعله على اتصال مباشر مع أكبر الرجالات، وعهد إليه بمسؤوليات مختلفة جسام.

وبعد أن التحق محمد الخامس بالرفيق الأعلى استطاع المغرب أن يتمتع بأثمن إرث خلفه للأمة في شخص ابنه البار، وصارت الخلافة إلى أحسن مآل، لأن جلالة محمد الخامس جعل من ابنه الحسن في كل الميادين نخبة النخبة، وصفوة الصفوة، وها هو المغرب اليوم يعتز ويزهو مفتخرا لأن على رأسه عاهلا تتجسم فيه كل فضائل شعبه، وتنطلق منه الأيادي البيضاء، سواء على صعيد العلاقات الشخصية أو في المستوى الوطني أو الدولي.

إن جلالة الحسن الثاني لا يفتأ يعطي الدليل القاطع على رفعة روحه، وعلى رعايته لكل الذين واتاهم الحظ فتعرف عليهم جلالته قريبا أو بعيدا، إنه ملك يعيش من أجل شعبه ومع شعبه، فقد جعل شغله الشاغل أن يضمن السعادة والراحة لمختلف طبقات مجتمعنا، وقد طبقت الآفاق أصداء المشاريع الخيرية التي قام بها جلالته، والتي أصبحت مثالا يحتذى في أقطار عديدة، إنه أبو الأمة وضامن سيادتها ووحدتها. إنه يحقق استمرار مقدساتنا وبقاء حضارتنا وقيمنا الروحية والفكرية، فهو ينظر بثقة إلى مصير البلاد ومصير شعبه، لأنه يرى هذا المصير بعين لا تخطئ، تجسمت فيه أعلى الفضائل الإنسانية وأنبلها، تلك الفضائل التي بدأت تضمحل وتغيب في خضم المجتمع العصري الذي سطت عليه روح الفردية والمادية. ومن غير صاحب الجلالة يستطيع أن يرعى المصلحة الدائمة لبلادنا ويعي الأساليب النبيلة لإلحاقها بركب عالم اليوم الذي هو عالم الغد !؟ فبفضل المفهوم الذي أعطاه لدوره العظيم استطاع أن يجعل من المغرب عائلة واحدة ملتفة حول شخص جلالته متعلقة بأهداب العرش العلوي، تعلقا لا يمسه

الفتور، تعلقا يضن السلام والاستقرار والانسجام، وهي عناصر توحي بالثقة، وتدعم حرمة البلاد، وتزيدها مناعة وقوة.

وفي الميدان الخارجي استطاع جلالة الحسن الثاني أن يضمن للمغرب سمعة تتزايد يوما عن يوم بفضل المواقف المتسمة بالرشد والنبل، والتي يمليها عليه همه الدائم في صيانة الإسلام، كما يمليها عليه روح التضامن والكرامة الإنسانية وبحثه الدائب عن تعاون بين الأمم، تعاون مخصب ومتنوع جهد الإمكان.

إن سياسة الاعتدال التي يمتاز بها صاحب الجلالة والتي تفرض تحليلا موضوعيا ومجردا عن العاطفة لقضايا العالم ولمختلف أوضاعه يضمن لبلادنا السمعة الطيبة سواء أمام الحكومات الأجنبية أو في حظيرة المنظمات الدولية. لقد استطاع عاهلنا المفدي أن ينمي العلاقات التي تربطنا بالبلاد الأخرى وخصوصا برؤساء دولها، استطاع أن ينميها أسلوبا ينطبع باللياقة والنبل العظيم.

فلقد قيل في حق جلالة الحسن الثاني - وما قيل ويقال عن عظمة شخصيته كثير -.

قيل : «إن الحسن الثاني بما يتمتع به من مزايا قيادية عالية ومن أخلاق سامية، ومن بعد نظر واتساع في أفق تفكيره كرجل دولة لا يشكل وجوده ضرورة مغربية فحسب بل ضرورة عربية أيضا».

وقيل : «لقد كان جلالة الحسن الثاني منذ حداثة سنه مستكمل الشخصية عقلا وجسما وخلقا، كان ذكيا ذكاء حادا، ولكنه ذكاء ينبض بالخير، لم يكن ذكاء شيطانيا ولا انتهازيا، وإنما كان ذكاء خلاقا أصيلا عميق الإدراك إنساني النزعة. وكان مفكرا شمولي التفكير يستقصي الشوارد، وكأن عقله قطعة مغناطيسية تجتذب الأفكار، وكان يدرك ببداهة ويجيب ببداهة، لا يتأخر في الفهم ولا يبطئ في الجواب، وكان يعمل بجد وحزم وينفذ بثقة وفعالية، ولا يتسرب إليه الوهن، ولا الشك ولا الاسترخاء، خصال ومزايا عقلية تزين مزاياه الإنسانية العميقة».

وقيل : «إن قلب الحسن الثاني يخفق بنفس النبضات التي خفقت بها قلوب الملهمين الذين بلغوا رسالة السماء ولاقوا من أجلها ألوان العذاب لينيروا العالم بنفس المعجزة الخالدة».

وقيل : «لقد اتسم عهد جلالة الملك الراحل محمد الخامس - طيب الله ثراه - بمنجزات شتى أبرزها المطالبة بالاستقلال ثم الظفر به، ولكن أهم هذه المنجزات العظيمة هو تربيته وتكوينه للحسن الثاني حفظه الله ليبقى الحارس الأمين على هذا الاستقلال والمحافظ الوفي على أمن البلاد واستقرارها، وعلى أمانة المسؤولية الكبرى المنوط بشخصه العظيم حملها وأداؤها، وهي تربية جلالة الملك الحسن الثاني التربية المثالية النموذجية التي تتجلى في القيادة الإسلامية، والسياسة الحكيمة الرشيدة لكل ما تتطلبه من خصائص التجديد والتجدد، ومسايرة كل زمان ومكان، والتطلع إلى بناء مستقبل زاهر باهر للأمة الإسلامية دون التضحية بمكتسبات السلف الصالح، وتراثهم العريق، ودون التخلي عن روح الكتاب والسنة والاجتهاد المستنير، وأعظم دليل على حسن هذه القيادة وعمق التجربة وحصافة الرأي، وروعة العبقرية الحسنية المدهشة مواجهة الأحداث بحلول لا تخطر على بال، أصدق مثال عليها حله الرائع والمدهش لقضية استرجاع الصحراء بالمسيرة الخضراء السلمية حدث القرن ومعجزة الزمان التي لم تطلق فيها رصاصة، ولم ترق قطرة دم من الطرفين، وهذا الحل العبقري الذي ما كان ليكون غير إلهام رباني هداه الله إليه في ومضة إشراق صوفية، فجاء بسيطا ككل الأفكار العبقرية، وألهب منذ اللحظة الأولى حماس الشعب المغربي، وخيال الأمة الإسلامية التي رأت في المسيرة الخضراء فتحا آخر وانتصارا للإيمان على جبروت القوة العسكرية المتفوقة، وهكذا أضاف هذا القائد المعاصر نظرية استراتيجية جديدة إلى النظريات الاستراتيجية الحديثة، وأضاف إلى مختبر التاريخ حلا عبقريا لمعضلة لم يسبق أن واجه معطياتها الخاصة قائد قبله، فدخل التاريخ من بابه الواسع».

يا ثاني الحسنين عهدك مولد
للمكرمات وللشباب تألق

يـذكي الشبـاب حمـاسـة وحميـة
فـإذا الشبـاب عـزيمـة لا تنفـق
فـاللـه يكـلأ مـا تروم وترتجي
والشعب شعبـك جنـة لا تخرق

عيد الشباب السعيد، عيد الشباب القوي بإيمانه، المؤمن بمقدساته، الفخور بإنجازات بلده، المتطلع إلى غد مشرق تلوح بشائره في كل ركن من أركانه.

عيد الشباب، الشباب المغربي القوي بقواعده وفكره وطموحاته، السائر دوما وأبدا وراء ملكه، الشباب المغربي الطموح الغيور على أرضه ووطنه ودينه. المتباهي بتراثه وأصالته، الفخور بأمجاده في ماضيه وحاضره ومستقبله.

إن عيد الشباب في مظهره وجوهره، يوحي بالفتوة والنشاط، والأماني المحققة، والأحلام الرائعة العذاب، وإن الشعب المغربي على اختلاف طبقاته وبكل أبنائه وفتاته في المدن والقرى والمداشر في الشمال والجنوب، والشرق والغرب، ومن طنجة إلى الكويرة، وفي كل شبر من وطننا الحبيب وأرضنا الطيبة، هذا الشعب الوفي الكريم الذي يحتضن بكل شوق وحنان، ومسرة وترحاب كل مناسبة من مناسباتنا الوطنية الغالية، بأعيادها ومهرجاناتها الساحرة الزاهية، يستقبل اليوم وباستبشار كبير طلعة هذا اليوم السعيد المجيد ليستحضر بمالا مزيد عليه من الإكبار والزهو والاعتزاز الرصيد الثمين والهائل من المنجزات التي حققها له عاهله المفدي بروح نضالية عالية، تستهدي بها الأجيال، وتستشف منها سجايا الصبر والفرح والإرادة والتصميم على أداء الأمانة وتبليغ الرسالة نشدانا لخدمة مصالح الأمة ورفاهية أبنائها، تلك السجايا التي تحلى بها جلالة الملك الحسن الثاني وهو أمير في كنف والده المنعم المغفور له محمد الخامس رضوان الله عليه، ثم وهو ولي للعهد، ثم وهو ملك للمغرب والمغاربة، وفي كل تلك المراحل كان جلالة الملك الحسن الثاني ولا يزال رجل التحدي، ومبدع المسيرات، وباعث نهضة المغرب الجديد، وحامل لواء أمجاده، ورافع راية مفاخره، وموحد سيادته، وضامن استقراره ونموه، وقائد معاركه في الحرية والكرامة والازدهار.

كان جلالة الملك الحسن الثاني ولا يزال وسيبقى بإذن الله تلك القوة المثالية في التفكير الناضج، والعمل الصالح، والروح الوثابة، والنفس الطموحة، والإرادة الحية والضمير اليقظ، وعن طريق تلك المزايا أوجد جلالة الملك الحسن الثاني شعبا جديدا، ومغربا جديدا، هو شعب ومغرب جلالة الملك الحسن الثاني، وكلاهما اليوم يتحدث عن نفسه بنفسه، وينطق شاهدا على عبقرية وتضحية هذا الملك العظيم، والقائد الملهم الحكيم الذي اختارته العناية الإلهية حين أرادت بهذا البلد الأمين خيرا ليكون ملكه وقائده ورائده وحتى يبقى المغرب في ظل وجوده كما كان، بل وأجمل مما كان، بلدا عريقا في التاريخ بماضيه الأصيل المجيد، وحاضره الزاهر السعيد، ومستقبله المتفتح المتطلع لكل جديد، وفي جميع الحالات والمراحل التاريخية والزمنية يبقى الميثاق الخالد المشترك الذي ربطت به عناية الله بين هذا الملك العظيم وشعبه الكريم هو ذلك الميثاق الديني والعقائدي والروحي من أجل عزة وكرامة ورفعة المغرب بقيادة عاهله المفدي جلالة الحسن الثاني صانع أمجاده ومفاخره، أمد الله في عمره وبارك في حركاته وسكناته.

ولا يخفى على أحد أن الأعياد الوطنية فرصة من الفرص النبيلة التي يمنحها الله للأمم والشعوب لاستخلاص العبرة منها، ولتذكير الشباب خاصة بالتضحيات الجسام التي قام بها من سبقهم من المناضلين في سبيل تحرير البلاد، وما قاساه الشعب من اضطهاد ودماء ودموع، حتى يزداد حماسهم ويقبلوا على خوض معركة الكرامة والعزة، معركة التنمية الشاملة بروح ثورية وثابة تتحلى بنكران الذات، وتعتمد الصدق في القول، والإخلاص في العمل.

وتاريخ الأمم والشعوب، وتاريخ الرجال العظام صفحات مجيدة يحفظها التاريخ لتكون نبراسا مضيئا تهتدي به الأجيال في مواصلة مسيرة الأجداد، وصيانة المكتسبات والتخطيط للمستقبل القريب والبعيد بكل وعي ومسؤولية.

وإذا كان آباؤنا ومن سبقونا يفتخرون بأنهم ضحوا واستشهدوا في سبيل أن يحيا المغرب في ظل الوحدة والسيادة، وصدوا في وجه محاولات الغزو الترابي والفكري وواجهوا محاولات مسخ الشخصية المغربية، وطمس معالم الحضارة المغربية، فإننا ـ نحن أبناء هذا الجيل ـ نفتخر بدورنا بعد افتخارنا بما حققه آباؤنا، نفتخر بأننا ساهمنا في معركة استرجاع السيادة على أراضينا، وسرنا في مسيرة استكمال وحدتنا الترابية، فكنا بذلك خير خلف لخير سلف.

وهكذا يتضح أن المغرب يعيش دائما وأبدا في ترابط وثيق بين ماضيه وحاضره، مما يخول له أن يظل دائما تلك القلعة المنيعة التي تتكسر عليها كل المحاولات اليائسة للنيل من حضارته ومقوماته ومكتسباته وأمجاده، وليظل دائما وأبدا قلعة الطموح والكرامة.

إننا إذ نخلد اليوم هذه الذكرى الجليلة ذكرى عيد الشباب بما يناسبها من الاحتفالات والمهرجانات والقيام بالأعمال التطوعية، والاستعراضات الرياضية، والسعادة تغمرنا والإعجاب يملأنا، فإنما نخلد في الحقيقة حدثا غير مجرى التاريخ بالنسبة لنا، إننا نخلد في عيد الشباب ذكرى ميلاد محرر المغرب وضامن وحدته واستقلاله، ونخلد فيه أيضا ذكرى ميلاد باني صرح المغرب الجديد، ورائد نهضته الحديثة، كما نخلد فيه ذكرى ميلاد قائد إسلامي كبير، وزعيم عربي عظيم، ونخلد في عيد الشباب كذلك ذكرى ميلاد رجل عالمي طبقت شهرته الآفاق، وسارت بذكره الركبان في كل الأنحاء.

ومما لأمراء فيه أن في عهد جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله تم بناء صرح المغرب الجديد، بما في ذلك من تشييد المدارس، والكليات، والجامعات، والمستشفيات، وتعبيد الطرق، وإنشاء المطارات، وإقامة السدود، والتنقيب عن المعادن والثروات الباطنية، وبناء المرافئ وغير ذلك من الميادين التي اعتنى بها المغرب، وحقق فيها خلال العقود الثلاثة الأخيرة نهضة اقتصادية واجتماعية لم يسبق له أن عرفها من قبل، بفضل السياسة الرشيدة لجلالة الملك الحسن الثاني، وبفضل التصاميم الإنمائية التي وضعها. كما نعم المغرب في ظل جلالته «بالملكية الدستورية» التي لا مثيل لها في دول العالم الثالث.

ولقد واكب الاهتمام بالبناء والتشييد اهتمام كبير بالناحية الروحية من طرف باعث الأمجاد الإسلامية والمحافظ على رسالتها الخالدة أمير المؤمنين حفظه الله ونصره.

وهكذا انتشرت في عهده الزاهر الكتاتيب القرآنية، وضرب المثل في ذلك بفلذة كبده وقرة عينه ولي العهد الأمير سيدي محمد. كما شيد العديد من المساجد لا في داخل المغرب بل حتى في خارجه في معظم الدول التي تضم الجاليات الإسلامية والجالية المغربية، وأبدع وأجاد في إنشاء دار الحديث الحسنية التي أخرجت العلماء المحدثين الأجلاء، وهي تسير في نهجها سيرا محكما يعطي النتيجة الحسنة المتوخاة منها. وأنشأ دار القرآن للمحافظة على كتاب الله وتكوين المقرئين المجيدين يحسنون تلاوته طبق المطلوب شرعا مع الفهم، كما أمر جلالته بإحداث جائزة لأحسن المقرئين في مهرجان التجويد الذي يقام كل سنة خلال شهر رمضان الأبرك.

وكفانا مفخرة موقف جلالته بالاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم في الذكرى التاريخية المجيدة التي خصص للاحتفال بها وقته الثمين، واستدعى لإحيائها نخبة من العلماء الأجلاء، فمرت في جو من الصفاء والوفاء للقرآن الكريم ومبادئه. كما أمر جلالته بطبع المصحف الشريف طبعا ممتازا جيدا حفز المؤمنين على تلاوته وتدبره.

ولنتذكر رابطة الجامعات الإسلامية التي كان الفضل في إنشائها يعود إلى صاحب الجلالة لتقوم بدورها الإسلامي والتربوي.

وفي عهد جلالته حفظه الله تم تحقيق ونشر العديد من كتب التراث الإسلامي المغربي، وإحياء المخطوطات النادرة والتعريف بها، بالإضافة إلى إنشاء المجالس العلمية، وإقامة الدروس الحسنية الرمضانية التي يتسابق مشايخ العلم والعلماء ليتشرفوا بالمشاركة فيها، وإحياء لياليها الروحانية.

إن جلالته حفظه الله وهو يخطط ويبنى ينهج النهج الإسلامي السليم، ويسلك بشعبه سبل الرشد في خطوات بالغة الانضباط، وثقة بالنفس، وإصرار قوي على بلوغ الغايات السامية، وتحقيق الأهداف الغالية، لذا نرى جلالته وهو أمير المؤمنين الحامي للملة والدين يجعل في مقدمة اهتماماته دائما الحرص الشديد على نشر فضائل الدين الإسلامي الحنيف، والعمل على زرعها في النفوس، شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، سواء داخل الوطن أو خارجه، إذ هي الأساس الذي تبنى عليه صروح كل عمل وكل إصلاح. وهكذا يجعل دائما من هذه الأرض الطيبة المضيافة أرض اللقاءات والملتقيات الإسلامية والعربية سواء لاحتضان المؤتمرات وعقد الندوات (كندوة الإمام مالك) و(ندوة القاضي عياض) و(ندوة البيعة والخلافة في الإسلام) و(ندوة الطرق الصوفية). أو إقامة المحاضرات والمهرجانات الدينية، أو كما حدث أخيرا في مبادرة دعوة جلالته لتنظيم أول ملتقى إسلامي عالمي هام لخطباء الجمعة. شارك فيه الخطباء والعلماء من كل أطراف المعمور، هذه التظاهرة التي كانت فريدة في تاريخ عالمنا الإسلامي، وفي السجل الذهبي لمآثر جلالة الحسن الثاني المدهشة، وعبقريته المستنيرة المنيرة.

هذا الملتقى الذي كلل الله سبحانه وتعالى أعماله بالنجاح والتوفيق لأن كل لقاء لصالح الإسلام والمسلمين وللصالح العام لا تكون نتيجته إلا خيرا وخيرا عميما. ولأن كل ما يدعو إليه جلالة الحسن الثاني نصره الله وما يأمر به لا تكون ثمرته إلا محمودة طيبة. وخير شهادة على ذلك ما قاله خطيب مسجد عقبة بن نافع بتونس وهو أحد المشايخ المشاركين في هذا الملتقى العظيم قال : «إن خطبة الجمعة لم تحظ بمثل هذا الاهتمام من قبل، مما جعل المشاركين يستبشرون خيرا بهذا الملتقى الأول، ويأملون أن تليه ملتقيات مماثلة». كما لاحظ أن هذه المبادرة التي اتخذها المغرب بقيادة عاهله الكريم برهنت على أن الإشعاع الديني الذي عهد الناس بزوغه من الشرق ينطلق اليوم من أرض المغرب الأقصى»[1].

هذا الملك العالم والعالم الملك الذي ورث الحكمة بإلهام من الله تعالى، وورث نور العلم والمعرفة عن جده سيدنا محمد ﷺ. وورث العبقرية والنبوغ من آبائه وأجداده وأسلافه المنعمين طيب الله ثراهم وسقاهم بماء الرحمة والغفران، راعى العلم والعلماء وحامل مشعل النهضة الثقافية والعلمية بهذا البلد الأمين الذي برهن على اعتناء جلالته بالعلم والدين بما شيد للعبادة من مساجد، وما بنى للتعليم من مدارس ومعاهد، وكليات وجامعات، وما شيد من دور للعلم، وما جند لنشره من عزائم، سواء بالكتب أو الخزانات التي توجت أخيرا بإحداث الخزانات المتنقلة التي أنشأها جلالته حفظه الله من ماله الخاص، وتفضل بإهدائها ليستفيد منها أبناؤه وخدامه الأوفياء المنضوون تحت لواء القوات المسلحة الملكية الباسلة، وأوصى جلالته بأن تكون تلك الخزانات واسعة الآفاق بتنوع محتوياتها واشتمالها على مختلف ميادين المعرفة والتثقيف، حرصا من جلالته على تكوين جيش من العلماء، وعلى نشر سلاح العلوم والمعرفة ليكون رديفا للسلاح الذي يحملونه حتى تتوفر لديهم كل أسباب المنعة والقوة المادية والمعنوية.

«على أن هذه البادرة الملكية السامية ليست سوى جزء من الجهد العظيم الذي يحرص جلالة الملك الحسن الثاني على بذله لتكوين «جيش العلماء» الذي يريد له أن يكون جيش الجهاد وجيش البناء والتشييد، ويتمثل ذلك الجهد في المدارس والمؤسسات والأكاديميات المتنوعة الاختصاصات والشعب التي أصبحت تزود البلاد بما يضمن لها المنعة والقوة لحماية كيانها وترابها الوطني وبما يوفر لها الخيرات والكفاءات الضرورية لنهضتها وتقدمها»[2].

والذي تتذكر الآن بهذه المناسبة السعيدة ونحن نعيش أفراح عيد ميلاد جلالة الملك الثامن والخمسين ما سبق أن حدث سنة الاحتفال البهيج الخالد ببلوغه سن الأربعين حين تشرفت «جامعة القرويين» الإسلامية العريقة وقدمت لجلالته «**شهادة العالمية الفخرية**» بتلك المناسبة الفريدة السارة امتنانا واعترافا بالجميل الخاص الذي أسداه

1) جريدة الميثاق عدد 26 مارس 1987.

2) رسالة الأمة 28 أبريل 1987.

لها حفظه الله، والذي يتجلى دائما فيما يوليه لها من عطف خاص، وعناية فائقة، مما جعل جلالته يصدر ظهيرا شريفا بإعادة تنظيمها محافظة على ما امتازت به منذ أكثر من أحد عشر قرنا من تعمق في الدراسات الإسلامية، وتبحر في العلوم العربية وتكوين للعلماء الأجلاء من المغرب والمشرق.

وتأكيدا للمزيد من اهتمامه بها رعاه الله، يجعل لها أخيرا رئاسة خاصة تسهر على شؤونها وتسييرها وفق ما يتطلبه التجدد في المناهج، والتفتح على المجالات الثقافية الواسعة، وتوسيع آفاق التثقيف والبحث العلمي.

وأخيرا ماذا أقول أمام روعة الذكرى، وجلالة شخصية صاحبها العظيم. إن القلب طافح خافق... والشعور مليئ متدفق... ولكن اللسان عاجز، وإن دل عجزي على شيء فإنما يدل على عظمة شخصية هذا الملك الهمام والقائد المظفر الإمام، جلالة الملك الحسن الثاني المنصور بالله المؤيد بتوفيقه على الدوام. والعظيم عظيم، وكل ما قيل في حقه لا يفي ولا يكفي، لأن الدارس المتعمق لشخصية الحسن الثاني ولتاريخه المجيد... ولأعماله وفضائله ومنجزاته ومكرماته على شعبه وعلى الأمة العربية والإسلامية يأخذه العجب، وتغمره الدهشة، فالفضائل كثيرة ومتنوعة ومستمرة، والله يؤتى فضله من يشاء.

فالحسن الثاني رائد المغرب، وقائده دائما وبعون الله نحو الغد الأفضل السعيد.

الحسن الثاني فكر خلاق، وذكاء خارق، وعقل راجح، ورأي سديد، وحكمة بالغة، وعبقرية فريدة، وشخصية متميزة نادرة، وسجايا حميدة، ومناقب حسنة.

الحسن الثاني الملك المناضل، والخلف الصالح للسلف الصالح.

الحسن الثاني الطالب النابغة، والأمير المجاهد.

الحسن الثاني الملك العالم، والعالم الملك، الموسوعي. رجل القانون، ورجل المسؤولية الكبرى والزعامة العظمى.

الحسن الثاني رمز الأصالة والتجديد، والبناء والتشييد، وإن المسيرة المتواصلة من أجل عظمة المغرب هي كما يريدها الحسن الثاني عمل مستمر للتجديد من أجل بناء المغرب الجديد، قوامها الدين والدنيا.

إن جلالته حفظه الله وأدام ملكه وزاده تمكينا وتعظيما وعزا وسؤددا وتكريما، بما يتوفر عليه من هذه المزايا والسجايا الحميدة الجليلة التي حباه الله بها حين أرادت عنايته سبحانه وتعالى أن تهيئه لتحمل أعباء الملك، والحفاظ على الأمانة، يعتبر بذلك أحد قادة العالم المبرزين، ومن أبرز رجالات عصره الذين يعدون من عظماء التاريخ، يحق لهذه الأرض الطيبة التي أنجبتهم أن تفتخر بهم وتتشرف بوجودهم، وتعيش سعيدة في ظلهم

وحين نقول هذا نتذكر قول جلالة الملك في إحدى خطب عيد الشباب :

«حقا شعبي العزيز، إنني سعيد وفخور بعيد ميلادي، لأنه كان في الإمكان أن أزداد في حقبة أخرى من الزمن.

سعيد، لأنه كان في الإمكان أن لا أعيش في هذه الظروف وهذه الحقب من الملاحم.

سعيد، لأنه لو تقدمت أو تأخرت لما شاهدت ما شاهدته، ولما شاركت فيما شاركت فيه، ولما أعطيت من نفسي وجهدي وشبابي وقوتي ما أعطيت وما بذلت.

فخور بأن ولدت في المغرب، وأن أكون فردا من الأسرة الكبرى الأسرة المغربية، لأن الشعب المغربي جدير بأن يطمح بأن ينتسب إليه كل عظيم عظيم، ويعد في سجل مواليده كل حكيم حكيم».

هنيئا لكم يا مولاي بهذا العيد السعيد وأدام الله على جلالتكم نعمة التوفيق، والولاء والتأييد... ومتعكم بالصحة والعافية والعمر المديد... ومتع شعبكم في ظل عرشكم المجيد... بالهناء والعيش الرغيد... وجعل عهدكم الزاهر دائم الاشراق والتجديد... وأقر عين جلالتكم بسمو ولي العهد المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه الأمير مولاي رشيد وسائر الأمراء والأميرات الجليلات المصونات...

آمين آمين لا أرضى بواحدة
حتى يقول جميع الخلق آمينا

رسالة كشف الحال عن الوجوه التي ينتظم منها بيت المال للشيخ التاودي ابن سودة

للأستاذ محمد العربي الخطابي

كان لصفوة العلماء والفقهاء في المغرب - منذ أقدم عصوره التاريخية - اهتمام بشؤون الدولة وعناية بتدبير سياستها الشرعية سواء بالمشاركة الفعلية في أعباء الحكم، أو بما يصدرونه من فتاوي أو يؤلفونه من مصنفات تعنى بالشؤون العامة السياسية والمالية والعسكرية وغيرها.

وقد تواصل هذا الاهتمام إلى عصر الدولة العلوية الشريفة، وسار كثير من العلماء والفقهاء على نهج أسلافهم في الاهتمام بأمور الإمام والبيعة، وإسداء النصح للولاة والحكام، والإدلاء بالرأي الشرعي في مختلف الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بإصدار الفتاوي وتأليف الكتب.

ولما كان موضوع هذا البحث تقديم مصنف من آثار العلامة الشيخ محمد بن الطالب التاودي ابن سودة المري، وهو كتاب يهتم بتنظيم بيت المال، فإنني سأذكر قبل ذلك - على سبيل المثال فقط - جملة من المؤلفات التي صنفت في عصر الأشراف الحسنيين العلويين في مواضيع متصلة بنظم الدولة والسياسة وما إلى ذلك.

فمن هذه المؤلفات :

1 - الإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة.

تأليف محمد بن سعيد المرغتي السوسي (1089 هـ / 1678م).

وهي رسالة قصيرة عالج فيها المؤلف الحالة الاجتماعية العامة في عصره، وتكلم على الخطط والولايات وما ينبغي توافره في المتصدين لها، وضمنها نصائح وإرشادات مقرونة بشيء من النقد.

2 - حقيقة الإمامة.

تأليف عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي (1091 هـ / 1680م).

وهي أجوبة عن أسئلة في حقيقة الإمامة وحكمها وشروطها وطرق انعقاد البيعة الشرعية وما إلى ذلك من المسائل المتعلقة بالإمامة العظمى.

3 ـ التيسير في أحكام التسعير.

تأليف القاضي أبي العباس أحمد بن سعيد المجيلدي (1094 هـ / 1683م).

وهي رسالة عني فيها المؤلف بشؤون الأسواق والأسعار وما يتصل بها.

4 ـ الرسالة الصغرى.

لأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي (1102 هـ / 1691م).

وهي رسالة موجهة إلى السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف الحسني، تناول فيها اليوسي الحالة الاجتماعية والسياسة العامة وشؤون الولايات وما يظهر فيها من اختلال بسبب تهاون الولاة واستبداد الجباة وميلهم إلى الظلم والفساد، ويلفت اليوسي نظر السلطان إلى ذلك ليكف أيدي الولاة الظلمة عن الرعية، وليسهر بنفسه على المصالح العامة ـ وقد طبعت هذه الرسالة ضمن كتاب «رسائل أبي علي الحسن اليوسي»، جمع وتحقيق الأستاذة فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة، الدار البيضاء 1401 هـ / 1981م.

5 ـ نصيحة الصفاء في قواعد الخلفاء.

تأليف أحمد ابن محمد بن يعقوب الولالي (1128 هـ / 1716م).

وهو كتاب تناول فيه المؤلف حقوق الخلافة وأسباب استقرارها وكمالها وما يختص بها من رسوم[1].

6 ـ كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة.

تأليف محمد بن عبد القادر الكردودي (1269 هـ / 1852م).

وهي رسالة في وجوب الجهاد والتعبئة المنتظمة له للدفاع عن حوزة الأمة.

☆ ☆ ☆

وأما الكتاب الذي يعنينا في هذا المقال فهو **«كشف الحال عن الوجوه التي ينتظم منها بيت المال»**.

ومؤلف الكتاب هو شيخ الجماعة في وقته وزمانه الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن الطالب التاودي ابن سودة المري، من بيت علم ونباهة، قدم سلفه من الأندلس حيث كان لآل ابن سودة ذكر حميد في العلم والوجاهة، واستقرت هذه الأسرة بفاس في عهد السلطان أبي عنان المريني.

وقد ذكر أبو عبد الله ابن الخطيب السلماني بعض أعلام هذه الأسرة بالاحترام والتبجيل، وقال إن أصل سلفهم من البشارة Alpujarras، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن سودة المري، الأديب المؤرخ الشاعر (ت عام 637 هـ)، وأبو القاسم محمد بن محمد ابن سودة المري الطبيب الذي برع في العلوم العقلية[2].

وحينما انتقل آل ابن سودة المريين القرشيين إلى فاس صاحبتهم النباهة وحسن الذكر في ميادين العلم والأدب والصلاح، وقد خص أبو الربيع سليمان الحوات (ت 1232 هـ / 1816م) هذا البيت بكتاب حافل سماه **«الروضة المقصودة في مآثر بني سودة»**[3]، وهو يغنينا عن الإطالة في ذكر أعلام هذه الأسرة النابهة وما قدمته للمغرب من جلائل الأعمال في مجال العلم والأدب واللغة وفي ميدان الحياة العامة.

وأما شيخ الجماعة الفقيه المحقق المشارك محمد التاودي ابن سودة، فقد «انتهت إليه رياسة العلم في المغرب إقراء وإفتاء، وانفرد بعلوم الإسناد حتى صار شيخ الشيوخ» ـ

---

1) الكتب والرسائل ذكرناها توجد منها نسخ خطية محفوظة بالخزانة الحسنية في القصر الملكي بالرباط، وقد وصفناها جميعا في المجلد الرابع من فهارس هذه الخزانة في القسم الخاص بنظم الدولة وأحكام الولايات وأدب السياسة، من صفحة 71 إلى صفحة 109.

2) الإحاطة في أخبار غرناطة، 3 : 168 ـ 169 و3 : 182.

3) توجد من هذا الكتاب نسخة خطية بالخزانة الحسنية رقمها 10.923، وقد علمنا أن أحد المحققين قد تصدى لإخراجه ونشره.

كما قال عنه الحجوي الذي أضاف «وكثير من أسانيدنا في العلوم تدور عليه»[4].

وكانت للشيخ التاودي ابن سودة رحلة إلى المشرق، زار خلالها الحجاز ومصر، وأخذ عن شيوخهما وأخذوا عنه، واشتغل بالتدريس والتأليف والفتيا، وترك آثارا وافرة في الفقه والأحكام والحديث، منها :

حاشية على صحيح البخاري.
وحاشية على صحيح مسلم.
وأخرى على سنن أبي داود.
وشرح للأربعين النووية
وشرح على لامية الزقاق.
وشرح على تحفة ابن عاصم في الأحكام.

وللشيخ ابن سودة **فهرستان** جمع فيهما أسماء من لقيهم من الشيوخ وذكر أسانيدهم.

وكان ذا حظوة عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ومكانة مرموقة بين علماء المشرق والمغرب[5].

ومن آثار الشيخ التاودي ابن سودة رسالته المسماة بـ : **«كشف الحال عن الوجوه التي ينتظم منها بيت المال».**

وهي ما تزال مخطوطة[6].

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ عام 1209 هـ / 1795م.

☆ ☆ ☆

وقد بين المؤلف في خطبة الكتاب موضوعه فقال : إنه «يتضمن كشف الحال عن الوجوه التي ينتظم منها بيت المال، وكيف التصرف فيه، وأين يصرف، وما ينكر من ذلك المعنى وما يعرف، وكيف حال السلف الصالح في ذلك وسيرتهم فيه، فيجري عليه من أرشده الله من الملوك ويقتفيه».

وقد بدأ المؤلف ببيان موارد بيت المال في ممالك الإسلام، وهي سبعة :

1) خمس الغنيمة والركاز[7] وما ألحق بهما.

2) الفيء.

3) خراج الأرض العنوية والصلحية.

4) الجزية.

5) ما يؤخذ من تجار أهل الذمة والحربيين[8].

6) مال من مات ولا وارث له.

7) المال الذي ضل صاحبه وجهلت أربابه.

وأفاض الشيخ ابن سودة في الكلام على هذه الموارد من الوجهة التطبيقية الشرعية وفق مذهب إمام دار الهجرة مالك ابن أنس، مستندا في ذلك على أقوال الفقهاء كابن الماشجون وابن القاسم وابن رشد وابن عرفة وغيرهم.

وكي نوضح أسلوب المؤلف ومنهجه في هذا الباب نأتي بمثال يتعلق بالمورد السابع حيث يقول : «وهو المال الذي ضل صاحبه، فالمراد منه غير اللقطة، وله أمثلة منها ـ والله أعلم ـ ما جمعه ولاة الجور وعمال السوء إذا جاء الإمام العدل وأنصف المسلمين منهم، فما تعين أربابه رده عليهم، وما جهل أربابه فلبيت المال. قال المواق : صدرت

---

4) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، المجلد الثاني، القسم الرابع، ص 294، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة 1397 هـ / 1977م.

5) ترجمة الشيخ ابن سودة في شجرة النور، والروضة المقصودة للحوات، والفكر السامي للحجوي، وفي بروكلمان، الذيل 2 : 689، وفي الإعلام 7 : 40.

6) توجد منها ثلاث نسخ خطية بالخزانة الحسنية (انظر المجلد الرابع من فهارس الخزانة ص 91 ـ 92).

7) الركاز : هي الكنوز المدفونة في الأرض أو على ظهرها، وعند الفقهاء المالكية : الركاز ما وجد من أموال الجاهلية مدفونا بالأرض أو على ظهرها عينا كان أو عرضا من نحاس أو لؤلؤا أو طيبا.

8) المقصود بالحربيين هم رعايا الدول غير الإسلامية الذين يسكنون خارج دار الإسلام ويتواردون عليها للتجارة.

فتيا ابن رشد في العمال الظلمة أنه يضم ما وجد لهم لبيت المال، قال : وأما ما فات ببيع فلا سبيل لأحد عليه لفوته. ونحوه لابن سهل في ترجمة ابن السقاء، وأنه لما ثبت استطالته في الأموال، وتفاهة وفره يوم ولي النظر في أموال المسلمين فأفتى ابن عتاب وابن مزين وابن مالك أن جميع متخلفه للمسلمين. ومن نوازل ابن الحاج : ما يتركه مستغرق الذمة لبيت المال لاحق فيه للغرماء، فإن كان في تركته أكثر ضرب للغرماء فيما يبقى بعد أخذ بيت المال ما يجب له هـ»

«ومنها المكس إذا تعذر رده لأربابه، فإنه يكون لبيت المال حينئذ».

وبعد الموارد انتقل المؤلف إلى بيان مصارف بيت المال، فنقل عن ابن حبيب قوله : «سيرة أئمة العدل في الفيء وما جعله الله تعالى رزقا لعباده من المال - غير الزكاة - أن يؤخذ فيبدأ فيه بسد المخاوف والثغور وتثقيف حصون المسلمين وسد عوراتهم واستعداد آلة الحرب من الخيل والسلاح، فإن فضل شيء أعطي قضاتهم وعمالهم ومن للإسلام فيه انتفاع، وتبنى منه مساجدهم وقناطيرهم وما هم إليه محتاجون، ثم يفرق على فقرائهم، فإن فضل شيء ورأى الإمام تفرقته على الأغنياء فرقه، وإن رأى حبسه لنوائب الإسلام فعل. قال : وذلك كبناء المساجد والقناطر والغزو وفك الأسير وقضاء الدين وعقل الجراح وتزويج الأعزب وإغاثة الحاج وإرفاق من يلي المصالح وتدبير الأمور، والتفرقة في ذلك بقدر الحاجة... وروي أن الأمر موكول إلى اجتهاد الإمام فيقسم على ما يراه من مساواة أو تفضيل بحسب الفضائل التي ذكرناها... وإذا بلغ الإمام عن بلد حاجة عطف عليهم ونقل من الخمس والفيء إلى ذلك الموضع بقدر الاجتهاد، ولا ينقل مالا من بلد إلا بعد إزالة حاجته وحاجة أهله، ويشيد حصونه ويزيد في كراعه[9] وسلاحه ويقتطع منه رزق عمال ذلك البلد وقضاته ومن يلي شيئا من مصالحه ثم يخرج عطاء المقاتلة الذين دونهم من أهل ذلك البلد لجهاد عدوهم، ثم يعطي العيال والذرية وسائر المسلمين على قدر المال...».

يتضح من هذه الفقرات أن الفقه الإسلامي يولي الأسبقية في مصارف بيت المال للدفاع وحماية الحوزة والثغور، وأنه يخصص للتكافل والأعمال الاجتماعية والأشغال العمومية نصيبا كبيرا من موارد بيت المال.

وبعد هذا الفصل يعطي المؤلف صورة عن سيرة رسول الله ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين في تدبيرهم لأمور بيت المال بالعدل والروية وحفظ الأمانة.

ويختم المؤلف هذه الرسالة بتذييل يتضمن نصا نقله صاحب نفح الطيب أبو العباس أحمد المقري التلمساني من كتاب **«قمع الحرص بالزهد والقناعة»** للقرطبي.

إن هذه الرسالة التي وضعها الشيخ التاودي ابن سودة بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله الحسني عظيمة النفع سهلة المأخذ واضحة العبارة، ومن مزاياها الإيجاز الشد يد في هذا المجال المالي الهام، وحق هذه الرسالة أن تحقق وتنشر لينتفع بها القراء المهتمون بالشؤون المالية الشرعية. وبالله التوفيق.

9) الكراع (بضم الكاف) : العدة الحربية من خيل وسلاح.

خزانة المسجد الأعظم بوزان

للأستاذ محمد المنوني

تصعد البداية الأولى لخزانة الكتب بوزان إلى صدر القرن الثاني عشر أو الثامن عشر، وذلك ما تشير له وقفية مكتوبة على مخطوط «تحفة الباري بشرح صحيح البخاري»، من تأليف زكرياء الأنصاري في سفرين، رقم 286، 291 من لائحة خزانة المسجد الأعظم بوزان، فيسجل على السفرين تحبيسهما ـ عام 1127/«1715» ـ على زاوية وزان، من جهة أولاد مولاي التهامي بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف.

☆ ☆ ☆

وبعد هذا يأتي ذكر عام 1151/«1738»، ثم عام 1224/«1809»، حسب تاريخ الوقف على خزانة مولاي الطيب، أو الزاوية الطيبية، أو زاوية مولاي الطيب : ثلاثة صيغ تتداول كتابتها الوقفيات المرسومة على ثمان مجلدات، وهي التي تحمل الأرقام التالية من اللائحة المشار لها : 73، 74، 158، 265، 266، 347، 348، 349.

☆ ☆ ☆

وإلى الخزانة الطيبية : لمع ذكر خزانة روضة الشيخ مولاي عبد الله الشريف، فيبرز اسمها الفقيه الرهوني في طالعة حاشيته على شرح الزرقاني للمختصر الخليلي،[1] وينوه بإفادته من كتبها.

☆ ☆ ☆

وقد عاصرت هذه خزانة الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن الطيب الوزاني الحسني، تـ 1226/«1811»، فكان حسب «الكوكب الأسعد»[2] ـ مهما ذكر له كتاب عند من احتاج إلى بيعه، يأمر من يشتريه ويرضي صاحبه، سيما إذا كان قليل الوجود، فيضعف لصاحبه قيمته، وإذا ذكرت له خزانة كتب في أي بلد، فلا يزال في طلبها حتى يحصلها.

ثم يضيف نفس المصدر :[3] وترك بعد وفاته خزانة كتب لم يتركها أحد سمعنا به، مشتملة على فنون العلوم، كل فن منه العدد الكثير.

☆ ☆ ☆

وهذه الخزانة كانت الرصيد الأكبر لخزانة وزان، فإن صاحبها أوصى بثلثها للمسجد الأعظم، فنابه العدد الكثير من كل فن.[4]

ومن هنا : فإن كتب هذه الوصية، مع ما في روضة مولاي عبد الله الشريف من قبل، وما في الخزانتين الأولى

1) المطبعة الأميرية بمصر 1306 هـ : 4/1.

2) ألفه ـ في ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد ـ محمد بن حمزة المكناسي القبيل، التازي البلد، منشور بالمطبعة الحجرية الفاسية 1324 هـ على هامش تحفة الإخوان : ص 161.

3) ص 162.

4) «المصدر» ص 162.

والثانية بهذا العرض : جميعها تمثل المكونات الأولى والمهمة للخزانة المنوه بها.

وبعد وفاة الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد : تنافس ورثته وغيرهم في إثراء هذه المؤسسة عن طريق التحبيس عليها.

فمولاي التهامي بن علي :[5] أوقف عليها المخطوطات ذوات الأرقام : 2،283، 288، 903، فضلا عن مجموعة كتب دفعها للمؤسسة ذاتها.[6]

وأخوه مولاي المكي بن علي : أوصى بجملة من الكتب حبسها على خزانة المسجد الأعظم، حسب إشارة دونت أول المخطوط رقم : 980.

ثم محمد بن عبد الجبار بن علي : أوقف عليها المخطوطات : 91، 175، 178، 384، 944.

☆ ☆ ☆

وإلى هؤلاء : ساهمت زمرة من الشريفات ومن إليهن في اثراء خزانة وزان :

السيدة هيبة بنت سيدي علي بن أحمد : المخطوطات رقم 205، 265، 665.

وأختها : السيدة الصافية بنت سيدي علي بن أحمد : المخطوطان : رقم 1، 792.

السيدة طاهرة بنت سيدي محمد بن علي، والدة مولاي التهامي بن علي : المخطوطان رقم 193، 194.

أزواج مولاي التهامي بن علي : المخطوطات رقم 140، 141، 142، 160.

☆ ☆ ☆

ومن جهة أخرى : نشير إلى تحبيس الفقيه محمد بن الفقيه علي اللحلاح الوزاني : للمخطوط رقم 267 : عام 1312 هـ.

☆ ☆ ☆

ومن هذه الوقفيات المنوعة المصادر، تتبين أهمية مبادرات أشراف وزان ومن إليهم، حتى صارت خزانة وزان عامرة بالعدد الجم من الدواوين العلمية من كل فن.

وللحفاظ على هذه الثروة العلمية، صار مقدمو ضريح مولاي عبد الله الشريف هم القيّمين على الكتب، وقد كانت موضوعة داخل هذا المشهد، موزعة بين ثمان خزائن خشبية، والمعروف - الآن - من هؤلاء القمين هي الأسماء التالية :

- [الحاج] محمد بن عبد السلام القصري الطليقي أصلا الوزاني دارا، وقد سجل اسمه على ثلاث مخطوطات : رقم 204 : عام 1224 هـ، ورقم 2 : عام 1228 هـ، ورقم 903 : عام 1231 هـ.

- ثم ابنه أحمد بن محمد بن عبد السلام : المخطوط رقم 306 : عام 1260 هـ.

- ثم السيد عبد الله القصري :[7] المخطوط 944 : عام 1288 هـ.

☆ ☆ ☆

وكما تبينا وشيكا : فقد كان مشهد مولاي عبد الله الشريف به مكان الكتب، وخلال عام 1947/1368 : نقلت إلى مقرها الحالي قبلة المسجد الأعظم، في بيت مجهز بالرفوف الخشبية لوضع الكتب.

وفي هذا التاريخ وضع للبقية الباقية منها لائحة تشتمل على 1248 سفرا، أكثرها مخطوط، وبعضها مطبوع، وهذه البقية هي التي انتدبتني للوقوف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة أواخر عام 1973/1293، حيث تمكنت من الاطلاع على ما يقارب ألف سفر، وفي المخطوط منها أمهات من كتب التفسير والفقه والحديث، وبعض من مؤلفات الأصلين واللسانيات، الأدب والتراجم والطب والفلك...

---

5) للتعريف بنشاطه العلمي : يرجع إلى محمد المنوني : «مظاهر يقظة المغرب الحديث» ط.بيروت 233.232/1.

6) «حوالة أحباس وزان» : الجزء رقم 36 : قسم الحوالات في الخزانة العامة بالرباط : ص 98، 130، 142، 145.

7) هذا التعليق من «الروض المنيف...» خ. ع، ك 2304 : 54.53/2، وقد ورد به توقيت وفاة اثنين من قيّمي خزانة وزان.

أحمد بن محمد بن عبد السلام : أرخ وفاته في اليوم الأول من رمضان 1302 هـ.

وعبد الله عم أحمد : يوم الخميس في شوال 1291 هـ.

وذكر نفس المصدر الحاج محمد بن عبد السلام القصري أول الثلاثة، فوصفه بمعرفة التوقيت والطب.

وبين هذه المجموعة قليل من النوادر وأشباه النوادر، وهي التي تقدم نماذج منها حسب تسلسل أرقامها :

259 - **شرح أرجوزة عبد السلام الرندي في استخراج الأعمال الميقاتية بالربع المجيب : الشارح عبد العزيز بن عبد السلام الوزكاني الوزاني** : ثاني عشر مجموع، والشرح مبتور الطرفين، ويتخلله بياض، مع تذييله بجداول موضوعية.

275 - «**انتقاض الاعتراض**» لابن حجر العسقلاني، صنفه بحثا في اعتراضات العيني على فتح الباري، وحالت وفاته دون أن يستوفي الإجابة عنها :

نسخة تامة بخط مشرقي عتيق في مجلد.

341،340 - «**الإشراف على معرفة الأطراف**» : أطراف الست الأربعة، تأليف أبي القاسم بن عساكر : جزءان بخط مشرقي قديم.

356 - «**تعليق على تهذيب ابن هشام لسيرة ابن إسحاق**» : تأليف أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجياني[8] نزيل فاس : في سفر بخط مغربي بتاريخ أواسط شوال : صبيحة الجمعة 1131 هـ، ونقل من نسخة كتبت صبيحة يوم الأحد 10 جمادى الآخرة 727 هـ : كتبها أحمد بن حسن بن محمد الأنصاري، وعقب هذ في النسخة المكتوب منها سماعان.

359 - «**أرجوزة في طريقة العمل بقوس ملة الإسلام**»، والقصد إلى جهاز «ثمن الدائرة» الذي ابتكره الفلكي اللامع : محمد بن المفضل ابن كيران الفاسي، واستخدمه بدلا عن الربع المجيب :[9] سابعة مجموع.

359 - ولنفس المؤلف **منظومة أخرى في موضوع** القوس ذاته، وهي ثامنة المجموع المذكور.

371 - «**ديوان**» محمد الطيب بن مسعود المريني : سادس مجموع.

414 - «**كشف الأسى بمحاسن الصالحات من النسا...**» تأليف محمد بن الوزير أحمد اليحمدي : في مجلد بخط مؤلفه.

8) يرجع هنا إلى بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» : الترجمة العربية 14/3.

450 - «**شرح منظومة تحفة الأبصار في أعمار العقار**» لأبي الفضل العجلاني : الشارح محمد الزوين تلميذ الشيخ عبد الواحد ابن عاشر الفاسي : ثاني مجموع.

501 - «**إتحاف المعاصر برسائل الشيخ ابن ناصر**»، تأليف محمد المكي الناصري : مبتور الأخير، وهو ثامن مجموع.

527 - «**رسائل صوفية**» لعبد العزيز بن خليفة القسنطيني ثم التونسي، عددها 14 رسالة، وهي خامسة مجموع.

532 - «**بيان غربة الإسلام، بواسطة صنفي المتفقهة والمتفقرة من أهل مصر والشام، وما يليهما من بلاد الأعجام**». تأليف علي بن ميمون الإدريسي الغماري : ثاني مجموع.

532 - «**العدة في شرح البردة**» للبقني : أحمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري الغرناطي : رابعة مجموع.

782 - «**تقريب النشر في الطرق العشر**» تأليف محمد بن عبد الرحمن الأزروالي، فرغ منه يوم 9 شوال 975 هـ : في سفر.

903 - «**حاشية على شرح المختصر الخليلي للتتائي**» : تأليف الرماصي : محمد المصطفى بن عبد الله بن مومن الجزائري : في مجلد.

913، 914 - «**شرح المختصر الخليلي**» لمحمد بن قاسم جسوس : الموجود منه مجلدان : الثاني والثالث.

916 - «**حاشية على المختصر الحاجبي الفقهي وشرحه للشيخ خليل**» : تأليف الناصر اللقاني : تامة في سفر بخط مغربي.

980 - «**شرح المختصر الحاجبي الفقهي**»، تأليف عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري : النصف الأول في مجلد.

- «**تكميل التقييد وتحليل التعقيد**» لابن غازي، تتوزع مجلداته بين الأرقام التالية، كل رقم به ملجد :

978 : الربع الأول.

9) عن المؤلف ابن كيران : يرجع إلى «مظاهر يقظة المغرب الحديث» 216-214/1.

991 : نسخة أخرى من المجلد الأول.

989 : الربع الثاني.

993 : الربع الثالث.

990 : الربع الأخير.

992 : نسخة أخرى من الربع الأخير.

☆ ☆ ☆

وبين أصول المؤلفات بخزانة وزان نشير إلى خمسة نماذج :

155 ـ **الخمس الأخير من «صحيح البخاري»**، في مجلد بخط أندلسي عتيق عدا الصفحة الأولى، وكان تمامه في عقب شوال من سنة 505 هـ، كتبه ـ بخطه محمد بن عمر الهوري، وذيله بسنده للبخاري من طريق رواية الأصيلي.

458 ـ **«الكتيبة الكامنة»** لابن الخطيب، في سفر جاء بهامش آخره : «يوجد في الأصول المكتوب منها ما نصه : إلى هنا توجد هذه الكتيبة، ولعل مؤلفها اخترمته المنية قبل تمامها، والله ـ تعالى ـ أعلم».

510 ـ **«الفتوحات المكية»** لابن عربي الحاتمي : السفر العاشر وهو الأخير، بخط شرقي، وجاء بآخره : «وهذه النسخة ـ بأجمعها ـ قوبلت على نسخة بخط مصنفها، مع قراءتها ـ بأجمعها ـ قراءة بحث وإتقان، على برهان الدين إبراهيم الناشري حافظ دار الهجرة : 948».

519 ـ **«ذخيرة المحتاج»** للشيخ محمد المعطي بن الصالح الشرقي العمري، مجلد من تجزئة 48، وهو الأول فيما يظهر، وعند بدايته ونهايته كتبت تقاريظ الكتاب لأعلام الجزائر وتونس وطرابلس بخطوطهم، مع إضافة وضع طابع أحد المقرظين.

784 ـ **الكشاف للزمخشري** : الربع الثاني في سفر بخط أندلسي عتيق، فيكتب البعض آخره : أن خطه لابن بري حسبما تحققه الكاتب من كتبه وتآليفه، والقصد فيما يظهر ـ لابن بري التازي.

☆ ☆ ☆

و من هذه الكتب، نوادر وأصولا، ومن كتب الخزانة على العموم : يمكن أن نعرف جملة من أعلام وزان.

1 ـ بدءا من الشيخ موسى بن علي الوزاني، من أعلام المنطقة خلال القرن الهجري 16/10، وهو كاتب «بيان غربة الإسلام...» لابن ميمون.

2 ـ الشيخ سيدي علي بن أحمد الوزاني الحسني.

3 ـ الفقه الرهوني

4 ـ عبد العزيز بن عبد السلام الوزكاني .

5 ـ سيدي التهامي بن علي بن أحمد الشريف الوزاني.

6 ـ محمد بن علي اللحلاح الحسني.

7 ـ أحمد بن العربي بن حنيني الحسني الوزاني كاتب بعض المخطوطات.

ومن الإفادات عن عبد العزيز الوزكاني والمذكورين في هذه اللائحة : ما يسجله المرحوم محمد بن عبد المجيد أقصبي تعليقا على لم المنوه به، فيذكر عن ولده أنه لقي سيدي علي بن أحمد، وولده الحاج العربي، وعاصر الفقيه الرهوني، ويضيف : وكان قاضيا بوزان، ومشهوراً بابن عبد العزيز.

كما يذكر عن بنت عبد العزيز الوزكَاني أنها كانت تخرج الفرائض العويصة.

وتعليقا على اسم محمد بن علي اللحلاح : نشير إلى أنه ابن المقرئ اللامع في العصر السليماني، وله ترجمة في فهرس ابن حنيين آتي الذكر وشيكا، فيسميه سيدي علي بن حميدان الحسني المدعو اللحلاح، ويؤرخ وفاته - بشفشاون - يوم 24 ربيع الثاني 1263 هـ.

أما ابن حنيني سابع المذكورين في اللائحة، فكان معدودا من أعلام وزان، وكان بقيد الحياة عام 1864/1280، ويعرف من آثاره ثلاثة أوضاع : «الرحلة الوزانية الممزوجة بالمناسك المالكية»، دونها عن رحلته مع أشراف وزان للحج والزيارة عام 1269 هـ، منها قطعة من أولها في الخزانة العامة رقم 1012 ك : ثانية مجموع ص 52 - 110.

الثاني : من آثاره : «كناشة» في حجم صغير، بها إفادات عن حياته.

الثالث : فهرس أشياخه، باسم «زهرة الآس، فيمن لقيته من الناس، بوزان وفاس»، منها مصورة في الخزانة العامة رقم 829، 830.

وبالإضافة إلى أشياخه العديدين بفاس : ترجم لأشياخه ومرافقيه من وزان :

- محمد بن الحاج علي البرنوسي الأصل، الوزاني المنشأ والدار، له معرفة بالفقه واللغة والنحو والفرائض والحساب والتنجيم، مع تواضع، أخذ عن الرهوني، وسيدي علي بن أحمد، وولده الحاج العربي، وتوفي يوم الخميس 8 صفر 1261 هـ.

ومن المذكورين في هذا الفهرس : تراجم لسيدي علي بن أحمد بن الطيب بن محمد، ولوالده وجده وجد والده، مع الحاج العربي.

وتراجم أخرى لمولاي التهامي بن محمد ووالده وأولاده.

ومن المترجمين الآخرين من وزان : محمد بن أحمد الزكَاري ثم الوزاني رفيق المؤلف حضرا وسفرا حسب تعبيره.

ثم محمد بن قاسم الصواف، إمام جامع وزان ومدرسه ومؤذنه نحوا من أربعين سنة، وله يد في العلوم، توفي عام 1240 هـ.

ثم عبد الله بن أبي بكر بن محمد السهلي الوزاني نزيل مكناس، وشارح المرشد المعين.

ثم علي اللحلاح كما تبينا وشيكا.

وخارج وزان استطرد ذكر السيد يوسف الحاج جد الفقيه الرهوني، وذكر أن مزارته بقرب مدشرهم بوسط قبيلة رهونة.



سيشتمل هذا المقال على العناصر الآتية :

أولا : مقدمة.

ثانيا : جهود جلالة الملك الحسن الثاني لصالح الشباب.

ثالثا : الفكر الحسني رسخ الإسلام في النفوس وأعاد صحوة إسلامية علمية وفكرية.

1 - مقدمة :

يرمز عيد الشباب إلى عدة معان وعبر، ظلت تنمو وتكبر في نفوس الشعب المغربي بحيث تشهد كل سنة مظهرا من مظاهر احتفالات الشعب المغربي يكرس حبا تجاوز حد التعبير، وسما فوق إدراك الخيال، ينميه عمل جاد، وفكر ثاقب، وتوجيه صائب، وعلم غزير، وعقل رجيح، وتخطيط محكم، وتنفيذ لا يفارقه الإلهام، يصاحب مسيرة ملك مومن أعد ليكون معجزة دهره، يعمل بدون توقف ولا ضجر، كلما واجه صعبا من صعاب الحياة، امتطى سفينة الجرأة، واهتدى بنور الله، حتى يجعل من الصعب سهلا، ومن البعد قربا، ومن الخيال حقيقة، ومن المستحيل واقعا، فليس إذن والحالة هذه بدعا أن يكون تغنى شعبه به هياما بمحبته وتعلقا إراديا يمر من طريق الاعتزاز بشخصه، فأصبحت بذلك احتفالات الشعب بعيد ميلاد جلالته تعبيرا عن يقظة أمة وانعتاق شعب، وتأسيس نهضة وتأصيل قيم على السلف تلقين الخلف التشبث بها والتربية على الافتخار بها.

واليوم وشعبنا ينعم بنعمة التوحيد، ويجني ثمار نهضة حضارية عملاقة، إذا ما قيست بإمكانياتنا، ومستوى قدرتنا الاقتصادية داخل وسائل الإنتاج العالمية، ثم تشهد البلاد كذلك وثبة علمية وثقافية عكست مفاجآت تجاوزت كل التقديرات والاحتمالات، التي كانت رافدا لكل تصور طموح يهدف إليه المخططون المتفائلون أيام اعتلاء جلالة أمير المومنين الحسن الثاني أيده الله ونصره عرش أسلافه الميامين منذ ستة وعشرين سنة خلت.

ويعيش شعبنا شموخ الاعتزاز بإنجاز آخر حلقة من حلقات الحزام الأمني مكملا بذلك إحكام الطمأنينة على سائر أراضينا المغربية الساقية الحمراء ووادي الذهب، فيكمل بانتهاء الحزام آخر فصل من فصول ملحمة التحدي الصحراوية، ومن أهم المكاسب التي حصل عليها شعبنا

بفضل جهود جلالته هذه الصحوة الإسلامية المباركة، التي أعادت إلينا لمعان مكانتنا في نشر الإسلام، والذب عن قيمه، وتأصيل روحه، وإماطة غطاء التناسي عن وجه أحكامه ونظرياته، لينقذ بني الإنسان من سحيق التخلف، ورذيلة التسلط.

وتبقى الركيزة الأساسية لكل نهضة إنسانية هي الشباب الذي بسواعده يتم البناء، وبطموحه يوضع التخطيط، وبجرأته يقتحم المجهول ليسخر لفائدة المعلوم من مصلحة الأمة.

2 - الجهود الحسنية لصالح الشباب.

منذ نشأة جلالة الملك الحسن الثاني بجنب والده رضي الله عنه انصب اهتمامه على تطوير أفكار الشباب المغربي، وتوجيهه وجهة فكرية وعلمية تمكنه من انتزاع حرية المغرب وبنائه بناء عصريا يكفل له الاحترام والتقدير من طرف الغير.

وهكذا قاد بنفسه الكشفية المغربية، ثم أسس الخلايا الوطنية، بعد أن أعطى النموذج المثالي على تحصيل الشاب الطموح للعلم بجميع ما تحمل كلمة علم من معان قديمة أو حديثة، وما إن دخل في العقد الثاني من عمره حتى أصبح هو المنظر والمحرك لكل تحرك وطني، في فترة امتحان الوطنية المغربية، إذ حين أصبحت سلطات الاستعمار تحاصر القصر الملكي وتحبك وسائل محاولة العزلة على محمد الخامس، الذي أصبح آنذاك يحير أمره كل خبرائها العسكريين والسياسيين، إذ ما منحتهم التجربة ظاهرة تشابه ما أصبح عليه القصر الملكي بالرباط، فلقد أصبح خلية متحركة توجه العمل الوطني، وتغرس بذراته في نفوس شباب الأمة ولما تبحث سلطات الحماية تجد أن ملك البلاد هو الموجه لكل التحركات الوطنية، ولما تندهش مصالح الاستخبارات الأجنبية من دقة العمل الوطني، وملاءمته لأحداث أساليب التحرر المعاصرة تجد أن ولي العهد الأمير المثقف النابغة الذكي الجرئي الخطيب المفوه، هو المخطط لمسيرة النضال كلها، وبقدر ما كان تندهش من حيوية شخصيته وجرأته وإقدامه، بقدر ما كانت تنصب له حبائل الوقوع به، ولكن حفظ الله كان فوق اختيار دهاقنة الاستعمار والحمد لله.

وبفضل تكوين الأمير الشاب ولي العهد آنذاك جلالة الملك الحسن الثاني تم لم شعث صفوف الشباب وعبئ تعبئة مكنته من تحطيم كل أحلام الاستعماريين لهذا البلد، فمن حضوره للقاء أنفا صحبة والده، المنعم زعيم الملوك جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه، في مواجهة أكبر قادة الدول التي تخوض غمار الحرب العالمية الثانية، حتى يجعل منها جلالة الملك الزعيم مناسبة طرح فكرة استقلال المغرب طرحا دوليا، من ذلك التاريخ إلى سفر الأمير الثائر صحبة والده الملك المخلص إلى طنجة ليلقى بها الملك ذلك الخطاب، الذي شكل منعطفا هاما في تاريخ تحرر المغرب، وبعده ألقى الأمير الشاب خطابا ألهب فيه حماس شباب الوطن، ولفت أنظار ممثلي الدول المتواجدين بالمدينة المغربية، التي بلغت أهميتها إلى حيث لم يستطع بعضهم التخلي عن حصته من السيطرة عليها، ولم تلق ما يعكر صفو سيطرتها الاستعمارية قبل خطاب الملك وولي عهده.

من هذه المعالم البارزة في تاريخ كفاح الشعب المغربي، إلى العمل الجاد والشجاع الذي كان يقوم به الأمير الشاب من منزله، إلى الدور الذي قام به صحبة والده أيام المحنة، إذ أصبح الكاتب والمترجم والأنيس والواضع، لاحتمالات مجرى الأحداث المستقبلية وهو يشد أزر والده في أحلك فترة عرفها ملك في تاريخ الإنسانية، قام الأمير الشاب في هذه الفترة بأعظم نشاط وجه الشباب لرصد قدراته واستثمار مواهبه لصالح استقلال المغرب وجمع كلمة أبنائه رغم الفرقة والتجزئة التي أصبحت عليها البلاد بحكم المصالح الاستعمارية ومن خلال جهود ولي العهد المتواصلة أصبح اسمه على كل لسان مما جعل الأمير الشاب معقد آمال كل شباب وطنه والأمة العربية جمعاء.

ثم تضاعف اهتمام جلالته بشؤون الشباب مع مطلع الاستقلال بفضل جهاد العرش والشعب، فقام ولي العهد آنذاك بنفسه محفوفا بجحافل الشباب المغربي يقود أهم عملية تحدى بها المغاربة عهد الاستعمار، وأدخلوا بها عهد

العمل والجد والبناء عهد الاستقلال حين قاد ولي العهد المحبوب الأمير الحسن عملية التعبئة الوطنية أثناء بناء طريق الوحدة، ويوظف مواهبه، وقدراته العلمية والفكرية وتجربته النضالية لتأسيس جيش مغربي يؤطره الشباب المغربي مستلهما تجربة من سبقت لهم تجارب من أبناء الوطن الصالحين، وما أطل الشهر الخامس من سنة 1956 حتى كان الأمير الشاب يقود بنفسه أول استعراض تعرفه المملكة المستقلة لجيش عصري لم ينس تجارب الجيش المغربي عبر تاريخه الطويل، ولكن بفكر الأمير الشاب دكتور القانون وخطيب عصره، ومفكر وقته تبرز معلمة جديدة جسدت طموح أمة وعظمة قائد، وثمار نضال ومعقد آمال مستقبل، وبرعايته وقيادته وتخطيطه بقيت القوات المسلحة الملكية شابة في قوتها أصيلة في تجاربها، علمية في تكيفها مع أعقد تقنيات المستجدات الحربية، وما جدار الأمن الذي أصبح خبراء العالم ينادون بجعله تجربة عسكرية رائدة إلا خير دليل يبرهن على اهتمام جلالته بشؤون شباب بلده، والعمل على تطور أفكاره وتفجير طاقات جذوة حماسه.

وإذا ما ألقى الفاحص أو غيره نظرة على أوضاع المغرب اليوم، وقارن بين الإمكانيات والوسائل وبين المتطلبات والمنجزات فسيحكم بأن رصيدا آخر توفر عليه المغرب خلال فترة حكم صاحب الجلالة ليس معبرا عنه من خلال المحاضر والأوراق والسجلات، وعندما يمعن في البحث سيدرك أن المعادلة كان ينقص أصحابها سنة 1961 عدم تسجيل دور عبقرية جلالة الملك الحسن الثاني أثناء تحضير أي برنامج من برامج تنمية هذا الوطن الشاب في سن أبنائه وتخطيط إنمائه، وتحرير واسترجاع أجزائه، ومن هنا أخذ اهتمام جلالته بالشباب يستقطب كل القطاعات وشتى المجالات تبرز ذلك الاهتمام خطبة واحدة من خطب صاحب الجلالة الملك التي ظلت منارة هدي ترسم طريق العمل السليم لشعب أدرك مبتغاه في ملكه الذي أعطاه شبابه، وكفاءته وبعد نظره. أنني اخترت أن أجعل محور هذا الحديث يدور حول بعض الفقرات من خطاب جلالته يوم الأحد (7 جمادي الثانية 1393) (8 يوليوز 1973) حيث قال :

«شعبي العزيز : ها هي سنة جديدة قد أطلت علينا بعد ما انصرمت سنة مليئة بالأعمال الجليلة والمنجزات، مليئة بما وعدنا به شعبنا العزيز، على أن السنة الماضية كانت سنة بعث إسلامي.

وقد حاولنا جهد المستطاع أن نحقق هذا الهدف، وإن كان البعث الإسلامي في نظرنا لا يمكن أن ينحصر في سنة أو سنتين، ولا حتى في جيل، بل عليه أن يبقى بعثا ممتدا مدى العصور ومدى القرون، في تجدد وابتكار وخلق وتجديد.

وقد أردنا أن نعطي للسنة المقبلة هاته التي أشرفت علينا وتطل علينا أن نعطيها مدلولا خاصا بها، فأردنا أن تكون سنة الانطلاق الاجتماعي والاقتصادي المبني على اشتراكيتنا الإسلامية، الاشتراكية المغربية، تلك التي ترمي إلى إيجاد الثروة فتوزعها أحسن توزيع، لا تفقر الغني بل تغني الفقير، ولكن هذا التوزيع وهذه الاشتراكية، وهذا التعادل بين أطراف المجتمع المغربي تاجرا أو فلاحا كان، لا يمكن أن يكون له مدلول أو أن يعتمد على قاعدة متينة مادام مفتقرا إلى أطر، وإلى شباب وإلى سواعد، لذا خاطبنا وزيرنا الأول وأرسلنا إليه أوامرنا مكتوبة حتى تجند الشباب وطاقات الشباب للعمل في إطار الإدارة المغربية لنتمكن من سد العجز والنقص الذي يلحقنا.

وإنني لا أريد ولو في فرصة وجيزة أن أشرح لك شعبي العزيز وشبابنا العزيز ما هي الأسباب التي دفعتني إلى أخذ ذلك القرار الذي من شأنه أن يجند الطاقات للعمل سنتين في الإدارة ذلك أنه كما سبق أن قلت في خطابي المكتوب، إن الحاجيات تتكاثر وتتراكم كل سنة ذلك أن النسل يتزايد، ذلك أن تدخل الدولة ذلك التدخل المطلوب والمرجو، لا ذلك التدخل الديكتاتوري المتعنت المتعسف، بل التدخل الضروري الواجب أن يكثر كل سنة، فهو كل سنة ينتقل من الميدان الصحي إلى الميدان الاجتماعي إلى الميدان النقدي، ثم الصناعي والتجاري، أو

الصناعة التقليدية، فنرى أن تدخلات الدولة عليها أن تكون باستمرار الأخذ بيد الرعايا، علينا أن يكون أخذا مستمرا غير منقطع ولا سيما أن مغربة القطاع الخاص من شأنها أن تجلب إلى القطاع الخاص ذلك الشباب، الذي كان ربما يرغب في العمل في أطر الإدارة، لذا رأينا لزاما علينا أن يعطونا سنتين من عمرهم يعملون بجانبنا لنتعرف عليهم ويتعرفون علينا، ويتعرفون على مشاكل أمتهم وبلدهم ووطنهم، ويتعرفون على ما تلاقيه الدولة من عراقيل بين متطلباتها وبين إمكانياتها، ولا سيما أننا ربما سنجد من صفوف أولئك الشباب من سيطيب لهم العمل في الإدارة».

انتهى الاقتباس من الكلام الملكي السامي.

وقبل هذا بمدة وجيزة كان جلالته قد وجه رسالة بتاريخ 6 مايو 1973 إلى الوزير الأول آنذاك الأستاذ المحترم أحمد عصمان يعطيه فيها أوامره السامية لإحداث الخدمة المدنية.

وكل هذا إذا أضيف إلى النشاط الذي حظي بحصة الأسد من ميزانية الدولة من أجل تشييد المدارس والمعاهد الثانوية والجامعات، يوضح الاهتمامات الدائمة والجهود المتواصلة لغاية واحدة هي تكوين شباب متعلم متحضر شاعر بمسؤولياته مقدر لظروف بلده.

إن هذه الجهود التي خطط لها وقاد عملية تنفيذها جلالة الملك العالم أصبحت تؤتي أكلها في شتى المجالات، فجيش الأمة الذي هو واجهة افتخارها، ومحط آمالها لصيانة مكاسبها من وحدة أراضيها إلى ضمان أمن كل فرد من أفرادها، أصبح كله يتكون من شباب جله أخذ من وسائل التعليم بما يضمن تطوره وتجدد قواته فكريا وعسكريا وتقنيا.

والإدارة المغربية أصبحت تسير بحيوية الشباب المتأهل لتبوء كل المناصب بكل جدارة، مما جعل الأمل معلقا على أن يكون العطاء في تزايد متنام، وحركة عارمة تمج الركود، وتنبذ الروتين المميت، وبفضل السياسة الحسنية أصبح شباب الأمة المغربية يفرض نفسه في شتى مجالات المعرفة داخل الوطن وخارجه، فنجد مغربيا ابتكر طريقة علاج لداء ما بوسيلة جد متطورة، وآخر حصل على أكبر جائزة في استقطاب النتائج العلمية لحالة من الحالات المستعصية قبله على الباحثين والمهتمين، كما أصبحت الجامعات المغربية تفخر بجيش الشباب من الدكاترة في شتى المجالات يلقنون لطلبتهم شتى أنواع المعارف، معيدين بذلك للمؤسسات العلمية المغربية سابق مجدها وتليد دورها كمنطلق إشعاع علمي في هذا الجناح من العالم.

ومن خلال اهتمامات جلالته بشباب وطنه احتل المغرب مكانة شرفت العرب والأفارقة في شتى التظاهرات الرياضية عبر مختلف القارات واللقاءات، حتى أصبح الشباب المغربي نموذجا لإدراك إحدى دول العالم الثالث مكانة حضارية ممتازة.

وما تزخر به المكتبات اليوم من بحوث جامعية، وكتب متخصصة وأخرى تهم العلوم الإسلامية والإنسانية بصفة عامة كلها تترجم المستوى المرتفع الذي وصل إليه الشباب المغربي بفضل قيادة الملك الشاب الذي جعل من قضايا الشباب أول اهتماماته، ورأس هرم عمل حكومته، فبلغ بذلك الشباب المغربي درجة من الوعي والتعلم والعطاء والمشاركة في شتى المجالات لم تكن تخطر على بال أحد، وإذا كان المجهود الذي بذل لإدراك ذلك ضخما فإن النتائج التي ترتبت عليه مشرفة رفعت من شأن المغرب، وأحلته المكانة السامية بين مختلف دول العالم.

لقد أبرزت الفقرات التي أوردتها من خطاب صاحب الجلالة معالم أساسية، ومبادئ راسخة لا تمكن الإحاطة بها في هذا المقال.

فجلالة الملك بعد أن جعل من السنة التي سبقت سنة الخدمة المدنية سنة التعبئة الإسلامية، إذ ظلت أجهزة الدولة خلال سنة 1972 جادة في سن كل الطرق التي من شأنها أن تطبع كل العمل في شتى المجالات بالطابع الإسلامي، مما مكن والحمد لله من تكوين شباب قوي العقيدة، مدرك لجدوى انضوائه تحت مذهب واحد، واع بما تمد به الوسطية الإسلامية من تبصر في السلوك، وترفع في

القول، واتزان في التحرك، فنبذ بذلك من على وجه الأرض المغربية كل غلو في المعتقد، أو تزمت في الممارسة، أو تطرف في التصور والبحث والحوار.

وبعد أن أصبح الشباب المغربي بفضل السياسة الحسنية الرشيدة شبابا ينهل من مؤسسات تخدم الإسلام من خلال توجيهاته الصحيحة دون تفريط ولا إفراط، وبعد أن تمت الإجراءات السياسية والوطنية والإدارية لمغربة القطاع الخاص بالمملكة، أدرك جلالته ما سيترتب على ذلك من استقطاب القدرات الشابة، وحتى لا تستلب من جهات التعامل التي ستفرض عليها أعمالها التعامل معها رسخ في نفوس ذلك الشباب الروح الإسلامية عبر الشخصية المغربية التي ظلت متميزة بمكاسبها الحضارية وفتوحاتها الإسلامية وأعمالها الإنسانية، مما يحتم فتح كل الفرص التي تجعل الخلف يسير على أثر السلف.

ونظرا لطبيعة القطاع الخاص والأيادي التي كانت تسيطر عليه أدرك جلالته أن تخرج الشباب من الجامعات مشبعا بالنظريات العلمية، التي يستمد غالبها من أصول غير إسلامية ولا مغربية شأن المغرب في هذا شأن بقية دول العالم الثالث، من شأنه إذا بقي بعيدا عن معرفة كثير من حقائق وطنه أن يصبح يوما ما مغربيا في جنسيته وشهاداته، ولكنه بعيد بوجدانه وتصوره وطموحه، وطريقة تعامله مع مستجدات الحياة بعيد في كل ذلك عن كثير من الحقائق المغربية.

وللحيلولة بينهم وبين هذه الظاهرة التي ستفرغ تكوينهم من محتواه الوطني. أحدث جلالته الخدمة المدنية التي ظلت من خلالها الدولة تضيف إلى التكوين النظري الذي تلقاه الشباب في المؤسسات العلمية الجامعية، تكوينا آخر تطبيقيا يطرح بين أيديهم وأمام أعينهم الواقع بصوره التي تتحدى العلم والتحليل النظري في كثير من الحالات.

وهذا ما عبر عنه جلالته بقوله : «ويتعرفون على مشاكل أمتهم وبلدهم ووطنهم، ويتعرفون على ما تلاقيه الدولة من عراقيل بين متطلباتها وبين إمكانياتها».

وقد ابتكر جلالته في هذا الخطاب نهجا ماديا جديدا كان جديرا بنا نحن المغاربة أن نبرزه في شتى الطموحات والنظريات الاقتصادية بصفة مستمرة، فقد قال جلالته بأن الاشتراكية المغربية تهدف إلى إغناء الفقير وترك الغني غنيا، لا أعلم فيما سمعت أو قرأت بملك أو رئيس أو زعيم أو مصلح استطاع أن ينادي بهذا المبدأ الاقتصادي قبل جلالته، وانطلاقا من السلبيات التي حالت بين كل واحد من النظامين الاشتراكي والرأسمالي، وبين بلوغ أهداف ذويه، وبعدهم كل البعد عن تحقيق الأهداف التي ينادي بها، فإنه ومن منطلق الوسطية الإسلامية التي اقتبس منها جلالته هذا المبدأ، فإنه ينبغي أن يوضع هذا المبدأ على بساط التحليل العلمي لسن الوسائل النظرية التي تجسده ليدرس في الجامعات، مع اتخاذ تجارب المغرب نموذجا لتطبيقه، ومن ثم ستخلد النظرية الحسنية كنهج وسط بين النظريتين الاشتراكية والرأسمالية.

3 - دور جلالة الملك في ترسيخ الإسلام وبعث صحوة إسلامية علمية وفكرية:

في الخطاب الذي تمثلنا بفقرات منه قال صاحب الجلالة بأن سنة 1972 كانت سنة بعث الوعي الإسلامي، ثم قال نصره الله «بأن البعث الإسلامي لا يمكن أن يتم على امتداد سنة»، ولا حتى على سنوات، لأنه عمل استمراري لا يمكن أن ينقطع، فإن جلالته استمر في الرفع من شأن الإسلام فكرا وعقيدة وحضارة، ذلك أن جلالته أول من دعا إلى عقد مؤتمر إسلامي جمع بين مختلف قادة الدول الإسلامية، وهو الذي أسس دار الحديث الحسنية لتبقى منارة إشعاع فكري تمد الساحة بخيرة العلماء الذين سيحسب لهم حسابهم على امتداد الرقعة الإسلامية التي قليلة جهة منها ما انتمى أحد من أبنائها لتلك المؤسسة، وهل يمكن أن يرصد عمل لصالح ترسيخ العقيدة الإسلامية أكثر جدوى أو أعظم مردودية من الدروس الحسنية التي حرص جلالته على ترأسها في كل شهر من شهور رمضان الأعظم !؟

إضافة إلى كل ما سبق، فلم يبق إلا القليل من دول القارة الإفريقية التي لم ترتفع فيها مآذن مساجد كان لجلالته الدور الأعظم في تشييدها، وبقيت شاهدة على عظمة الفن المعماري المغربي، وأن من أهم المنجزات لصالح ترسيخ الإسلام في نفوس الشباب، وتطوير العمل لصالح الاستفادة من الصحوة التي يشهدها في شتى أنحاء المعمور هو إحداث شعبة الدراسات الإسلامية في كليات الآداب، فأصبحت بذلك جميع المؤسسات الجامعية التي تهتم بالعلوم الإنسانية يتخصص فيها طلبة في الدراسات الإسلامية، وهذا من شأنه أن يمد بلادنا بطاقات تضلعت من شتى ألوان المعرفة المعاصرة والإسلامية، ومن ثم سيجعل المغرب مركزا من مراكز قيادات الفكر الإسلامي لا تخبو جذوة إشعاعه ولا تنطمس أشعة شمس علومه.

والخلاصة فإن جلالة الملك فوق طاقة التعبير واعظم مما تجسد مواهبه الدراسات أو يلم القلم بكل عطاءاته، فهو عالم المسلمين اليوم، وعبقري المفكرين، ومجدد الإسلام مع مطلع هذا القرن.

إن من تذكر نضال جلالته لابد أن يحكم أن في أمره معجزات، إذا خفي جلها فإن المسيرة الخضراء التي أرجعت للمغرب حقه في استرجاع أراضيه الصحراوية التي ظلت وستبقى سيادته عليها قائمة غير قابل للتفويت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إن تلك المسيرة التي أدهشت إنسان القرن العشرين، ولا شك أنها ستكون كذلك بالنسبة للقرن الواحد والعشرين، والتي كانت مؤطرة في أغلب جحافلها بالشباب لتبرز أن جلالة الحسن الثاني عظيم الإنسانية، وحكيم الملوك، وعبقري الأذكياء، أمد الله في عمره، وخلد في صالح الأعمال ذكره، وأقر عينه بولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد، وبصنوه السعيد مولاي رشيد وكافة أفراد الأسرة الكريمة.

إنه سميع مجيب.

• • اقتضت حكمة الله أن يضع على عاتق خلفاء المسلمين وأمرائهم أمانة خلافته في الأرض فجعل بذلك على رأس مهامهم مسؤولية الذود عن الشريعة والحفاظ على الدين وحماية المجتمع الإسلامي من كل زيغ أو ضلال مبين وقد امتاز المغرب الإسلامي بتعاقب ملوك بررة جعلوا الحفاظ على الإسلام والدفاع عنه فيما وراء البحار، ونشره فيما جاوره من الأقطار مهمتهم الأولى، وتثبيت تعاليمه في النفوس غايتهم المثلى، ومن بينهم ملوك شرفاء من آل البيت الكرام، في طليعتهم أسلافنا الملوك العلويون المنعمون في دار السلام • •

جلالة الملك الحسن الثاني

دور الشباب في مغرب الحسن الثاني

للأستاذ خليفة المحبوطي

ويحل عيد الشباب، وكلما هلت طلائعه، هفت القلوب داعية ومتمنية، أن تبقى الأيام مدى الدهر شبابا، في حياة هذا البلد الآمن الآمل المتطلع إلى المعالي والمفاخر.

فالشباب عمدة الحاضر، وذخيرة الغد، وجسر المسير، ومن ثم كان تكريمه بعيد حافل كل سنة، هو يوم ميلاد صانع المغرب الحديث، وقائد نهضته المباركة، ورائد مطامحه وآماله، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني.

وإذا كانت الأعياد لإحياء الذكريات، أو لإذكاء روح الانبعاث والتماس العبر، أو لتكريم الرواد والقادة والأبطال، فمن حق الذي منح البلاد حياة جديدة علينا، أن نخلد عيد ميلاده بالمباهج والأفراح، عرفانا بالجميل، وتقديرا لحسن القيادة، وشكرا له على ما وفقه الله إليه من صالح الأعمال لخير شعبه ووطنه.

وياليتنا نملك أكثر مما نملك لإظهار فرحتنا بعيد ميلادك يامولاي، وما أشبه حالنا بحال أبي الطيب منذ ألف عام، يوم تحسر على ضآلة هديته لملكه !! فهذا الذي نرى ونشاهد من صروح النهضة ودعائمها، تم على يدك، وتحت نظرك، وبسديد توجيهاتك.

وقد يقال إن الشعوب هي التي تبني الأوطان، وهي التي تنسج التاريخ، وهي التي تتحرك عبر مراحل التطور، ولكن ما قيمة هذه الأوطان إن كانت تعوزها القيادة الرشيدة ؟ ومن يخطط فيها لنسج هذا التاريخ ؟ ومن يحرك هذا الشعوب ويدلها على أسهل المسالك ؟.

فمن الوفاء أن نفرح في عيد ميلادك، أيها الملك الهمام، والفرح تفاؤل واستبشار، واستمداد لحيوية الأفكار والقلوب. وما فائدة الحياة إن خلت من التفاؤل والآمال ؟ وأي حياة هي حياة الحزانى والقانطين والمتشائمين ؟ وماذا جنى هؤلاء الخاسرون ؟ وماذا جنى غيرهم من اليأس والقنوط ؟

ومن واجب الشباب أن يجدد ثقته بنفسه وببلاده، وأن يزداد تعلقا بك كلما حل عيد ميلاك، لأنه كان الشاغل لك ومحط اهتمامك ورعايتك، ومنذ الخطوات الأولى في عهدك الزاهر، يوم بايعك شعبك ملكا وإماما.

ولا أدل على هذا، مما ورد في خطابك السامي، بدار السلام، بمناسبة إعلان التعبئة الإجبارية المدنية، يوم الأربعاء : 14 محرم عام 1381 هـ الموافق ليوم : 18 يونيو سنة 1961م. (يراجع انبعاث أمة ج 176/6. المطبعة الملكية 1960 ـ 1961).

ففي هذا الخطاب المنيف، كانت البداية مع الشباب في الفكر الحسني، ولكن على مستوى القيادة، إذ كانت لجلالته اهتمامات بالشباب ومجالاته، لما كان ولي عهد لأبيه العظيم، فشاركه معاناته وهو يصارع عدوان المستعمر، وبنى معه وبالساعد والجهد والعرق، طريق الوحدة التي كانت الخطوة الأولى في استنفار الشباب ثم توالت بعد ذلك لقاءاته الميمونة مع الشباب، في تكوين الجيش وتطعيمه بالشباب وفي تأسيس الأمن الوطني وتأطيره به.

وما مرت الشهور الأولى لتوليته جلالته مقاليد الأمر، حتى كان هذا الخطاب في اجتماع دار السلام، حيث خص الشباب بأهم محتوياته فركز على نقط ثلاث، هي :

ـ إشراك الشباب في شؤون البلاد.

ـ دعوة الشباب للعمل من أجل بلوغ الأهداف.

ـ أمثلة لأنواع الخدمات المتطلبة من الشباب.

☆ ☆ ☆

ففي النقطة الأولى قال حفظه الله :

(إن المغرب بحكم حداثته يتكون السواد الأعظم من سكانه من شبان، لا يزيد عمرهم على العشرين سنة، ولذا وجب إشراك شبان البلاد في جميع شؤونها، لنذكي فيهم تلك الحيوية التي أعوزتهم طيلة السنوات الأخيرة).

ونخرج من هذه الفقرة بثلاثة عناصر : فسكان المملكة جلهم من الشباب، ومن ثم وجب الاعتناء بهذا السواد الأعظم من سكانها. ومن هذا الاعتناء الذي تكون بدايته التأهيل والإعداد والتكوين، تأتي مرحلة إشراك شباب البلاد في جميع شؤونها، ثم إن الإشراك في شؤون البلاد، من شأنه أن يذكي الحيوية وروح الحماس في هؤلاء الشباب، ويفتح أذهانهم ويساعد ما بينهم وبين الآفاق الكثيرة التي تترصد من كان في مثل عمرهم، ويصقل مواهبهم ويدفع بهم إلى مافيه نفع لهم، ولوطنهم الذي من أوجب واجبات البرور عليهم في حقه، خدمته وإعلاء شأنه والسير به في إطار المشروعية إلى الأمام.

حقا إن رعاية الشباب مسؤولية وأمانة، فتكوينه ربح واستثمار وضمان لسلامة الوطن، ورعايته وتعهده بشغله بما ينفع، صيانة له من التردي في المهالك والشغب والمهاترات، وربما من الانزلاق في متاهات، لا تعود عليه ولا على وطنه بخير في أحسن الأحوال.

وقد كان رائد الشباب أعزه الله، وفيا في تعهده لهذا الشباب، فبنى له المدارس التي احتضنته وهو في اليفاعة أو دونها، وأسس له المعاهد العليا والمؤسسات الجامعية التي أكملت تثقيفه وتوجيهه، وفسح له بالتشريع مجالات الحرية، فتعددت لديه الجمعيات الثقافية والاجتماعية والرياضية، وأدت هذه الأخيرة دورا كان له مفعوله، في ملء فراغ الوقت الثالث لدى شبابنا.

وفي التوعية الوطنية، فبالإضافة إلى تعدد الهيئات السياسية، والمنظمات المهنية والنقابية، التي من شأنها أن تقوم بالتوعية السياسية والتربية الوطنية، من حيث التمرس والاحتكاك بالقضايا والمشاغل السياسية والنقابية، فإن المسيرة الخضراء، كانت مدرسة قائمة بذاتها في الوطنية، وكان الشباب أول من انشغل بها، وترامى مندفعا في حماس عز نظيره في أحضانها، وكان له النصيب الأوفر في تأطيرها، كما كان له وما زال حظ مشرف، في الاضطلاع بمسؤوليات ما بعد المسيرة الخضراء.

إنه تعهد ورعاية مستمران يتلقاهما شباب مغرب الحسن الثاني، ومن جلالته نفسه حفظه الله، يستمر هذا التعهد والرعاية. وقد ساعدت العناية في إبراز النتائج المحمودة، لدى كثير من شبابنا، عوامل أخرى من مقومات الشخصية المغربية، وأهمها الأصالة؛ فالشعب المغربي أصيل، ويطيب التذكير بهذا في غير وجل، وليس هو من قبيل شهادة الأم والخالة بجمال العروس... وشباب المغرب سليل أرومة زكية طيبة، ثم هو ثمارها وزهرها وأريجها الفواح.

إنه شباب مؤمن بنفســه، مسلم في انتمائــه، وفي وطنيته، معتد بمؤهلاته، متأن في مبادراته ومواقفه، حاسم غير هياب في الدفاع عن كرامته، وعزة قومه وشرف بلاده.

قد يقال ما بال هذا ؟ وعما يتحدث ؟ أيحسب نفسه يتكلم عن نوع من الملائكة في شباب مغرب الحسن الثاني ؟ رويدك لا تندفع جموحا في عاطفتك، رويدك لا تفرط في كيل المديح لشباب بلادك !!

فللقائل أن يقول ما يريد، فلست الخائف من النقد، وما تعودته نفسي وما هو طبعها فلدي من الأدلة ما يشفع لي بهذا الذي أقول في شباب بلادي.

حقا إنه ليس لدينا شباب من الملائكة، ولكن لدينا شباب من خير شباب الدنيا، وإن كان ثمة استثناء عند من شذ، وهو لقلته عديم النسبة في الحساب. والاستثناء في التخلف في الوعي، ليس مرهونا بسن الشباب، ففي الكهول والشيوخ يوجد عندنا وعند الناس، من توقف بهم النضج في سن الطفولة الأولى، ولكنه ظاهرة لا تبلغ ما يطلق عليه لفظ نسبة، في الشعوب العريقة الأصيلة.

وإذا فلست أتكلم عن الشواذ، وإنما أكتب عن الصحة لا المرض، عن الذين كانوا في آبائهم وجدودهم الحماة الأباة، والذين أصبحوا بعدهم وبفضل الله، وجهود الحسن الثاني رعاه الله، الوارثين لتلك الخلال.

هؤلاء هم الذين أكتب عنهم، وهم شباب عهد الحسن الثاني، وهم الذين عناهم بالإشراك في شؤون البلاد، في الفترة السالفة الذكر من خطابه الكريم، حيث قرر جلالته ضرورة إشراك الشباب في إعلاء صرح مغرب الحسن الثاني.

☆ ☆ ☆

وفي الفقرة الثانية مما ورد في الخطاب الملكي، في شأن الشباب المغربي الناهض، نجد سيدنا أعزه الله، يوجه دعوة أبوية كريمة، فيها دفء الأبوة وحنانها وصفاؤها ورعايتها... دعوة سامية عامة لشباب البلاد، ليعمل من أجل بلوغ الأهداف الكفيلة بتقدم الوطن وازدهاره.

قال جلالته أطال الله عمره :

(أدعو شباب البلاد بدون استثناء، شباب المنظمات السياسية والنقابية، للعمل من أجل بلوغ أهدافنا القومية المتوخاة).

أجل إنها دعوة عامة عريضة تند من أعماق قلب كبير، مشبع بروح الحرية، هذه الفتانة الخلاقة العجيبة التي هي كالماء والهواء عند الشعوب الحية المتحضرة وهي عينها التي أوجبت تعدد الهيئات السياسية والنقابية في مغرب الحسن الثاني.

والملك، وهو عندنا في المغرب أمير المؤمنين، ما كان أغناه عن الواسطة الانتمائية في خطاب الشباب عبر الأحزاب والنقابات.

كان في إمكان جلالته أن يخاطب أي فئة من شعبه، دون صفة من الصفات، ولكنه وهو الحر الأصيل الذي خاض غمار المعارك إلى جنب والده المنعم من أجل الحرية، يعرف قيمة الحرية، ويدرك بعمق مفعولها العجيب، وأثرها الكبير في نفسية الشعوب، وأعني الشعوب التي تأبى الذل والهوان، ومنها الشعب المغربي العظيم.

إنها مميزات مفهوم الملك، في الدولة المغربية على امتداد التاريخ، ومن أبرز صفات ملوك المغرب إنهم كانوا ملوك عدل، وما عرفت بلادنا في مختلف الحقب ملوك جور وجبروت.

والحسن الثاني أمد الله في حياته، ورث صفات ومميزات القيادة الرشيدة، التي هي سمة مفهوم الملك في المغرب.

فدعوة الشباب للعمل، هي دعوة مفتوحة، لا يحدها قيد، ولا يحجبها استثناء، ويريد الملك الواثق من نفسه وشعبه، أن تكون الاستجابة له حرة غير مكبوتة.

وكانت الاستجابة، فتجند شباب مغرب الحسن الثاني، واضطلع بدوره في صدق وإخلاص للإسهام في رفع دعائم النهضة والتقدم، فأقبل جادا على التعليم، وأطر أجهزة الأمن والدفاع لصيانة الوطن، وبنى السدود والموانئ، وشق الطرق وطور وسائل الإنتاج... وعمل وما يزال يعمل في صمت وتواضع، مهتديا بقيادة رشيدة ذات كفاءة عالية، هي كفاءة ملكه الشهم، ومقتديا بأخلاق وأعراف وعادات أسلافه المغاربة.

وشبابنا في هذا كله، يتمتع بحمد الله بحاسة وطنية فريدة، فهو متفتح على أفكار وتجارب الآخرين، ولكنه معتز بقيم شخصيته الوطنية، ومعنى ذلك أنه ليس ذنبا أو بوقا أو إمعة أو مفتونا بغير مغربيته.

فشباب مغرب الحسن الثاني، له في الإسلام ما يعصمه ويغنيه عن الافتتان بغيره، وله في بطولات أسلافه قديما وحديثا، ما يجلي الغشاوة عن بصره فلا ينبهر بالذي هو أدنى، ثم إن له رصيدا من الثبات والاعتدال والاتزان، يحفظه من التهور والاندفاع والتهريج.

☆ ☆ ☆

ونجد بعد هذا الفقرة الثالثة من الخطاب، حيث حدد فيها جلالة الملك الرائد، مجال العمل للشباب اليافع، لشغل الوقت الثالث، فحدد ذلك في الميادين الآتية :

- عملية الحرث.
- عملية التشجير.
- محاربة الأمية.
- مساعدة العمال في البوادي والحواضر.

ثم أمر أن يكون هذا العمل الذي يناط بعهدة الشباب، تحت إشراف وتوجيه مرشدين اجتماعيين وأساتذة، وإطارات الجيش والمهندسين من الشباب.

واستجاب الشباب للدعوة فعمل في مختلف الواجهات، واحتضنت عمله يد الرعاية في أجهزة الدولة، تنفيذا للتوجيهات السّنية.

ونحن كمغاربة عرفنا بالطموح، وقد لا يقنع طموحنا بما كان وما هو قائم من عمل شباب مغرب الحسن الثاني، فما تزال بنا حاجة إلى مزيد من ترشيد الشباب، وشغل أوقات الفراغ عند اليافعين من شبابنا صيانة لهم في شيمهم ومكارم أخلاقهم، وحرزا لهم من الضياع في متاهات الباطل ويا ما أكثرها، ويا ما أضخم عدد ضحاياها في الناس... وعدوى الضياع كعدوى الأمراض المعدية، فهذه تنقل باللمس والاتصال، وتلك بوسائل أشد فتكا وتنكيلاً، لأنها لا تحس ولا ترى، ولا ينكشف أمرها إلا بعد أن يكون قد فات الأوان..

☆ ☆ ☆

وبعد، فهذه كلمة عن دور شباب مغرب الحسن الثاني، وهي إسهام متواضع بمناسبة عيد الشباب، وأكرر أني ما كتبت عن «أوتوبيا» أو مدينة فاضلة في الخيال ولا عن نوع من الملائكة في البشر، ولكني كتبت عن المغرب وهو موئل حضارة، له مكانته في الشعوب ذات الحضارة، بين بلدان البحر الأبيض المتوسط، وكتبت عن المغاربة، وهم ذوو عراقة وأصالة ومهارة في بناء الحضارة.

أما الملك المصلح الداعية في شعبه وشباب بلاده، والموجه الرائد المحنك المقتدر، فما رُمْتُ مدحه، ويا ليتني أقدر ! لأن شخصيته الفذة فوق المدح، وأنى من شأوه وعلو مكانته مدح الأقلام !!

وإني وإن فاتني أن أدرك المدح فيه، فإنه لا يفوتني الاقتدار على الدعاء له، بمزيد من التوفيق، وبمزيد من النصر، وبمزيد من السداد، في القول والعمل لخير شعبه وبلاده.

من أعلام سبتة :

محمد بن القاسم الأنصاري السبتي ومؤلفاته

للأستاذ عبد الله المرابط الترغي

وإذ أشكر الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور أولا على هذا الاهتمام الذي قابل به رسالتي فهارس علماء المغرب، أود أن أجدد له الشكر ثانيا على ما حفزني به لاستكمال حلقة البحث في ترجمة هذا الرجل، ومحاولة استدراك ما يجب أن يستدرك من نسبة مؤلفاته إليه. لاسيما والمناسبة التي كتب من أجلها مؤلفاته ما فتئت ماثلة، وما تزال ظروفها قائمة. فقد كان محمد بن القاسم الأنصاري بكتبه التي سنتحدث عنها أعلى الأصوات المغربية مطالبة بتحرير سبتة غداة اغتصابها سنة 818 هـ.

فقد عاش الحدث الدامي ورأى فيه ما رأى من هتك لمفاخر سبتة الروحية والعمرانية، وضياع لوجودها المغربي، فألف مؤلفاته وواقع حاله ينادي بالنخوة المغربية لتسترجع ما اغتصب، وتعيد ما أهدر، وتحمي ما انتهك. فما أحرانا اليوم أن نتمثل أهداف كتابات الرجل وما يزال البعض منها ماثلا بين أيدينا نتداوله.

مؤلفاته :

أثار الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور في المقدمة التي صدر بها كتاب (بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب)[1] الحديث عن الكتاب والبحث عن مؤلفه المجهول. وقد جره الحديث إلى العجب عما اطلع عليه في رسالتي الجامعية (فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني

1) صدر الكتاب بالرباط عن المطبعة الملكية سنة 1404 / 1984 بتحقيق عبد الوهاب بنمنصور.

عشر للهجرة)[2] من نسبة الكتاب (بلغة الأمنية) إلى محمد بن القاسم الأنصاري،[3] فقال : فإذا علمنا من كل ما تقدم أن كتاب (بلغة الأمنية) ليس فيه ذكر لمؤلفه، ولا فيه من الإشارات أو التلميحات مايسهل التعرف عليه، أخذنا العجب مما ذكره الأستاذ عبد الله المرابط الترغي في أطروحته القيمة المسماة «فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة»، من أن مؤلفه هو محمد بن القاسم الأنصاري. ذكر ذلك في غير ما موضع من أطروحته. بل أفرد محمد بن القاسم الأنصاري بترجمة خاصة ذكر فيها أنه مؤلف (الكواكب الوقادة)، و (برنامج المرويات)، ولم يشر فيها إلى أنه مؤلف (اختصار الأخبار). ولعل الأمر أشكل عليه والتبس، إلا أن يكون له مرجع صحيح صريح يستند عليه، وما أحسب الأستاذ الترغي يلقي الكلام على عواهنه، فقد ساق في آخر أطروحته مجموعة قيمة من الكتب الغميسة والأخرى المطبوعة اعتمد عليها في بحثه. فإذا كان فيها شيء فاتنا أن نطلع عليه، واطلع هو عليه يثبت أن مؤلف (بلغة الأمنية) هو محمد ابن القاسم الأنصاري، يكون بعض الكلام الوارد في الصفحات المتقدمة غير ذي موضوع).[4]

والواقع أنني حينما سوّيت تلك الترجمة القصيرة لمحمد بن القاسم الأنصاري في الملحق الذي ذيلت به رسالتي المذكورة، وخصصته لتراجم أعلام الفهرسة في المغرب إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة ـ لم أكن أتصور أن ذلك سيثير اهتمام الباحثين من أمثال الأستاذ عبد الوهاب بمنصور، فيهتم به ويزن من كلماته ويناقش من محتوياته ليخرج من غير اقتناع بما ورد في ترجمة محمد بن القاسم الأنصاري من نسبة كتاب (بلغة الأمنية) إليه.

ولم ينازعني شك وأنا أصنع ترجمة ذلك الرجل أنه سيكون لي مه موعد تال أقوم فيه ببسط ترجمته، ومناقشة نسبة مؤلفاته إليه، لأنني كنت في غابة من تراجم الرجال، غايتي هي جرد ترجمات مختصرة ما أمكن تفي بالمقصود، وتعرف بأعلام الفهرسة المغربية ممن تناولت الحديث عن فهارسهم في صلب موضوع الدراسة.

☆ ☆ ☆

وإذ أشكر الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور أولا على هذا الاهتمام الذي قابل به رسالتي فهارس علماء المغرب، أود أن أجدد له الشكر ثانيا على ما حفزني به لاستكمال حلقة البحث في ترجمة هذا الرجل، ومحاولة استدراك ما يجب أن يستدرك من نسبة مؤلفاته إليه. لاسيما والمناسبة التي كتب من أجلها مؤلفاته ما فتئت ماثلة، وما تزال ظروفها قائمة. فقد كان محمد بن القاسم الأنصاري يكتبه التي سنتحدث عنها أعلى الأصوات المغربية مطالبة بتحرير سبتة غداة اغتصابها سنة 818 هـ.

فقد عاش الحدث الدامي ورأى فيه ما رأى من هتك لمفاخر سبتة الروحية والعمرانية، وضياع لوجودها المغربي، فألف مؤلفاته وواقع حاله ينادي بالنخوة المغربية لتسترجع ما اغتصب، وتعيد ما أهدر، وتحمي ما انتهك. فما أحرانا اليوم أن نتمثل أهداف كتابات الرجل وما يزال البعض منها ماثلا بين أيدينا نتداوله.

☆ ☆ ☆

وقبل أن أبدأ في معالجة الموضوع أريد أن أحدد نقط الإشكال أولا، وأرسم الطريق الذي سأنهجه في العرض ثانيا.

ففيما يخص نقط الإشكال، نحن أمام مجموعة من المؤلفات اضطرب فيها القول، وتنازعتها النسبة إلى صاحبها، هذه المؤلفات هي :

2) رسالة جامعية، نوقشت بكلية الآداب بفاس. موس 82/1983. لم تنشر بعد.

3) فهارس علماء المغرب 697.

4) بلغة الأمنية : 14.

1 - **كتاب الكواكب الوقادة فيمن دفن بسبتة من الصلحاء القادة**، وهو كتاب يعتبر في حكم المفقود.

وفي رأي الأستاذ عبد الوهاب بمنصور أن مؤلفه مجهول، وأن هناك كتابا آخر أشبهه في التسمية هو **كتاب الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء والزهاد**، نسبه لأحد حضارمة القرن الثامن.[5]

2 - **كتاب بلغة الأمنية**، وهو مطبوع أكثر من مرة. آخرها نشرة المطبعة الملكية 1984 بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بمنصور. وهو أيضا في نظر المحقق لمؤلف مجهول.

3 - **كتاب اختصار الأخبار...** وقد طبع أكثر من مرة، آخرها بالمطبعة الملكية سنة 1969 بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بمنصور. والكتاب منسوب لمحمد بن القاسم الأنصاري كما ورد في طالعته.

4 - **كتاب الأعلام لمحمد بن القاسم الأنصاري**. وهو يعتبر في حكم المفقود.

5 - **برنامج المرويات** لمؤلف بلغة الأمنية، وقد أورد ذكره فيه. ويعتبر أيضا في حكم المفقود.

6 - **كتاب بغية السامع** لمحمد بن القاسم الأنصاري، وقد أورد ذكره في اختصار الأخبار. ويعتبر أيضا في حكم المفقود.

أما فيما يخص خطوات العرض فإنني سأسير على غير المعتاد إذ أقدم بذكر هذه الكتب والتعريف بها وبمحتوياتها ومناقشة نسبتها إلى مؤلفها، حتى إذا وضحت النسبة، آنذاك عدت إلى ترجمة المؤلف والتعريف به.

☆ ☆ ☆

1) - **كتاب الكواكب الوقادة... :**

وهو كتاب لا أعرف عنه شيئا غير النقول التي أوردها بعض كتاب التراجم منه. وهي في عمومها لا تقدم لنا الصورة الكاملة للكتاب لنحسم في أمره وطبيعته وحجم مادته. وحتى تلك التصورات الجزئية التي نستفيدها من هذه النقول تظل قاصرة عن بلورة أي حكم فاصل ما دام النص الأصلي للكتاب محجوبا عنا. ومن قواعد المناطقة المعروفة أن الحكم على الشيء فرع تصوره.

فهل نجازف في الأحكام من خلال هذه النقول ؟ وهل تكتفي هذه النقول بنفسها فتنوب عن الكتاب في تقرير بعض حقائقه ؟

أظن أنه لا خيار لنا. فالمجازفة في بعض الأحيان تكون إيجابية في البحث العلمي، تقوم معها مجموعة من الحقائق، وجودها خير من غيابها. غير أن مثل هذه الحقائق تبقى رهينة بالظرف، محجورا عليها في زاوية التفحظ، مهددة بالتداعي والانتقاض في كل لحظة يطل فيها نص جديد، أو دليل مستقيم النسق يؤيده المنطق.

وإذن فماذا عن كتاب الكواكب الوقادة ؟ وما عن مضمونه ؟

أولا : أول ما يثار مع كتاب الكواكب الوقادة هو تحديد الاسم الحقيقي الذي وضعه المؤلف لكتابه، فهو كما نرى مكون من فقرة صغيرة يفصلها السجع إلى شقين : (الكواكب الوقادة فيمن دفن بسبتة من الأئمة القادة)، و (الكواكب الوقادة فيمن كان بسبتة من العلماء والصلحاء والقادة...) وأكثر الذين ذكروا هذا الكتاب اقتصروا على شقة الأول. غير أنه وردت التسمية بصيغ مختلفة في بعض المصادر التي أوردت ذكر اسم الكتاب كاملا. وهو اختلاف شمل الشقين معا.

فقد ذكر في البستان لابن مريم هكذا : الكواكب الوقادة فيمن كان بسبتة من العلماء والصلحاء والقادة.[6]

---

5) راجع بلغة الأمنية : 12 مقدمة المحقق - وراجع اختصار الأخبار : 7 مقدمة المحقق.

6) البستان لابن مريم : 314.

ووردت نفس التسمية بشقيها في أزهار الرياض : (الكواكب الوقادة في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء والقادة).[7]

وورد ذكره بهذا الشكل أيضا في كتاب طبقات المالكية (لمؤلف مجهول كان حيا أوائل القرن الحادي عشرة للهجرة) : الكواكب الوقادة فيمن دفن بسبتة من الصلحاء والقادة...[8]

أما في كتابي اختصار الأخبار، وبلغة الأمنية، فإنه لا يرد إلا في شقه الأول (الكواكب الوقادة).[9]

ويكاد يورده بالتقريب في (اختصار الأخبار) بشقيه، غير أن سياق الكلام الذي أدرج فيه لم يكن حاسما في القطع بصيغة هذه التسمية.[10]

والملاحظ أن جميع من قدمناه ممن ذكر هذا الكتاب أو نقل منه مواد تراجم الرجال، قد جعل صيغة تسمية الكتاب (الكواكب) بالجمع.

وينفرد فيما اطلعت عليه من مصادر، أحمد بابا في نيل الابتهاج، ومختصره كفاية المحتاج - بإيراد صيغة (الكوكب) بالمفرد، فيسمي الكتاب : الكوكب الوقّاد فيمن دفن بسبتة من العلماء والزهاد.[11] وهي نفس التسمية التي أوردها مرة واحدة ابن القاضي في كتابه جذوة الاقتباس.[12]

وقد ذهبت هذه التسمية بالأستاذ عبد الوهاب بن منصور فرأى أنه كتاب آخر غير الأول الذي ذكرناه، وأن أشبهه في التسمية والموضوع، ناسبا إياه لأحد حضارمة القرن الثامن.[13]

وموقف الأستاذ عبد الوهاب بنمصور - لاشك - نابع من الحيطة والحذر اللذين يلزمهما الباحث المتمرس حينما تعوزه المصادر الحاسمة في الموضوع.

ولا شك أن المقارنة بين النقول التي وردت في نيل الابتهاج، ومختصره كفاية المحتاج، منسوبة إلى (الكوكب الوقاد) والنقول التي وردت في غيرهما منسوبة إلى الكواكب الوقادة)، والمناظرة بينها، ستبين - إن شاء الله - أن جميع هذه المواد ترجع إلى كتاب واحد هو (الكواكب الوقادة) وأن تسميته بالكوكب الوقاد هو سبق قلم جرى عند أحمد بابا وابن القاضي في الجذوة.

ثانيا : فما بين أيدينا من نقول عن الكتاب المذكور إنما نجده في صنفين من المصادر :

الصنف الأول : مؤلفات صاحب الكواكب الوقادة نفسه، وبالأخص كتاب بلغة الأمنية.[14]

الصنف الثاني : مؤلفات في التراجم عاش أصحابها جميعا في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة، وهي :

- البستان لابن مريم المليتي، غير أنه وأثناء عرض مواد تراجمه لم يصرح بالنقل المباشر من كتاب (الكواكب الوقادة) كما جرت عادته، بل اكتفى فقط بذكر الكتاب عند تعداده للمصادر التي اعتمد عليها في جمع مواد تراجمه.[15]

- أزهار الرياض لأبي العباس المقري، وذلك في ترجمة الشريف أبي العباس الحسيني. وقد صرح بالنقل عنه مصدرا ذلك بقوله :[16] (قال صاحب كتاب الواكب الوقادة في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء والقادة...). ويطول ما أورده في ترجمة هذا الشريف مما حواه كتاب

7) أزهار الرياض 33/1.

8) طبقات المالكية : 357، 368 مخطوط الخزانة العامة بالرباط.

9) بلغة الأمنية : 26 وما بعدها - اختصار الأخبار : 14.

10) اختصار الأخبار : 15 - ومما يذكر أن القادري في النشر 217/3. ط الرباط. قد سماه الكواكب، غير أنه نسبه لأحد الحضارمة.

11) نيل الابتهاج : 76، 230 - وكفاية المحتاج : 55 أ، 65 ب. ويسميه الكواكب في : 9 : ب (مصورة الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي).

12) جذوة الاقتباس 314/1 طبعة دار المنصور.

13) مقدمة المحقق في بلغة الأمنية : 12.

14) بلغة الأمنية : 37 وقد صرح فيه بأنه من تأليفه.

15) البستان لابن مريم : 314.

16) أزهار الرياض 33/1 ويستمر النقل إلى ص : 38.

باختصار، وبعضه بالمعنى). ثم عاد إلى النقل مرة ثانية من الكتاب المذكور وفي نفس الترجمة، فأورد ما يتعلق بوصف أحد كتاب هذا الشريف، معينا بداية النقل بقوله : (قال صاحب الكواكب الوقادة...)، ومعلنا عن نهاية النقل بلفظ (انتهى).[17]

●) كتاب طبقات المالكية، وقد تيسرت بين يدي مؤلفه النسخة الأصلية من كتاب الكواكب الوقادة بخط المؤلف، فنقل منها تراجم ممن كان أصحابها على شرط كتابه. من هذه النقول :

أ - في ترجمة أبي عبد الله محمد بن معلى القيسي صاحب المناسك (...قال في الكواكب الوقادة فيمن دفن بسبتة من الصلحاء القادة : الشيخ الفقيه العالم الإمام المتقن المحقق الأعرف المعظم العالم العامل الخاشع التقي الورع، صاحب غنية الناسك في علم المناسك. كان في الدولة العزفية، وكانت تعظمه وتجله وتتبرك بصالح دعائه. ومناسكه تدل على مكانته من العلم. وقد اشتهر (ت) في البلاد وانتفع الناس بها.[18] توفي سنة... وستمائة - من خط مؤلفه. وفيه بياض بين سنة وستمائة، ولا شك أنه في نيف وتسعين وستمائة).

ب - في ترجمة الفقيه أبي الحسن علي المتيوي دفين سبتة (...قال صاحب الكواكب الوقادة فيمن دفن بسبتة من الصلحاء القادة : كان المتيوي يدرس بسبتة، وكان من حفاظ فروع المذهب. يحكى عنه أنه عرض المدونة في يوم واحد على ظهر قلب. وله شرح على الرسالة اعتنى به الناس، نقل فيه أقوال الأئمة الذين تدور عليهم الفتيا في المذهب، ولم يتعرض للألفاظ. ومات قبل ذاك بالمسائل وعمارة الفكر لها في الصلاة حال الشبوبية. رأيت هذا مقيدا آخر الرسالة التي كتبها بيده المحبسة بخزانة جامع سبتة، وكانت عليها طرر وتنابيه مفيدة، كل ذلك بخطه. توفي في ذي الحجة عام تسع وستين وستمائة. أهـ من الكواكب الوقادة، ومن خط مؤلفه نقلت).[19]

ج - في ترجمة المقرئ أبي العباس أحمد الشريف الحسني، والد الشريف السبتي شارح مقصورة حازم.

(...قال صاحب الكواكب الوقادة : كان من صدور المقرئين بسبتة ومن أهل الصلاح والدين، له تأليف في القراءات، قال : وقد عدّه القاضي أبو محمد بن مسلم القصري في أشياخه وصدر به فهرسته.

ولأبي القاسم قاضي الجماعة ولدان : أحَدهما أبو المعالي محمد بن محمد بن أحمد. قال صاحب الكواكب الوقادة : ولي قضاء الجماعة بغرناطة بعد أبيه، والآخر أحمد بن محمد أبو العباس ولد الشريف أبي القاسم. قال صاحب الكواكب الوقادة : وهو أكبر سنا من أخيه أبي المعالي، ذكره ابن الخطيب في شعراء الكتيبة. قال صاحب الكواكب الوقادة : وقد لقيت هذين الشيخين ابني الشريف أبي القاسم وأجازاني والحمد لله. ومن خطه نقلت).[20]

د - في ترجمة الخطيب محمد بن خميس الجزيري المتوفى بسبتة سنة 750.[21]

●) نيل الابتهاج لأحمد بابا السوداني، وقد جاء النقل فيه عما سماه بالكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من

17) نفس المصدر 40/1.

18) توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 339.

19) طبقات المالكية لمؤلف مجهول : 368.

20) نفس المصدر : 415.

21) نفس المصدر : 409، 410.

العلماء والزهاد، وذلك في الترجمات التالية :

أ - في ترجمة محمد بن معلى القيسي صاحب المناسك. (...قال صاحب الكوكب الوقاد : هو الفقيه الإمام المتفنن المحقق الأعرف المعظم العامل الخاشع العامل الخاشي التقي الورع أبو عبد الله. كان في الدولة العزفية معظما عندهم متبركا بدعائه. ومناسكه تدل على مكانه من العلم،وقد اشتهرت في البلاد وانتفع بها الناس. وتوفي سنة (بياض) وستمائة. (انتهى ملخصا).[22]

ب - في ترجمة علي بن عبد الله المتيوي (الفقيه الحافظ المدرس الصالح الورع أبو الحسن، كان من حوز سبتة ونزل بها، ودرس بها، كان من حفاظ فروع المذهب، يحكي عنه أنه عرض المدونة يوما واحدا على ظهر قلب، ثم صار بعد ذلك يجعل الكتاب تحت ركبتيه ويلقي من حفظه. شرح الرسالة شرحا نقل فيه أقوال الأئمة الذين تدور عليهم الفتوى في المذهب ولم يتعرض لألفاظها، انتهى فيه لأحكام الدماء فمات. ومن ورعه أنه أعاد الصلاة ثلاثين سنة من عمره، قال : شغلنا إذ ذاك بالمسائل وعمارة الفكر بها في الصلاة وقت الشباب. توفي في ذي الحجة عام تسع وستين وستمائة. ذكره ابن خميس في الأعلام. صح من الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء والزهاد).[23]

ج - في ترجمة القاضي أبي جعفر وأبي العباس أحمد ابن الشريف السبتي شارح المقصورة (...وله أخ يسمى محمدا، ويكنى أبا المعالي. قال صاحب الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء والزهاد : لقيت هذين الشيخين وأجازاني، أولهما وأكبرهما ذكره الوزير ابن الخطيب في شعراء الكتيبة الكامنة وذكر له قصيدة لزومية. (انتهى).[24]

د - في ترجمة محمد بن أبي البركات ابن السكاك العياضي.[25]

هـ - في ترجمة الوزير ابن زمرك (وكان حيا سنة اثنين وتسعين وسبعمائة كما ذكره في الكوكب الوقاد).[26]

☆ ☆ ☆

هذه هي حصيلة النقول التي أفادتني بها المصادر المتيسرة بين يدي، وهي نقول ذات أهمية كبرى بالنسبة لنص يعتبر الآن في حكم المفقود. وهي عشرة نقول تخص تراجم سبعة رجال فقط، إذ تكرر منها - مع اختلاف المصدر - ثلاث ترجمات هي :

● ترجمة محمد بن معلى القيسي وردت كما رأينا في كتابي : طبقات المالكية، ونيل الابتهاج.

● وترجمة أبي الحسن المتيوي، وردت أيضا في المصدرين المذكورين أعلاه.

● وترجمة ابني أبي القاسم الشريف السبتي، وردت أيضا في المصدرين المذكورين أعلاه.

وإذا كانت التراجم الباقية ليس لها من تأثير يذكر في إثبات ما نحن بصدد إثباته أو نفيه، فإن للتراجم الثلاثة المذكورة أهمية زائدة في تصور حقيقة الكتاب وتسميته والتعرف على مؤلفه.

ثالثا : وفيما يلي مقارنة حرفية بين ثلاثة تراجم وردت مكررة في كل من طبقات المالكية، ونيل الابتهاج.

22) نيل الابتهاج : 230.
23) نيل الابتهاج : 203.
24) نفس المصدر : 76.
25) نفس المصدر : 284.
26) نفس المصدر : 283.

المترجم به	في طبقات المالكية: والنقل في من الكواكب الوقادة	في نيل الابتهاج والنقل فيه من الكوكب الوقاد
ترجمة : محمد بن معلى القيسي حسب تسلسل فقراتها	1 ـ الشيخ الفقيه العالم الإمام المتقن المحقق الاعرف المعظم العامل الخاشع التقي الورع. 2 ـ صاحب غنية الناسك في علم المناسك. 3 ـ كان في الدولة العزفية، وكانت تعظمه وتجله وتتبرك بصالح دعائه. 4 ـ ومناسكه تدل على مكانته من العلم، وقد اشتهرت في البلاد وانتفع الناس بها. 5 ـ توفي سنة...... وستمائة.	1 ـ الفقيه الإمام المتقن المحقق الأعرف المعظم العامل الخاشع العامل الخاشي التقي الورع أبو عبد الله. 2 ـ . . . . 3 ـ كان في الدولة العزفية معظما عندهم متبركاً بدعائه. 4 ـ ومناسكه تدل على مكانته من العلم، وقد اشتهرت في البلاد وانتفع بها الناس. 5 ـ وتوفي سنة (بياض) وستمائة.
تعقيب من الناقل	من خط مؤلفه، وفيه بياض بين سنة" وستمائة"	انتهى ملخصا
ترجمة : أبي الحسن علي ابن عبد الله المتيوي حسب تسلسل فقراتها	1 ـ كان المتيوي يدرس بسبتة، وكان من حفاظ فروع المذهب. 2 ـ يحكى عنه أنه عرض المدونة في يوم واحد على ظهر قلب. 3 ـ له شرح على الرسالة اعتنى به الناس، نقل فيه أقوال الأئمة الذين تدور عليهم الفتيا في المذهب ولم يتعرض للألفاظ. ومات قبل أن يكمله، انتهى فيه إلى أحكام الدماء. 4 ـ ومن ورعه أنه أعاد صلاة ثلاثين سنة التي سلفت من عمره، قال : لشغلنا إذ ذاك بالمسائل وعمارة الفكر لها في الصلاة حال الشبوبية. 5 ـ رأيت هذا مقيدا آخر الرسالة التي كتبها بيده المحبسة بخزانة جامع سبتة، وكانت عليها طرر وتبايه مقيدة. كل ذلك بخطه. 6 ـ توفي في ذي الحجة عام تسع وستين وستمائة.	1 ـ كان من حوز سبتة ونزل بها ودرس بها. كان من حفاظ فروع المذهب. 2 ـ يحكى عنه أنه عرض المدونة يوماً واحداً على ظهر قلب، ثم صار بعد ذلك يجعل الكتاب تحت ركبتيه ويلقي من حفظه. 3 ـ شرح الرسالة شرحا نقل فيه أقوال الأئمة الذين تدور عليهم الفتوى في المذهب، ولم يتعرض لألفاظها، انتهى فيه لأحكام الدماء، فمات. 4 ـ ومن ورعه أنه أعاد الصلاة ثلاثين سنة من عمره، قال : شغلنا إذ ذاك بالمسائل وعمارة الفكر بها في الصلاة وقت الشباب. 5 ـ . . . . 6 ـ توفي في ذي الحجة عام تسع وستين وستمائة.
تعقيب الناقل	انتهى من الكواكب الوقادة، ومن خط مؤلفه نقلت.	ذكره ابن خميس في الأعلام. صح من الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة" من العلماء الزهاد.
ترجمة : ابني أبي القاسم الحسني الشريف السبتي شارح المقصورة فقراتها غير متسلسلة	أبو المعالي محمد : (ولي قضاء الجماعة بغرناطة بعد أبيه). وأبو العباس أحمد : (وهو أكبر سنا من أخيه أبي المعالي، ذكره ابن الخطيب في شعراء الكتيبة الكامنة). (وقد لقيت هذين الشيخين ابني الشريف أبي القاسم وأجازاني والحمد لله).(27)	لقيت هذين الشيخين وأجازاني. أولهما وأكبرهما ذكره الوزير في شعراء الكتيبة الكامنة وذكر له قصيدة لزومية.
تعقيب الناقل	ومن خطه نقلت.	انتهى.

27) لم يفردهما صاحب الكواكب الوقادة برسم، وإنما أدرج الحديث عنهما ضمن ترجمة جدهما المقرئ أبي العباس أحمد بن محمد الحسني المتوفى سنه 739. وقد عنون الترجمة" بـ (والد الشريف السبتي). ولذلك لم يرد الحديث عن المترجم بهما أعلاه مسلسلاً. راجع ما تقدم.
- تراجع ترجمة المقرئ أبي العباس الحسني الجد في : درة الحجال 28/1 ـ وفي فهرسة" السراج في غير موضع ـ وفي فهرسة" ابن غازي 100.
- وترجمة" الابن أبي القاسم شارح المقصورة" في : الإحاطة" 181/2.
- وترجمة" الحفيدين في : نفح الطيب 198/5 وما بعدها ـ والكتيبة" الكامنة" 301 بالنسبة" لأحمد ـ وقد جرى ذكر هذا الأخير أيضا في : مظهر النور الباصر. ص : 21. مخطوط الخزانة" العامة" بالرباط : ج 23.

تعليقات :

1 - إن المتصفح لهذا الجدول سيلاحظ أن صاحب طبقات المالكية إنما ينقل عن نسخة المؤلف الأصل، ولذلك فهو يختم النقل بقوله : ومن خط مؤلفه نقلت). أما صاحب نيل الابتهاج فلا نعرف النسخة التي نقل عنها، إذ لم يعين إن كانت أصلاً بخط المؤلف أو فرعا منها.

2 - إن تسلسل فقرات هذه التراجم وتتابعها يؤكد أنها نقل عن مصدر واحد، إذ من البعيد جدا أن يحصل هذا التوافق والتوارد في بناء الترجمة وعرض موادها بتلك الصفة المتشابهة إن كان كما يزعم البعض بأن الكوكب الوقاد الذي ينقل عنه أحمد بابا، هو غير الكواكب الوقادة الذي نقل عنه صاحب طبقات المالكية.

3 - إن ماتم التنصيص عليه في كل من طبقات المالكية ونيل الابتهاج عند عرض سنة وفاة محمد بن معلي القيسي من وجود (بياض) بين سنة وستمائة، وتأكيد صاحب طبقات المالكية على أن ذلك واقع في نسخة المؤلف - يؤكد من جديد أن النقل إنما يتم عن مصدر واحد هو كتاب الكواكب الوقادة.

4 - إن الاختلاف والفروق الواردة في بعض فقرات هذه الترجمات في كل من نيل الابتهاج، وطبقات المالكية إنما هي اختلافات وفروق عادية. وهي مما يحدث غالبا بين نسخ النص المختلفة. هذا مع العلم أن أحمد بابا - وهي عادته في كثير من النقول التي بين أيدينا أصول منها - يبيح لنفسه إلى حد ما التصرف في النص المنقول، اما بالتلخيص أو بالصياغة التي يراها ملائمة.[28] وأحمد بابا صريحٌ في ذلك، فقد ختم ترجمة ابن معلى القيسي بقوله : (انتهى ملخصا)، وختم ترجمة أبي الحسن المتيوي بقوله : (صح من الكوكب الوقاد...) دون أن يعين بداية النقل.

ولا أستبعد - والعهدة عليّ في قصوري عن العودة إلى نسخ النيل المخطوطة - أن تكون هذه الفروق أقل حدة في النصوص الأصلية المخطوطة من نيل الابتهاج، إذ النسخة المطبوعة منه هي نسخة غير محققة. ولا يخفى أن كتاب نيل الابتهاج في حاجة إلى تحقيق علمي، وأن ما تداول من نسخه المطبوعة لا يغني عن الرجوع إلى الأُصول المخطوطة منه.

وقد تبين من هذا أننا في هذه النقول أمام كتاب واحد لا ثاني له، وأن الاسم الحقيقي له هو ما ورد في بلغة الأمنية - وهي من صنع نفس المؤلف - وأزهار الرياض، وأخيرا طبقات المالكية، وينقل صاحبها من نسخة المؤلف.

وإذا ثبت هذا كانت النقول الواردة في المصادر المختلفة التي أوردنا ذكرها - سواء وسمت بأنها من الكوكب الوقاد، أو من الكواكب الوقادة، وكيف ما كان شقها الثاني - هي في الأُصل تعود إلى كتاب واحد هو : (كتاب الكواكب الوقادة فيمن دفن بسبتة من الصلحاء القادة).

رابعا : وموضوع كتاب الكواكب الوقادة واضح كما هو من عنوانه. فهو كتاب تراجم يقوم شرطه على ذكر من دفن بسبتة من الصلحاء القادة. ويندرج تحت هؤلاء (الصلحاء القادة) مختلف أصناف الرجال من العلماء وأصحاب المزارات من الصلحاء والشرفاء والرؤساء، بغض النظر عن أصلهم وانتمائهم. ويقوم كتاب الكواكب الوقادة على اثنين وثمانين رسما رئيسياً، أفرد مؤلفها ضمن كل رسم منها الحديث عن رجل ممن توفر فيه شرط الدفن بسبتة. (عدد ما جمعه كتاب الكواكب الوقادة من قبور أُولئك الأئمة القادة... اثنان وثمانون قبرا)،[29] إضافة إلى من جاء ذكره عرضاً، وأدرجت ترجمته ضمن الترجمات الرئيسية. وقد اقتضى التقيد بشرط الإقبار في سبتة عدم ذكر الكثير

28) لتأكيد هذا يمكننا المقارنة بين النصوص الأصلية المتوفرة بين أيدينا للمؤلفات التالية : فهرسة أبي زكرياء السراج النفزي - كناشة أبي العباس زروق - فهرسة أبي العباس المنجور - فهرسة مفتي مراكش عبد الواحد الحسني السجلماسي المسماة بالإلمام، وبين النقول التي وردت منها في نيل الابتهاج.

29) اختصار الأخبار : 15.

من السبتيين من شهروا بالعلم والفضل والصلاح من أمثال القاضي عياض، وأبي الحسن الشآري،[30] وغيرهما.

وتتوزع تراجم كتاب الكواكب الوقادة زمنيا، فتشمل الأقدمين منهم والمحدثين على السواء غير أن أكثر رجالها هم من القرنين السابع والثامن. ولعل تعيين مزارات الرجال كشرط للذكر، كان له تأثير على حجم كتاب الكواكب الوقادة فقلص من عدد رجالها، إذ لم تجر ذكر كثير من رجال سبتة في القرنين الخامس والسادس لتقادم العهد بمعرفة مزاراتها. وربما كان أحدث هذه المزارات هي التي تخص شيخه الخطيب ابن عدل الكناني المتوفى سنة 805.[31]

ويتفاوت حجم هذه الترجمات حسب طبيعة الشخصية المترجم بها، فتطول ترجمة البعض لتستغرق صفحات طويلة من الكتاب، والنموذج بين أيدينا في ترجمة أبي العباس الحسيني.[32] غير أن أكثر هذه التراجم قد سوى بطريقة مختصرة موجزة تقوم على ذكر الضروري بما يعرف به الشخص من أحوال ووفاة.

ونتصور أن أطول هذه التراجم هي التي تختص بالشخصيات العلمية التي كان لها تأثير كبير على الحياة العلمية والاجتماعية بسبتة، والتي تغلغل وجودها في أعماق السبتيين جيلا بعد جيل. فأصبحت جزءا من معالم سبتةومفخرة من مفاخرها، مثل ابن عبيد الله الحجري رأس مدرسة سبتة الحديثية، وتلميذه أبي العباس العزفي، وابن أبي الربيع الإشبيلي أستاذ سبتة، وأبي الحسين ابن الصائغ راوية شفاء القاضي عياض، وعبد الجليل القصري وأبي العباس القنجايري وغيرهما من رجال الصلاح.

ونتعرف مما بين أيدينا من مصادر على مجموعة من الرجال ممن ترجم بها في كتاب الكواكب الوقادة، ويبلغ تعدادها سبعة وخمسين رجلا.

منها اثنان وخمسون اسما أورد ذكرها وتعيين مزاراتها في كتابه (اختصار الأخبار)، وقد اختصر في شقه الأول كتابه الكواكب الوقادة، وإن لم يستوف كل ما كان يجب أن يذكره في الاختصار، إذ العدد (اثنان وثمانون قبرا).[33]

ومنها تسعة أسماء وردت تراجم أصحابها في بلغة الأمنية، والإحالة فيها على ذكرها في الكواكب الوقادة، وبينها أربع تراجم ورد تعيين مزار أصحابها في (كتاب اختصار الأخبار).

ومنها ستة أسماء وردت تراجمها منقولة أو مختصرة عن نص الكواكب الوقادة في مختلف المصادر التي تحدثنا عنها سابقا. وهي جميعا وردت الإحالة على ذكرها في الكواكب الوقادة : إما في كتاب (اختصار الأخبار)، وإما في كتاب : (بلغة الأمنية).

☆ ☆ ☆

2 ـ كتاب الأعلام...

أولا : وهو كتاب لم يصل إلينا نصه، ولا أعرف عنه ولا عن مضمونه شيئاً، غير ما أفادنا به مؤلفه عند الإحالة عليه ـ وفي غير موضع ـ من كتابه اختصار الأخبار. إذ يتبين من قراءتنا لكتاب (اختصار الأخبار)، وملاحظة الإشارات التي أورد فيها المؤلف ذكر كتابه (الأعلام)، واستقراء مواطن الإحالة عليه ـ أن مادته (أي كتاب الأعلام) تتعلق بوصف المآثر العمرانية بسبتة، وذكر ما تمتاز به من المرافق العامة. فهو يحيل عليه عند :

- الحديث عن الحمامات، وبالأخص عند وصف حمام القائد أبي علي ناصح، أشهر حمام بسبتة، (وقد استوعبنا وصفه في الأعلام).[34]

- الحديث عن الأسواق، ولا سيما عند وصف سوق السقاطين (وما أدراك ما سوق السقاطين... وقد بسطنا القول فيه في الأعلام، ويحق له ذلك).[35]

---

30) توفي بمالقة سنه 649. راجع ترجمته في فهارس علماء المغرب 679 والمراجع المذكورة بالهامش.

31) اختصار الأخبار : 20 / وراجع ترجمته في فهارس علماء المغرب : 694 والمراجع المذكورة بالهامش.

32) راجع أزهار الرياض 33/1 وما بعدها.

33) اختصار الأخبار ص : 15.

34) اختصار الأخبار ص : 37.

35) نفس المصدر ص : 39.

● الحديث عن الحوانيت، وهي (أربعة وعشرون ألفاً، وكانت في الزمن القديم أكثر من هذا العدد حسبما بينا ذلك في الأعلام أيضا).[36]

● الحديث عن الفنادق، وبالأخص عند وصف فندق الوهراني، وهو أبدعها صنعة (...وقد بالغنا في وصفه في الأعلام، فانظره هناك).[37]

● الحديث عن السقايات فيقول : (وقد مضى وصفها في الأعلام).[38]

● الحديث عن الطواحين فيقول : (وقد أشرنا إلى ذلك في الأعلام).[39]

● الحديث عن الأبواب، ولا سيما عند وصف الباب الأعظم الشهير (وقد استوفينا وصفه في الأعلام، فقف عليه).[40]

● الحديث عن المرامي، المعبر عنها بالجلسات، فيقول : (وقد مضى في الأعلام وصف أماكن هذه المرامي، ومن أين يبتدأ بالرمي، وإلى حيث ينتهى فيه).[41]

● الحديث عن المراسي، وبالخصوص عند وصف مرسى المدينة، المعروف بـ (حفرة عثمان) من بحر الرملة، (وهو أشرف مراسي المدينة فاعلم ذلك. وباقي المراسي مفسر في الأعلام).[42]

● الحديث عن المضارب (جمع مضربة)، والمصايد. يقول : (وقد بينا في الأعلام ما يقع الانتفاع به منها من ذكر العلامات والمياه، وعلى كم يصاد في كل مصيد. فقف على ذلك فإنه حسن في بابه).[43]

ويغلب على الظن والله أعلم أن كتاب الأعلام هذا بما اختص موضوعه بوصف الآثار والمرافق، لا علاقة له بالرجال وتراجمهم، إذ لو كان كذلك لما اقتصر المؤلف في الإحالة عليه ضمن الفقرة الثانية فقط من كتاب (اختصار الأخبار)، ولرجع إليه للنقل منه - ولو مرة واحدة - في الحديث عن مدافن الرجال والتعريف بأحوالهم في الفقرة الأولى من (اختصار الأخبار).

ولعل هذا ما يفسر عدم تداول كتاب (الأعلام) هذا بين كتاب التراجم والطبقات، وعدم الرجوع إليه أو النقل منه.

☆ ☆ ☆

ثانيا : وكتاب (الأعلام) هذا قد أحدث ارتباكاً عند البعض[44] بتداخله مع كتب أخرى تحمل اسم الأعلام أيضاً، كالأعلام لابن خميس الجزيري، الذي ينقل عنه في (كتاب بلغة الأمنية)، وكتاب أعلام مالقة لابن خميس الأنصاري المالقي.

وإذا كانت ملامح الكتاب الأول منها الأعلام لمحمد بن القاسم الأنصاري السبتي - قد بانت طبيعته في الإحالات التي رجع إليها مؤلفه في (كتابه اختصار الأخبار) - والتي قدمنا الحديث عنها - بتعيين مادته المتعلقة بوصف مآثر سبتة العظام فإننا لا نرى مانعاً من وقفة قصيرة تفرز بقية كتب الأعلام عن بعضها، وتميز هذا عن ذاك بما تختص به مادته، وبما يعرف به مؤلفه، مع ذكر التسمية التي وسم بها كل مؤلف كتابه كاملة إن تيسر لنا ذلك.

ثالثا : وفي سبيل توضيح هذه الحقائق العلمية والتاريخية، أذكر ما يلي :

1 - من المعروف تاريخيا أن كتاب (أعلام مالقة) هو من تأليف مشترك بين أبي عبد الله بن عسكر[45] الغساني (ت 636)، مات قبل إكماله، فأتمه ابن أخته أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس.

وقد ورد اسم ابن خميس هكذا في طالعة القطعة الموجودة من الكتاب المذكور.[46]

36) نفس المصدر ص : 39.
37) نفس المصدر ص : 42.
38) نفس المصدر ص : 43.
39) نفس المصدر ص : 47.
40) نفس المصدر ص : 49.
41) نفس المصدر ص : 52.

42) اختصار الأخبار : 55.
43) المصدر نفسه : 56.
44) راجع بلغة الأمنية : 10.
45) تنظر ترجمة ابن عسكر في : الذيل 449/6 / أعلام مالقة 182 / والذيل 441/1 هامش : 3.
46) يوجد السفر الثاني مخطوطا بخزانة الأستاذ محمد العرائشي متعه الله بالصحة والعافية، ومنه ميكرو فيلم بالخزانة العامة بالرباط.

وقد سمى أبو عبد الله بن عسكر أصل كتابه (الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام). وهو كما يستفاد من تسميته هذه قد جعل ذيلا لكتاب أبي العباس أصبغ ابن أبي العباس، والمسمى بـ (الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام).[47]

ولا تعرف لأبي بكرا بن خميس هذا ترجمة مفصلة، ولا تاريخ وفاة. فهو من رجال النصف الأول من القرن السابع، وأكثر المعلومات حوله هي التي ترد في كتاب (أعلام مالقة) حيث ترجم لبعض شيوخه.

ولا علاقة لكتاب (أعلام مالقة) هذا بصاحب بلغة الأمنية مطلقا. فتراجم رجاله لا يتعدى وفاتها منتصف القرن السابع. بينما كان كتاب الأعلام الذي ينقل عنه صاحب بلغة الأمنية يترجم لرجال، وفياتهم خلال سنوات النصف الأول من القرن الثامن أو قبلها بقيل. فهو ينقل عنه في ترجمة الحسين بن رشيق المرسي (ت 696)، وفي ترجمة أبي القاسم التجيبي السبتي (ت 730)، وفي ترجمة محمد بن عبد المنعم الحميري الصنهاجي السبتي[48] (ت 750).

والحديث عن ذيل (أعلام مالقة) لأبي بكر ابن خميس المالقي يجرنا إلى ذكر ذيل آخر له هو من تأليف القاضي أبي الحسن النباهي (كان حيا سنة 704)، وقد نقل منه ابن الخطيب في غير موضع من إحاطته مسميا إياه (ذيلاً أو تذييلا في تاريخ مالقة).[49]

ولا يفوتني أن أذكر أن المؤلفات التي شهرت تحت اسم الإعلام (مصدر أعلم) هي كثيرة ومتنوعة الفنون، منها ما ذكرناه سابقاً، ومنها الإعلام في التعريف ببني أبي جمرة الأعلام لمحمد بن أبي جمرة[50] (ت 599)، والإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام لابن الزبير[51] (ت 708)، والإعلام بأخبار البخاري الإمام لأبي الربيع بن سالم الكلاعي[52] (ت 634)، والإعلام في استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام، وهو مشيخة في سفرين لأبي الحسن علي بن محمد الفزاري يعرف بابن الضحاك البقري[53] (ت 552)، وغيرها.

2 ـ أما كتاب الأعلام الذي ينقل عنه صاحب (بلغة الأمنية) فهو من تأليف الخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن خميس الأنصاري الجزيري نزيل سبتة، والمتوفى بها في الوباء سنة 750 هـ.[54]

وقد وردت نسبته إلى مؤلفه بشكل صريح في أكثر من موضع في كتاب (بلغة الأمنية)، ولا سيما عند التعريف بمؤلفه.[55] وقد جاء اسم هذا الكتاب كاملا في ترجمة ابن خميس المذكور من كتاب طبقات المالكية نقلا عن الكواكب الوقادة، فقال : (له مشيخة في مجلد سماه : الإعلام بمن وقع عليه الحمل من المشيخة الأعلام).[56]

فكتاب الإعلام الذي أكثر من النقل عنه في كتاب (بلغة الأمنية) هو من تأليف الخطيب ابن خميس الجزيري، وهو ليس كتاب تراجم عادية، ولا يختص برجال سبتة، وإنما هو فهرسة أشياخ، جمع فيها مؤلفها تراجم شيوخه الذين أخذ عنهم من الأندلسيين والمغاربة. منهم أبو القاسم التجيبي السبتي، والحسين بن رشيق المرسي، وابن عبد المنعم الحميري وغيرهم ممن لم يجر كتاب (بلغة الأمنية) ذكرهم. وفي ترجمة ابن خميس في الإحاطة ذكر لبرنامجه هذا، وقد ضمنه شيوخه.[57]

وقد عرف ابن خميس الجزيري بأنه أحد بلغاء عصره، تقدم خطيبا ببلده الجزيرة الخضراء، ثم نقله السلطان أبو سعيد المريني إلى خطابة سبتة، وكان أبو الحسن المريني أكثر اعتناء به إجلالا لقدره.[58]

47) راجع عن أبي العباس أصبغ وكتابه هذا : التكملة 208/1 ـ والذيل 442/1 هامش رقم : 1.

48) راجع بلغ الأمنية : 25/29/22.

49) راجع الإحاطة 193/3 و 64 و263/4.

50) الذيل 6/6.

51) الذيل 44/1.

52) الذيل 86/4.

53) طبقات المالكية 325، ووفاته فيها سنة 557. وتنظر ترجمته في الذيل 282/5.

54) تنظر ترجمته في : الإحاطة 184/3 ـ طبقات المالكية 409 ـ بلغة الأمنية 26 ـ اختصار الأخبار : 28.

55) بلغة الأمنية : 26.

56) طبقات المالكية : 409.

57) الإحاطة 185/3.

58) طبقات المالكية : 409.

ومع الخطابة اعتنى ابن خميس الجزيري بالرواية، ومزاولة التأليف. وهكذا يذكر له من المؤلفات :[59]

● الإعلام بمن وقع عليه الحمل من المشيخة الأعلام. وهي فهرسته في مجلد.

● كتاب الدلالة في شرح الرسالة. انتهى فيه إلى نحو الثلث.

● منهج السالك في اختصار مختصر المدارك.[60]

● الدر النفيس في علماء بني خميس. ذكر فيه ممن يسمى بهذا الاسم في نسبه وغيره.

● النفحة الأرجية في الغزوة المرجية.[61]

☆ ☆ ☆

3 ـ كتاب اختصار الأخبار[62]...

1) وهو كتاب يفيد عنوانه (اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار) المادة التي يضمها. فهو يقوم على الاختصار في عرض الآثار السنية التي تحتضنها سبتة. وأن القارئ لهذا الكتاب سيلاحظ أن مؤلفه قد بناه على فقرتين مستقلتين تماماً.

الفقرة الأولى : تعيين مدافن بعض رجال سبتة من العلماء والصلحاء والقادة، وعددها اثنان وثمانون قبرا (مما تعرفناه بمقبرات الثغر المذكور).[63]

ويترتب ذكر أصحابها على حسب المقبرات الموجودة آنذاك بسبتة، فكل مقبرة تمثل وحدة يستعرض من دفن فيها من الرجال المشاهير أصحاب المزارات. يبدأها بمقبرة التوتة، فالمقبرة الكبرى بسفح جبل الميناء، فبقية مقابر الثغر... ويختم الحديث عنها بذكر المزارات الكائنة بمقبرات حوز سبتة وقراها.[64]

وهو يستعرض مدافن هؤلاء الرجال باختصار شديد، إذ يقتصر على ذكر الرجل ـ اسمه ونسبه ـ مع تحليته بالأوصاف اللائقة به، ونادرا ما يضيف بعض المعلومات الجديدة حول هؤلاء الرجال.

الفقرة الثانيه : ما تحتضنه سبتة من المآثر العمرانية، وما تمتاز به من المرافق العامة. ويبدأها بذكر المساجد، فالخزائن العلمية، فالربط والزوايا، فالمحارس، فالأزقة، فالحمامات، فالأسواق، فالحوانيت، فالتربيعات، فا.... فالمرامي، فالمضارب والمصايد. ويختم هذه الفقرة بالحديث عن القرى القائمة بحوز سبتة كقرية بنيونش، وقرية بزيج، وقرية أويات، وقرية بني مصالة.[65]

وهو يعرض هذه المآثر باختصار شديد، ويحيل الراغب في الاستزادة من معرفتها على كتابه (الأعلام)[66] الذي بسط فيه القول وفصل وصف هذه المآثر.

2) وقد بان من هذا العرض الموجز لكتاب اختصار الأخبار أن مادة كل فقرة من فقرتيه إنما هي اختصار من كتاب.

فالفقرة الأولى : هي تلخيص موجز لما ضمه كتاب الكواكب، إذ أتى على ما فيه من ذكر المزارات الشهيرة بسبتة. وقد كان المؤلف صريحاً في عمله هذا حين قدم الفقرة الأولى بقوله : (عدد ما جمعه كتاب الكواكب الوقادة من قبور أولئك الأئمة القادة... مما تعرفناه بمقبرات الثغر المذكور اثنان وثمانون قبراً... من أشهرها بمقبرة التوتة...)[67]

أما الفقرة الثانيه : فهي تلخيص أيضا لكتاب الأعلام، يتبين ذلك من خلال الإحالات التي أرجعها المؤلف ـ وفي هذا القسم فقط ـ إلى كتابه الأعلام لمن أراد التوسع في الموضوع.

3) وفي مقدمة المؤلف لكتابه اختصار الأخبار ما يزيل كل شك في تحديد مضمون الكتاب ومنهجيته وتعيين

59) نفس المصدر والصفحة.

60) نفس المصدر والصفحة : هكذا ورد، ولعل المختصر المقصود هو مختصر ابن حمادة.

61) الإحاطة 185/3.

62) أعتمد في هذا التحليل نشرة المطبعة الملكية 1969 بتحقيق للأستاذ عبد الوهاب بنمنصور.

63) اختصار الأخبار : 15.

64) تنتهي الفقرة الأولى عند الصفحة 30.

65) تقع الفقرة الثانية بين صفحتي 30، 61.

66) أقتصر على الإحاله إليه في الفقرة الثانية فقط.

67) اختصار الأخبار ص : 15.

المصادر التي تم تلخيصها. يقول : (وبعد فهذا جزء جامع لما كان عليه ثغر سبتة منّ الله على المسلمين بفتحه، من قبور أعلام الشرفاء وجهابذة العلماء، وكبار الأولياء، ونساك الصالحين، وبلغاء الخطباء، ونبغاء الأدباء.... وما يناسب ذلك من معالم الدين، وينخرط في سلكه من ذكر المساجد الشريفة السنية، والخزائن المتعددة الفنون العلمية، والزوايا، والمدارس، والروابط، والمدارس... وسوى ذلك من الأماكن المنبئة بما يدل على شاخة القطر... وأنبه على شرف القرية (البنيو نشية) المشهورة في الآفاق بما لها من المحاسن الشاهدة بالفضل والمزية، حسبما جرد من تأليفيّ الكواكب الوقادة، والأعلام، ليكون سهل المنال قريب المرام).[68]

4) وستوقفنا في هذه المقدمة الفقرة الأخيرة منها، وهي **(حسبما جرد من تأليفيّ الكواكب الوقادة، والأعلام، ليكون سهل المنال، قريب المرام)**،[69] لأن الأستاذ الجليل عبد الوهاب ابن منصور حاول أن يستغني عن هذه الفقرة ـ حسبما ورد في تقديمه لكتاب بلغة الأمنية في نشرتها الأخيرة 1984 ـ ويقوم بتصحيحها مرجّحاً ما ورد في نص مقدمة اختصار الأخبار، الذي كان قد نشره من قبل ليفي بروفنصال : (حسبما ضمنته كتابنا الأعلام، الملخص من تأليف الكواكب الوقادة، الجامع لما في ثغر سبتة من تراجم السادة وقبور الأئمة القادة).[70]

ونتساءل لماذا استصوب الأستاذ ما ذكره ليفي بروفنصال وهو يناقض مادة الكتاب وتقسيماتها وإحالات المؤلف فيها ؟ ولماذا استبعد الأستاذ ما كان قد صدر في نشرته التي حققها سنة 1969، وهو ـ إن شاء الله ـ يجري مع الصواب، ويمثل ما أودعه المؤلف كتابه اختصار الأخبار، ويتسق مع تقسيمات المادة التي عرضها ؟ وهذه الفقرة التي أوردتها نشرة ليفي بروفنصال لاتفيد أكثر من أن اختصار الأخبار هو تلخيص لكتاب الأعلام، وكتاب الأعلام بنفسه تلخيص لكتاب الكواكب الوقادة... وهذا يقتضي أن ما بين أيدينا من كتاب اختصار الأخبار، هو صورة لكتاب الأعلام، وأصغر لكتاب الكواكب الوقادة، وأن موضوع هذا الكتب الثلاثة واحد. وهذا يخالف ما أسلفنا الحديث عنه.

وأرى أننا إن أعدنا النظر في هذه الفقرة، واستقرأنا في كتاب (اختصار الأخبار) مواطن الإحالة على كتاب الأعلام، فيتبين لنا أن مادة هذا الأخير ـ الأعلام ـ تختص بوصف المآثر العظيمة بسبتة، وأنها لا يمكن أن تكون تلخيصاً لكتاب الكواكب الوقادة الذي يختص موضوعه ـ كما يفيد اسمه ـ بالتعريف بمشاهير الرجال ممن أقبروا بسبتة.

فعلى هذا يكون كتاب اختصار الأخبار تلخيصا لهما معا، اختصت الفقرة الأولى منه بموجز ما ضمه كتاب الكواكب الوقادة.

واختصت الفقرة الثانية منه بمختصر ما ضمه كتاب الأعلام.

وعلى هذا أيضا تكون الفقرة الواردة في مقدمة المؤلف لكتابه اختصار الأخبار في نشرة الأستاذ عبد الوهاب بنمصور هي الأقرب إلى الصواب، لأنها تتناسق مع مضن الكتاب وإحالاته. وهي : **(حسبما جرد من تأليفيّ الكواكب الوقادة، والأعلام)**، إذ ـ ربما ـ استصعب المؤلف سيرورة كتابيه المذكورين، فعمد إلى اختصارهما في هذا الجزء الصغير الجامع، ليكون كما يقول (سهل المنال، قريب المرام).

ونتيجة لهذا كله يتبين أن محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، مؤلف كتاب اختصار الأخبار، وكتاب الأعلام، وكتاب بغية السامع، هو نفسه مؤلف كتاب الكواكب الوقادة. وكان

---

68) اختصار الأخبار ص : 13 وما بعدها.

69) اختصار الأخبار ص : 14 تحقيق عبد الوهاب بنمنصور. المطبعة الملكية 1969.

70) بلغة الأمنية، مقدمة المحقق ص : 12 المطبعة الملكية 1984.

هو نفسه أيضا مؤلف كتاب بلغة الأمنية، وكتاب برنامج الروايات..

وأعتقد أن محمد بن القاسم الأنصاري وهو في وضعيته غداة احتلال سبتة سنه 818 كنازح أبعد قهرا من وطنه، واغتصبت حقوقه كلها، أراد أن يثير الهمم لاسترجاع سبتة، وذلك بالتعريف بما يمثله هذا الثغر المغتصب من أهمية، تمتد :

أولا : في مدافن الصلحاء والعلماء والأولياء باعتبارهم مفخرة هذا الثغر، وجذوره التي ترسي وجوده وتؤصل كيانه، فهي حرم تهم السبتيين وغيرهم من بقية المسلمين، انتهكت قداستها وأوشكت أن تضيع. ولذلك ألف كتابه الأول الكواكب الوقادة فيمن دفن بسبتة من الأئمة القادة.

ثانيا : فيما تضمه سبتة من آثار عمرانية كبيرة ومرافق عامة تمتاز بها عن غيرها، مما صنعه رجال سبتة على مر التاريخ. فهي ميراث عظيم اغتصب، وواقع إسلامي متأصل اقتلعت جذوره. ولذلك ألف كتابه الثاني الأعلام ليعرف بهذا الجانب. حتى إذا ما وجد أن كتابيه - الكواكب، والأعلام - قليلا الانتشار نظرا لكبر حجمهما وتوسع ما دتهما، عمد إلى اختصارهما في جزء صغير يكون سهل الانتشار وقريب الفائدة والتأثير.

☆☆☆

4 - كتاب بلغة الأمنية...[71]

أولا : وهو الكتاب الثاني الذي بين أيدنا من مؤلفات محمد بن القاسم الأنصاري السبتي. وتأكيد نسبته إليه أمر لا جدال فيه، فقد ثبت لدينا فيما سبق أن مادة كتابه الصغير (اختصار الأخبار) هي تلخيص لكتابيه (الأعلام) و (الكواكب الوقادة). ولما كان في كتاب (بلغة الأمنية) يحيل على كتابه الكواكب الوقادة، وينسبه إلى نفسه،[72] كان مؤلف هذه الكتب الثلاثة شخصا واحدا.

وعلى هذا كان محمد بن القاسم الأنصاري السبتي مؤلف «اختصار الأخبار» هو نفسه مؤلف كتاب (بلغة الأمنية).

ثانيا : وكتاب (بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب) كما يوحي عنوانه، ينصرف موضوعه إلى تراجم الرجال. ويقوم شرط الترجمة فيه على ثلاثة عناصر :

أ) أن يكون المترجم به من العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس أو اتصفوا بالأستاذية، أو يكون طبيبا. ومفهوم الأستاذية في هذه الفترة لا ينصرف الوصف بها إلا لمن يشتغل بالقراءات والعربية. وفي فهرسة السراج النفزي - وهو من رجال النصف الثاني من القرن الثامن - لا يرد لفظ الأستاذ إلا وهو وصف لمن اشتغل بالعلوم المذكورة قبل. غير أن استعمال لفظ الأستاذ في (بلغة الأمنية) قد اتخذ بعدا أوسع. فقد ورد الوصف به لرجال تصدروا للتدريس في المدارس والمساجد على السواء. وهكذا ورد في ترجمة القاضي الزكندري بأنه (الأستاذ بالمدرسة الجديدة)[73]، وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الغافقي بأنه (أستاذ المدرسة القديمة، مدرسة الشيخ المحدث الراوية علي الشاري)[74] وفي ترجمة الشيخ أحمد الشعار بأنه (أستاذ مسجد مقبرة زجلو)[75]. ولعل وصف الأستاذية

---

71) نشر الكتاب أول مرة في مجلة تطوان عدد : 9 بتحقيق الأستاذ محمد بنتاويت التطواني. ثم نشر بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1984 بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور.

72) بلغة الأمنية : 26، 30، 37.

73) بلغة الأمنية : 33.

74) بلغة الأمنية : 31.

75) بلغة الأمنية : 44.

قد قصد به مؤلف (بلغة الأمنية) كل من تعاطى التدريس وفي أي مادة كانت.

ب) أن يكون المترجم به من أهل سبتة أو ممن طرأ عليها.

ج) أن يكون المترجم به ممن عاش في الدولة المرينية.

وإذا كانت عناصر هذا الشرط تسمح بذكر مئات من رجال سبتة من أهلها أو من حل بها ممن عاصر دولة بني مرين، فإن كتاب (بلغة الأمنية) لم يجر إلا ذكر ستة وأربعين شيخا وامرأة واحدة كما صرح المؤلف بذلك في خاتمة الكتاب. وهو عدد قليل جدا بالقياس إلى ما عرفته رحاب سبتة من أعلام على امتداد القرن الثامن، وقبله النصف الثاني من القرن السابع.

ثالثا : ورجال (بلغة الأمنية) جميعا هم ممن حدثت وفياتهم خلال القرن الثامن وأوائل التاسع باستثناء رجل واحد كانت وفاته سنة 696[76].

وأكثر الرجال المعرف بهم هم ممن أدركهم المؤلف وشاهد من أحوالهم. وتتميز الترجمة في كتاب (بلغة الأمنية) بخروجها عن المألوف الشائع في عصرها، فالمعروف أن أهم ما يعرف به الرجل هو إيراد مشيخته وتسمية رجاله، وهو العنصر الذي كانت تركز عليه كتب الرجال من فهارس وطبقات، إلا أن محمد بن القاسم الأنصاري قلما كان يذكر من مشيخة الرجل المعرف به، مقتصرا على ذكر بعض أحواله العامة مما تواتر الحديث عنه بين الناس.

ولعل منشأ هذا أن المؤلف قد سوى تراجم كتابه على عجل وفي ظروف خاصة لم تسمح له فيبحث في مقيداته أو يعود إلى مؤلفاته السابقة، أو يستعين ببعض المصادر إلا في حدود ضيقة، وبشكل لم يستوف معه ما كان يجب أن يستوفيه لو أن لديه فسحة من الوقت يقلب المصادر ويحرر منها التراجم. بل أننا نجده يحيل على وفاة أحد الشيوخ بالرجوع إلى كتابه (الكواكب الوقادة) دون أن يذكرها[77].

رابعا : وفي غياب الحديث عن المشيخة حاول المؤلف أن يعوض ذلك بالحديث عن ناحيتين :

أ) عن نشاط المترجم بهم في الدرس والتعليم، فهو يعين المدارس والمساجد السبتية التي باشر هؤلاء الشيوخ فيها تعليمهم، ويعرض بتفصيل لنوعية المواد والطرق التعليمية التي ينتهجها هؤلاء الشيوخ. وهو في ذلك يستعين بذاكرته فيما شاهده من أحوال درس شيوخه، أو بما حدثه بعض من جلس إليهم.

ب) عن جانب الولاية والصلاح عند بعض هؤلاء الشيوخ، وذلك باستعراض بعض المواقف التي تشهد لهم بذلك[78].

خامسا : وأهمية كتاب (بلغة الأمنية) تأتي من ناحيتين :

الأولى : فهو آخر مصدر عن سبتة الإسلامية ورجالها ونشاطها العلمي والتعليمي. وأكثر الرجال المعرف بهم هم ممن غاب ذكرهم فيما بين أيدينا من مصادر، وبهذا ينفرد بمعلومات مهمة عن رجال سبتة في القرن الثامن نذكر منها :

أ) يذكر في ترجمة أبي عبد الله الزرعي الجدميوي السبتي صديق المحدث أبي القاسم التجيبي بأنه قد ألف تاريخا كبيرا في الرجال يبلغ أربعين سفرا، رتب مواده على حروف المعجم، وقد أورد فيه (أخبار العلماء والأدباء والتعريف بهم. وفي ضمن ذلك من بليغ النظم والنثر والحكايات والفرائد والتندرات ما لا يوصف). وهو مع اهتمامه بالتاريخ (إمام متصرف شاعر بارع الوارقة، مصنف)[79].

76) هو ابن رشيق المرسي نزيل سبتة: بلغة الأمنية :22.

77) هي وفاة شيخه أحمد الشعار. راجع بلغة الأمنية : 44.

78) راجع بلغة الأمنية : ترجمة الوادي لاوى : 36/ وترجمة علي بن وشاس : 30/ وترجمة ابن حريث العبدري : 29/ وترجمة علي الأنجري : 41/ وترجمة ابن زيد النجار : 32.

79) بلغة الأمنية : 27.

واسم هذا الرجل كاملا - كما ورد في فهرسة السراج - هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الزرعي كان حيا سنة 723. وهو من شيوخ أبي سعد محمد بن عبد المهيمن الحضرمي. وقد اطلعت على إجازة نظمية أجاز بها هذا الأخير يقول فيها :[80]

أجاز لهم مطلوبهم عند قدرهم
وأطلق في الإسناد عنه ووسعا
محمد الزرعي نجل ابن أحمد
علي، رجاء في الثواب مع الدعا
وخط بهذا خطه متلفظا
به مكثرا حمد الإلاه مرجعا
وأهدى إلى خير الأنام محمد
صلاة وتسليما يواليهما معا
في الأول من ذي قعدة لثلاثة
وعشرين عاما عمرها قد تصدعا
وسبع مئين قبلها قد تقدمت
لهجرة خير الخلق مرأى ومسمعا

وشهرته بالوارقة تبدو واضحة من خلال احدى منتسخاته الباقية. ففي الأسكوريال مخطوطة من كتاب المدخل إلى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي (ت 577) انتسخها أبو عبد الله الزرعي المذكور، وقد تميزت بالدقة والضبط والشكل. وقد أورد الدكتور حاتم صالح الضامن عند تحقيقه للباب الثالث من كتاب تقويم اللسان الحديث عن هذه النسخة، وسمى الناسخ لها محمد بن علي بن أحمد الزرعي[81].

وفي وفيات الونشريشي، ووفيات ابن القاضي ذكر وفاة من اسمه أبو عبد الله بن أبي زرع زاد ابن القاضي صاحب تاريخ فاس. وذكرا وفاته سنة 741[82].

وليس لدى الآن ما أتحقق به إن كان هو نفسه الزرعي المذكور أو غيره.

ب) ويذكر ابن مسلم القصري قاضي سبتة وأستاذ مدرستها فيسمي من مؤلفاته : شرح رجز ابن بري شيخه، وتقييدا على الجمل للزجاجي، وبرنامج شيوخه ومروياته[83]. ورغم أن لابن مسلم هذا ترجمة مفصلة في فهرسة السراج[84] إلا أن بلغة الأمنية ينفرد بذكر مؤلفاته.

ج) ويذكر ابن المجراد السلوي (ت 778) فيصفه بأنه محدث حافظ راوية، له معرفة بالرجال. ويشير إلى أنه قد درس بسبتة مدة، وترك ذكرا طيبا[85].

سادسا : ومن أوفى المواد ذكرا في كتاب بلغة الأمنية، تصويره للحياة التعليمية في سبتة ووصف حلقات الشيوخ بها.

أ) فهو يعرفنا بمجموعة من مراكز العلم التي أقيمت فيها حلقات الدرس ويسميها، ويسمي معها الشيوخ الذين حلقوا بها. وهكذا يذكر :

1) المدرسة الجديدة : وهي المدرسة التي ابتناها أبو الحسن المريني[87]، وقد تولى أستاذيتها كثير من أهل سبتة وغيرهم من الطارئين عليها، منهم : ابن هارون، والزكندري، وابن عامر، والناميسي، وقاسم بن أبي حجة، وأبو بكر الشريف الإدريسي[88]، وغيرهم.

2) المدرسة القديمة : وهي المدرسة التي أنشأها المحدث أبو الحسن علي الشآري[89] وجعل بها خزانة من كتبه[90]. وقد تولى التدريس بها والإشراف على خزانتها الأستاذ محمد بن إبراهيم الغافقي[91].

80) فهرسة السراج : 115 أ.
81) راجع وصفها والنص المحقق في مجلة المورد العراقية، مجلد 10 عدد : 2 ص : 49.
82) وفيات الونشريشي 112 - ووفيات ابن القاضي 193.
83) بلغة الأمنية : 38.
84) فهرسة السراج : 79 أ. توفي ابن مسلم سنة 773. تنظر ترجمته في : فهارس علماء المغرب 690.
85) بلغة الأمنية : 39.
87) اختصار الأخبار : 30.
88) راجع بلغة الأمنية : 26، 33، 35، 36، 40، 45، 49.
89) توفي بمالقة عام 649. تنظر ترجمته في : برنامج الرعيني : 74 - إفادة النصيح لابن رشيد : 105 - فهارس علماء المغرب : 679 والمراجع المذكورة بالهامش.
90) برنامج الرعيني : 75.
91) بلغة الأمنية : 31.

3) مسجد القتال : وهو أحد مساجد سبتة العامرة بالعلم، وقد حلق به من الشيوخ : ابن هانئ السبتي، وسعيد الصنهاجي، وأبو بكر الشريف الإدريسي[92]، وغيرهم كثير.

4) مسجد مقبرة زجلو : وقد درس به من الشيوخ : الزرعي، وابن مدعينة، ومحمد الوادي لاوي السعيدي، وأحمد الشعار، وابن السكاك العياضي، وأبو بكر الشريف الإدريسي[93]، وغيرهم. ويعتبر هذا المسجد والذي قبله من أكثر مساجد سبتة في الحضور العلمي.

5) الجامع الأعظم بسبتة :[94] وبه درس غير واحد من علماء سبتة في القرن الثامن كابن السكاك العياضي، وسعيد الأنجري[95] وغيرهما. وكان من قبل موضع الدرس والقراءة وإسماع الحديث. فقد أسمع به الحديث في القرن السابع الشريف الحسين بن أبي رفيع الحسيني[96]، وقبله أبو الحسن الشاري[97]. وكانت به خزانة عامرة، فيها أصول وأعلاق.

6) المسجد الأسفل من زقاق ابن عيسى : وقد درس به من الشيوخ ابن السكاك العياضي، ومحمد بن زيد السمار[98] وكان من قبل موضع إقراء أبي بكر بن منظور الإشبيلي نزيل سبتة[99].

7) مسجد زقاق الحرة : كان به درس علي الأنجري[100].

8) جامع التبانين بالربض الأسفل : كان يدرس به علي الأنجري[101] أيضا، وهو جامع كبير تقام به الجمعة، وكان صحنه مزارة حيث مدفن ابن سبع السبتي، والصالح ابن خرزوزة[102].

9) مسجد القاضي أبي الفضل عياض : درس به الشيخ العباسي[103].

10) مسجد الغزالين : وكانت تقام به حلقة ابن النكي[104].

11) مسجد رحبة الوزان : وقد درس به أيضا الشيخ العباسي[105].

12) مسجد العطار الذي بأعلى زقاق بئر الخير : درس به الشيخ قاسم بن أبي حجة[106].

13) المسجد الأعلى من زقاق ابن عيسى : درس به من الشيوخ أبو العباس القباب، والشيخ البطيني[107].

14) مسجد زقاق الفضل : حلق به ابن بيبش العبدري أثناء وجوده بسبتة، ودرس به الشيخ البطيني[108].

☆ ☆ ☆

ب) ويذكر لنا ما كانت تشهده هذه الدروس من تداول في العلوم المختلفة مما كانت تشهده من قبل ومن بعد، مجالس الدرس في المغرب، مع تسمية بعض المصنفات التي كان يقوم بها الدرس في هذه الحلقات، وهكذا كان في :[109].

- درس الحديث يشار صحيح مسلم، وموطأ مالك، وإكمال القاضي عياض.

- وفي درس التفسير على اتساعه كتاب الكشاف للزمخشري، وتفسير الطيبي.

- وفي درس السيرة : سيرة ابن إسحاق.

---

92) بلغة "الأمنية" 23، 39، 50.

93) بلغة "الأمنية" : 27، 34، 37، 44، 48، 50.

94) راجع عن وصفه اختصار الأخبار : 31.

95) بلغة "الأمنية" : 48، 39.

96) برنامج التجيبي : 76.

97) برنامج الرعيني : 75 - إفادة النصيح لابن رشيد : 111 - برنامج التجيبي : 75.

98) بلغة "الأمنية" : 48.

99) برنامج التجيبي : 34.

100) بلغة "الأمنية" : 41.

101) نفس المصدر والصفحة.

102) اختصار الأخبار : 24.

103) بلغة "الأمنية" : 43.

104) بلغة "الأمنية" : 34.

105) بلغة "الأمنية" : 43.

106) بلغة "الأمنية" : 45.

107) الأمنية" : 47 - 42.

108) بلغة "الأمنية" : 35، 42.

109) كل هذه المعلومات مأخوذة من بلغة "الأمنية".

- وفي درس الفقه : المدونة (التهذيب للبراذعي)، وجواهر ابن شاس، والتفريع لابن الجلاب، والرسالة لابن أبي زيد، والوثائق لأبي القاسم.

- وفي الأصول : المستصفى للغزالي، وأصلي ابن الحاجب.

- وفي اللغة والعربية : صحاح الجوهري، والجمل للزجاجي، والألفية لابن مالك، والكراسة للجزولي، وكان يتم التدريب في الإعراب على الأشعار الستة الجاهلية وشعر المتنبي.

- وفي الأدب مقامات الحريري، وشعر المتنبي، وأشعار الستة الجاهلية.

- وفي القراءات حرز الأماني للشاطبي، والدرر اللوامع لابن بري.

- وفي التصوف إحياء علوم الدين، ومنهاج العابدين للغزالي، والرعاية للمحاسبي، وبداية الهداية للغزالي أيضا.

وهذه المصنفات المذكورة تمثل بعض الكتب الأساسية التي كان يقوم عليها الدرس آنذاك.

☆ ☆ ☆

ج) ومع مراكز الدرس ومقررات الدراسة يلتفت المؤلف إلى ما يجري في الدرس فيصف لنا أحوال بعض الشيوخ وعاداتهم في التدريس وطرق التعليم التي يتبعونها.

- فقد كان الشيخ ابن هانئ السبتي في تدريسه بموضع إقرائه بمسجد القفال (يرد ظهره إلى جدار القبلة من بعد صلاة الصبح، ويمشي دولة إثر دولة في الفنون العلمية إلى أن تزول الشمس)[110].

- وكان الشيخ ابن عبد المنعم الحميري السبتي (يقرئ الطلبة في المجلس الواحد دولا في علوم شتى، قال : وآخر ذلك دولة في الطب. وكان له قيام على الأصول والنحو وسوى ذلك. قال : وكان يحكم قراءة كتاب سيبويه أتم إحكام، ويستظهر شواهده كلها، ويطرح ما عداه من مصنفات فنه. قال : وكان يقدم صحاح الجوهري على سواها في كتب اللغة ويستظهر شواهدها أيضا، ويقدم جواهر ابن شاس في الفقه على غيرها من كتبه)[111].

وتتنوع الطرق التعليمية التي انتهجها هؤلاء الشيوخ حسب المادة وإمكاناتهم العلمية. وهي في عمومها لا تكاد تخرج على ما عهدناه في حلقات الدرس بالمغرب والأندلس. من ذلك :

1) **طريقة المناظرة :** وهي طريقة الحفاظ. ويقوم العمل فيها على مناظرة النصوص فيما بينها ومقابلتها، والتحري في جلب الآراء التي وردت فيها ليتبين بذلك وجه القبول أو الرد عند أصحابها. وقد تأثر فيها شيوخ المغرب والأندلس بنظار العراق. وقد باتت إحدى الطرق الشهيرة التي يجرى بها الدرس في المغرب والأندلس واشتهرت حلقات فاس في درس الفقه بهذه الطريقة[112]. وقد نهج هذه الطريقة ابن السكاك العياضي في درسه التفسيري بسبتة، (فكان يتكلم على معاني القرآن وبلاغته المعجزة بأفصح لسان وأحسن عبارة، وينص كلام شرف الدين الطيبي في تفسيره[113]، وكان يستظهر التبيان في علم البيان له، ويأتي بكلام أبي القاسم الزمخشري في الكشاف، ويقال فيه الكاشف، وينبه على ما يتعلق به من الاعتزال إلى غير ذلك)[114].

ونفس الطريقة انتهجها الشيخ أبو بكر الشريف الحسني في درس النحو، فكان في إقرائه الجمل لأبي القاسم الزجاجي، وألفية ابن مالك (يأتي بكلام الطائفة

---

110) بلغة الأمنية : 23.

111) بلغة الأمنية : 25.

112) حول طريقة المناظرة، راجع رسالتنا فهارس علماء المغرب : 528 وما بعدها.

113) توفي شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي سنة 743. تنظر ترجمته في : الدرر الكامنة 68/2 - شذرات الذهب 137/6 وسماه الحسن - طبقات المفسرين للداودي 146/1 البدر الطالع للشوكاني 229/1. وتذكر للطيبي مؤلفات في التفسير، منها : فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. وهو حاشية كبيرة على كشاف الزمخشري. أما كتاب التبيان المذكور فهو في علم المعاني والبيان.

114) بلغة الأمنية : 48.

الشلوبينية : ابن أبي الربيع، وابن عصفور، وابن الضائع، وابن خروف، وسواهم، ويوجه الأقوال، وينفصل عن الاعتراضات...[115].

2) **طريقة الحك اللفظي :**[116] وهي الطريقة التي تقوم على إزالة الإشكال وحل المقفل في النص فقط. وتهم أساسا المبتدئين من الطلبة. ومعالم هذه الطريقة نجدها قديما عند ابن البناء المراكشي، وابن عرفة. وقد استأثرت هذه الطريقة بالدرس في مغرب القرن الحادي عشر، وبالأخص في زوايا درعة.

غير أن تصرف الشيوخ في هذه الطريقة وتطعيمها بعملية تحقيق النص أولا، وباستيفاء ما يتعلق به من شروح وتعاليق ثانيا، على عادة القيروانيين[117] يجعلها في مستوى مخاطبة غير المبتدئين من الطلبة.

وقد اتخذ هذه الطريقة من شيوخ سبتة الشيخ محمد الأنجري فكان يقرئ بها الحديث والفقه، (أما قراءته لكتاب مسلم بن الحجاج فلا يقرع سمعك مثلها، كان رحمه الله ينص إكمال القاضي أبي الفضل حرفا حرفا، وكذا سير ابن إسحاق بفصاحة منطق وحسن إلقاء من غير توقف ولا تلعثم ولا ترجيع ولا تكرار، إلا أن يقصده، يسمع الداني والقاصي من غير اختلاف بحرف ولا تغيير لمعنى وإن دق. وأما إقراؤه لعقيدة الرسالة لابن أبي زيد فمثل ذلك من استيفاء كلام الأصوليين وحسن العبارة ورفع الابهام وإزالة الإشكال وحل المقفل)[118].

3) **طريقة الاستيفاء :** وهي طريقة تقوم على استحضار الشروح والحواشي واستقصاء المسألة فيها، وذلك بعرض ما قيل فيها مع التحري في هذا العرض. وهي طريقة عرفها شيوخ المغرب[119]. وقد سار عليها في درسه الشيخ محمد الوادي لاوى السعيدي، فكان (يدرس المدونة في مسجد مقبرة زجلو، ويتحرى نقل الشيوخ، فكان الطلبة يمسكون الشروحات بين يديه، ويملي هو من حفظه كاللخمي، وابن يونس، والمقدمات، وما في معنى ذلك)[120].

☆ ☆ ☆

5) **برنامج المرويات :** وهو الكتاب الخامس الذي نعرفه لابن القاسم الأنصاري، وقد أورد ذكره ونسبته إليه في كتابه (بلغة الأمنية)، ولم يشر إليه إلا مرة واحدة عند ترجمة شيخه أبي بكر الشريف الحسني الإدريسي[121]. ويعتبر هذا البرنامج الآن في حكم المفقود.

ولا أعرف عن هذا البرنامج شيئا. والحكم عليه من خلال الإشارة الوحيدة هو أمر لا يحسم الموقف أو يعرف بطبيعته. فقد وردت التسمية على أنه برنامج مرويات. وبرنامج المرويات - في العرف الثقافي بالغرب الإسلامي - هي تلك التي تقوم موادها على ذكر ما يحق للرجل في روايته وإسناده من مؤلفات ورسائل وأخبار وأشعار ونوادر وغيره، مقرونة بالطرق الإسنادية التي تصل بصاحب البرنامج إلى مؤلفيها[122]. وعلى هذا، فهذه التسمية تجعله ضمن هذا الصنف من البرامج، وتحكم عليه مسبقا بالمادة التي يضمها. غير أن ورود الإشارة إليه في خاتمة ترجمة شيخ المؤلف أبي بكر الحسني الإدريسي، والإحالة عليه فيها فقط، يجعلنا نأخذ الأمور بحذر، فترجمة أبي بكر الشريف الواردة في (بلغة الأمنية) هي من صنع تلميذ لشيخه. ومحتويات مادتها وطبيعة بنائها تجعلها في صنف تراجم البرامج[123]. فالحديث عن الشيخ وعرض أحواله في الدرس وطريقته في التعليم وما كان يعتمده في درسه من مؤلفات وما قرأ عليه تلميذه وكيف قرأ - كل هذا يجعلنا أمام ترجمة نقلت كلا أو بعضا من برنامج يقوم على التعريف بالشيوخ.

---

115) بلغة الأمنية : 49.

116) حول هذه الطريقة وأصولها واستخدامها عند شيوخ المغرب، راجع فهارس علماء المغرب : 538 والمراجع المذكورة.

117) عن طريقة القيروانيين، راجع أزهار الرياض 22/3 وفهارس علماء المغرب : 538.

118) بلغة الأمنية : 45.

119) راجع عن طريقة الاستيفاء فهارس علماء المغرب : 531.

120) بلغة الأمنية : 37.

121) بلغة الأمنية : 51.

122) فهارس علماء المغرب : 213.

123) فهارس علماء المغرب : 638.

فهل كتب ابن القاسم الأنصاري ترجمة شيخه هذا، وعلى هذه الصفة ليخص بها كتابه (بلغة الأمنية)، أو أنها في الأصل منقولة من برنامجه ؟

أعتقد أن جميع الاحتمالات واردة، فقد يكون هذا البرنامج خاصا بالمرويات ـ كما وردت الإحالة عليه ـ وترجمة شيخه هذه قد كتبها بهذه الصفة لتكون ضمن كتاب (بلغة الأمنية). وقد يكون هذا البرنامج من الصنف الثالث[124] الذي يجمع فيه صاحبه بين تراجم الشيوخ وعرض المرويات. فتكون الترجمة المذكورة في أصل البرنامج ؟

☆ ☆ ☆

6) **بغية السامع** : وقد نسبه ابن القاسم الأنصاري في كتابه (اختصار الأخبار) إلى نفسه[125]. وشأن هذا الكتاب كشأن سابقه. فنصه يعتبر في حكم المفقود. ولم أصادف ذكرا له أو نقلا منه فيما اطلعت عليه من كتابات. ولا أعرف عنه غير ما ورد في كتاب (اختصار الأخبار). فقد أحال عليه صاحبه مرة واحدة، وبالضبط عند حديثه عن الجامع الأعظم بسبتة.

ويغلب على الظن ـ والله أعلم ـ أن كتاب (بغية السامع) من صنف كتاب (الإعلام) للمؤلف نفسه، اختصا بالحديث عن الجانب العمراني بسبتة ووصف مآثرها. غير أن كتاب (بغية السامع) اقتصر فيه المؤلف على ما يتعلق بالجامع الأعظم من سبتة بذكر خبره ووصف جنباته. ويزكي هذا الصيغة التي أحال بها المؤلف على كتابه بغية السامع (وقد استوعبنا وصف هذا الجامع وذكرنا ما ينبغي أن يذكر من تاريخ وخبر في بغية السامع من تأليفنا).

ولا أستبعد أن تكون السجعة الثانية في كتاب (بغية السامع) هي لفظة (الجامع).

ترجمة محمد بن القاسم الأنصاري السبتي :

وإذا ثبت لنا أن هذه المؤلفات المذكورة بكاملها هي من تأليف رجل واحد هو محمد بن القاسم الأنصاري السبتي ـ جاء اسمه مقرونا بكتابه اختصار الأخبار ومذكورا في طالعته ـ فقد آن لنا أن نبني ترجمة للرجل تعرف ببعض أحواله.

أ) لا أعرف فيما بين يدي من مصادر من أجرى ذكر هذا الرجل أو عرف به، باستثناء ما جاء في كتابيه (اختصار الأخبار) و(بلغة الأمنية). وفي أولها أنه أنهى تأليفه سنة 825[126]. ومعنى هذا أن الرجل قد امتد جزء من حياته في القرن التاسع. وهو قرن مظلم لا نكاد نتبين فيه الحقائق التاريخية الكبرى في المغرب، فأحرى تفصيل شخصية تنزح من وطنها المغتصب لتستقر في جهة ما من جهات المغرب.

ورغم ما بين أيدينا من مصادر ـ على قلتها ـ تخص القرن التاسع، فإننا لا نجد فيها ذلك الوضوح الذي تعودناه في القرون السابقة أو اللاحقة. ولذلك لا نلفي ذكرا لهذا الرجل في كناشة زروق، وفهرسة ابن غازي، والروض الهتون له، وفهرستي ابني هلال : الأب والابن، ووفيات الونشريشي ومعياره على ضخامته، ولا في برنامج المجاري، وفهرسة المنتوري ـ وهما من معاصريه ـ ولا في ثبت البلوي الوادي آشي، ولا في رحلة القلصادي[127] ـ وهي أكثر المصادر تعلقا بالقرن التاسع الهجري ـ ولا في غيرها من المصادر اللاحقة التي تناولت الحديث عن رجال هذه الفترة وتاريخها.

ومعنى هذا أن خبر الرجل يغيب عنا منذ أن وقع تاريخ نهاية العمل من تأليفه الصغير (اختصار الأخبار)، فلا نعرف عنه شيئا، لا عن إقامته، ولا عن نشاطه، ولا عن وفاته.

وفي وفيات الونشريشي ذكر لمن وسمه (بشيخنا ومفيدنا القدم محمد بن علي بن قاسم الأنصاري، شهر بالمري)، كانت وفاته بتلمسان سنة 864[128].

---

124) فهارس علماء المغرب : 328.

125) اختصار الأخبار : 31.

126) راجع اختصار الأخبار : 62.

127) من هذه المؤلفات ما يزال مخطوطاً. فكناشة زروق مخطوط الخزانة العامة بالرباط : ك 1385 ضمن مجموع. وفهرستا ابني هلال : إبراهيم وولده عبد العزيز، كلاهما مخطوط بالخزانة العامة بالرباط : ك 271 ضمن مجموع. وفهرسة المنتوري مخطوط الخزانة الملكية رقم 12867 ك والباقي قد حقق ونشر.

128) وفيات الونشريشي : 145.

ومثله في درة الحجال عند ابن القاضي حيث ذكر محمد ابن قاسم الأنصاري أبو عبد الله يعرف بالمري، توفي بتلمسان سنة 864.[129]

وإذا كنت أستبعد أن تكون لهاتين الترجمتين علاقة بالرجل الذي نبحث فيه لأسباب متعددة، فإن إيراد ذلك هنا، إنما يتم للاستئناس به أولا، ومحاولة قطع الشك ثانيا.

ب) فالرجل من أهل سبتة، وبالضبط من قرية بزيج في ضواحيها. وقد ولد بها بعيد الستين بقليل من القرن الثامن. فقد كان طفلا صغيرا عند تولية أبي العباس القباب[130] قضاء سبتة. وقد سمعه في حال الصغر يتكلم على موطأ مالك وهو مجتاز على باب مسجد زقاق ابن عيسى الأعلى. وقد تخلى القباب عن قضاء سبتة وانصرف إلى بلده فاس سنة 773 هـ.[131]

وأدرك في حال الصغر أيضا الشيخ محمد الوادي لاوي السعيدي، وعاينه، وقد وصفه بما رأى وشاهد من حاله. وتوفي الوادي لاوي المذكور في ذي الحجة عام 772.[132]

وفي سبتة كانت نشأته، وفي مساجدها كان يجلس إلى حلقات دروسها. ويبدو أن مشيخته كانت من الاتساع والأهمية، مما حدا به أن يؤلف فيها برنامجه، فيجمع فيه ذكر شيوخه ومروياته.

وفي غياب هذا البرنامج الذي يعتبر الآن في حكم المفقود، يبقى بين أيدينا مجموعة من الإشارات المختلفة التي أجراها في كتابه (بلغة الأمنية) حول شيوخه ونشاطهم في التدريس والقضاء، والجو العلمي العام الذي كانت تعيشه سبتة أواخر القرن الثامن وأوئل التاسع.

ج) فمن شيوخه الذين جلس إلى حلقاتهم العلمية ما يلي :

1 ـ **محمد العباسي**[133] (لا يعرف تاريخ وفاته) : وهو أحد شيوخ سبتة، درس النحو بمسجد رحبة الوزان وبمسجد القاضي أبي الفضل عياض بسبتة، وقد تخرج عليه جماعة من طلبتها. حضر عليه محمد بن القاسم الأنصاري في دروسه بمسجد القاضي أبي الفضل عياض واستفاد منه، وذلك في أخريات حياة هذا الشيخ.

وكان العباسي المذكور يتولى الخطابة بسبتة، تولاها أولا بجامع أفراك، وهو جامع الخلافة الذي اختطه السلطان أبو الحسن المريني رحمه الله. وكان ممن تولى خطابته بعد إنشائه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق الجد، أثناء إقامته بسبتة مدة ثلاثة سنوات.[134]

ثم تولى الشيخ العباسي أخيرا الخطابة بجامع القصبة. وكان يسكن في دار القاضي عياض.[135]

2 ـ **أحمد الشعار**[136] (لا يعرف تاريخ وفاته) : كان أستاذا بمسجد مقبرة زجلو. تعدد نشاطه العلمي فشارك في النحو والأدب واللغة والقراءات وقرض الشعر. حضر عليه محمد بن القاسم الأنصاري كثيرا من دروسه في مختلف العلوم فقرأ عليه التفسير والحديث والفقه.

وقرأ عليه التصوف في كتابي إحياء العلوم للغزالي، والرعاية للمحاسبي. كما حضر عليه في درس النحو والآداب، وكان يدرس فيها كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي، والألفية لابن مالك، والجزولية لأبي موسى الجزولي. وفي الأدب مقامات الحريري وشعر أبي الطيب المتنبي. ويذكر عنه أنه تدرب بين يديه في الإعراب، في أشعار الستة الجاهلية، وشعر أبي الطيب المتنبي.[137]

3 ـ **أبو محمد قاسم بن أبي حجة الأنصاري**[138] من أهل سبتة (توفي عام 802) : أستاذ مشارك في كثير من

129) درة الحجال 293/2 رقم : 822.

130) بلغة الأمنية : 47. توفي القباب سنة 778. تنظر ترجمته في : الإحاطة : 187/1 ـ نيل الابتهاج : 72 ـ درة الحجال : 47/1 ـ وجذوة الاقتباس 124/1.

131) بلغة الأمنية : 47.

132) بلغة الأمنية : 36 ـ وقد ذكر مزاره في اختصار الأخبار : 19.

133) بلغة الأمنية : 43 وتنفرد بذكره.

134) فهرسة إبراهيم بن هلال : 493.

135) بلغة الأمنية : 43.

136) بلغة الأمنية : 44 وتنفرد بذكره.

137) بلغة الأمنية : 44.

138) ترجمته في بلغة الأمنية : 44 ـ جذوة الاقتباس 513/2.

الفنون، غلب عليه الزهد والتصوف، ونسخ بخطه كثيرا وقيد واجتهد. له رحلة إلى المشرق حج فيها ولقي العلماء وذاكرهم. درس الفقه والحديث والعربية بالمدرسة الجديدة بسبتة، كما درس التفسير بمسجد العطار الذي بأعلى زقاق بُرّ الخير. وقد حضر عليه محمد بن القاسم الأنصاري في الدرسين معا، في التفسير والحديث والفقه والعربية، وانتفع به. ويصف جماله بأنه (شيخ عالي الهمة حسن الشارة جميل الوجه ذكي الطبع فصيح الكلام متقدما في المحافل).[139]

ومن شيوخ ابن أبي حجة المذكور : القاضي أبو محمد عبد الله الزكندري المراكشي (تفقه في كتاب مسلم بن الحجاج بين يديه بموضع إقرائه من المدرسة) الجديدة بسبتة أيام تولي القاضي الزكندري قضاء سبتة.[140]

4 ـ **أبو بكر الشريف الحسني**[141] (توفي قاضيا بقصر كتامة عام 809) : تولى قضاء سبتة والخطابة بجامعها. ونزع في آخر عمره إلى القصر الكبير بعد نزاع بينه وبين أمير سبتة، فاستقر به حيث تولى قضاءه.

اشتهر أبو بكر الحسني بثقافته المتنوعة وكثرة تعاطيه الدرس والاقراء، مع اهتمام خاص باقتناء أعلاق الكتب النفيسة وأصولها. وهكذا درس التفسير والنحو والفقه والتصوف. وكان يعتمد في ذلك على كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي، وألفية ابن مالك في النحو، وعلى الرسالة لابن أبي زيد، والتهذيب للبراذعي، والتفريع لابن الجلاب في الفقه.

وكان ينحو في درسه النحوي منهجا خاصا، إذ يركز على آراء الشلوبين وتلامذته من أمثال أبي الحسين بن أبي الربيع الإشبيلي، وأبي الحسن بن الضائع الكتامي، وأبي الحسن ابن عصفور. فيناقش أقوالهم ويوجهها ويفصل اعتراضاتهم، ويقرب كل ذلك إلى أفهام المبتدئين من الطلبة. وحتى في درسه التفسيري كان يميل به إلى النحو وإعرابه.

ويعبر درس هذا الرجل عن الاستمرارية النحوي التي نهجها من قبل شيخ سبتة وأستاذها أبو الحسين بن أبي الربيع الإشبيلي دفين سبتة (تـ 688).[142]

وقد حضر محمد بن القاسم الأنصاري درس شيخه هذا في مختلف العلوم، ولازمه في العربية والفقه والفرائض والتفسير والتصوف، كما حمل عنه مصنفات الحديث. وكان يبر به ويؤثره ويبالغ في نصحه.

5 ـ **محمد بن أبي البركات ابن السكاك العياضي**[143] (توفي بسبتة عام 800) : تولى قضاء الجماعة بفاس وقضاء سبتة مرتين. استقر أخيرا بسبتة وبها توفي. قرأ على كثير من شيوخ المغرب، واشتغل بالتدريس في سبتة فأقرأ بالمدرسة الجديدة، والجامع الأعظم منها، التفسير والأصول والفقه.

وكان يقدم في الفقه جواهر ابن شاس، وفي الأصول المستصفى للغزالي، وأصلي ابن الحاجب. وتميز درسه في التفسير «فكان يتكلم على معاني القرآن وبلاغته المعجزة بأفصح لسان وأحسن عبارة، وينص كلام شرف الدين الطيبي في تفسيره، وكان يستظهر التبيان في علم البيان له، ويأتي بكلام أبي القاسم الزمخشري في الكشاف ويقول فيه الكاشف، وينبه على ما يتعلق به من الاعتزال، إلى غير ذلك».[144]

ومنهج درس التفسير هذا وبهذه الصورة، كان جاريا في فاس، واستمرت الحلقات تقام به معتمدة في ذلك على المقارنة بين الكشاف وتفسيري ابن عطية والطيبي، مميزة المزالق الاعتزالية التي وقع فيها الزمخشري. بينما كانت سبتة ومجالسها تفضل درس التفسير الذي يتجه فيه البحث إلى تبيين المشكل في اللغة والنحو والإعراب، مع الميل إلى الشرح الصوفي في بعض الأحيان.[145]

---

139) بلغة الأمنية : 44.

140) بلغة الأمنية : 33. تنظر ترجمة الزكندري في الأعلام للمراكشي 232/8 والمراجع المذكورة.

141) بلغة الأمنية : 49 وتنفرد بذكره.

142) عن حلقة ابن أبي الربيع النحوية بسبتة؛ راجع فهارس علماء المغرب : 491، 497، 502.

143) ترجمته في بلغة الأمنية : 48 ـ ونيل الابتهاج 284.

144) بلغة الأمنية : 48.

145) حول هذا الموضوع، راجع رسالتنا فهارس علماء المغرب : 477 وما بعدها.

حضر محمد بن القاسم الأنصاري دروس شيخه في التفسير والفقه والأصول بالمدرسة الجديدة، وبالجامع الأعظم بسبتة، واستفاد منه.

6 ـ **الخطيب محمد بن عدل الكناني**[146] (توفي بسبتة عام 805). أشار إلى أنه من شيوخه في غير موضع من كتابه (بلغة الأمنية).[147] تعاطى ابن عدل هذا العدالة والخطابة بسبتة، ومن شيوخه محمد ابن هارون الأموي، ومحمد بن إبراهيم الغافقي، وابن عمران الحضرمي، وابن المجراد السلوي وغيرهم.

وأخذ عنه أبو عبد الله المنتوري وعرف به في فهرسته.[148]

7 ـ **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأشعري القمارشي السبتي** (كان حيا عام 816) :[149] أجرى ذكره محمد بن القاسم الأنصاري في كتاب (بلغة الأمنية)، ونعته بشيخنا العدل.[150] ومن أشياخه القاضي ابن مسلم القصري.

8 ـ **قاضي الجماعه بغرناطة أبو الحسن النباهي** (كان حيا سنة 794) نعته في كتاب بلغة الأمنية بشيخنا.[151] ويغلب على الظن أنه لقيه بسبتة أثناء عبوره إلى المغرب. ومعلوم أن النباهي كان كثير العبور إلى المغرب. وآخر ما أعرف من قدماته إلى المغرب سنة 788، وقد قدم على فاس في غرض السفارة.[152]

9 ـ **القاضي رضى بن رضى** : أشار إلى أنه من شيوخه في كتاب (بلغة الأمنية).[153] والقاضي المذكور من أهل سبتة. لقي محمد بن يبيش العبدري بسبتة سنة 752 فأخذ عنه، كما أخذ عن القاضي ابن مسلم القصري.

10 ـ **الشيخ العدل أبو عبد الله الزيات** : لقيه ونقل عنه أخبار بعض شيوخ سبتة،[154] ولم يترجم له، أو يذكر ما حصل عليه من علوم.

11 ـ **أبو زيد بن أبي حجة** : أورد ذكره في بلغة الأمنية ونعته بصاحبنا.[155]

☆ ☆ ☆

هذه هي المشيخة التي أفادنا بها كتاب بلغة الأمنية، وقد جاء فيها بشكل واضح أخذه عن رجالها أو بشكل صريح الجلوس إلى حلقاتها العلمية.

ولا يبعد أن يكون له شيوخ أخر، ومن ضمنهم بعض المترجم بهم في بلغة الأمنية أيضا، إذ وصف دروس بعض الشيوخ وطريقة إقرائهم، يوحي أنه قد جلس إليهم أو استفاد منهم، وإن لم ينعتهم بشيخنا، أو يصرح بالأخذ عنهم.[156]

---

146) حول ابن عدل الكناني راجع فهارس علماء المغرب : 694 ـ واختصار الأخبار : 20 ـ (بلغة الأمنية : 26، 31، 32، 39 ـ فهرسة المنتوري : 261.

147) بلغة الأمنية : 26، 31، 32، 39.

148) فهرسة المنتوري 261.

149) في خزانة القرويين نسخة مخطوطة من كتاب الموافقات للشاطبي، أتم نسخها أبو عبد الله القمارشي عام 816، وقابلها على نسخة شيخه أبي يحيى ؟ وقد كان شيخه هذا قد قرأ نسخته على المؤلف أبي إسحاق الشاطبي أربع مرات. (راجع فهرس القرويين 198/2).

150) بلغة الأمنية : 38.

151) بلغة الأمنية : 32.

152) فهرسة السراج : 124 ب.

153) بلغة الأمنية : 35، 38.

154) بلغة الأمنية : 25، 28.

155) بلغة الأمنية : 48.

156) راجع في ذلك ترجمة محمد الأنجري (بلغة الأمنية : 45)، ويعقوب القصري (بلغة الأمنية : 43) ومسعود الزوازي (بلغة الأمنية : 41) وغيرها من التراجم.

لائحة المصادر والمراجع

- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب / تحقيق : محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجي / القاهرة.
- اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار / لمحمد بن القاسم الأنصاري السبتي / تحقيق : عبد الوهاب بنمنصور / المطبعة الملكية / الرباط / 1389 ـ 1969.
- أزهار الرياض في أخبار عياض / أحمد المقري / تحقيق جماعة من الأساتذة / صندوق إحياء التراث الإسلامي / الرباط.
- أعلام مالقة لأبي بكر بن خميس المالقي / صورة أحد الزملاء الأساتذة بتطوان.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام / العباس بن إبراهيم السملالي المراكشي / المطبعة الملكية ـ الرباط.
- إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح / محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي / تحقيق : د. محمد الحبيب ابن الخوجة / الدار التونسية للنشر.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / للقاضي محمد بن علي الشوكاني / دار المعرفة / بيروت / لبنان.
- برنامج التجيبي / القاسم بن يوسف التجيبي السبتي / تحقيق : عبد الحفيظ منصور / الدار العربية للكتاب / ليبيا / تونس.
- برنامج الرعيني / لأبي الحسن الرعيني الإشبيلي / تحقيق : إبراهيم شبوح / دمشق 1391 ـ 1962.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلسمان / محمد بن محمد المليتي ابن مريم / بعناية محمد بن أبي شنب / الجزائر / 1326 ـ 1908.
- بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب / لمؤلف مجهول (محمد بن القاسم الأنصاري) / تحقيق عبد الوهاب بن منصور / المطبعة الملكية / الرباط / 1404 ـ 1984.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس / أحمد ابن القاضي / دار المنصور / الرباط / 1973.
- درة الحجال في غرة أسماء الرجال / أحمد بن القاضي المكناسي / تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور / المكتبة العتيقة / تونس / 1390 ـ 1970.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / أحمد بن حجر العسقلاني / دار الجيل / بيروت.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة / محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي / تحقيق : د. محمد بنشريفة، د. إحسان عباس / دار صادر / بيروت.
- طبقات المالكية لمؤلف مجهول (كان حيا أوائل القرن العاشر) / مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم : د 3928.
- طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي الداودي / دار الكتب العلمية - بيروت.
- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة / لسان الدين ابن الخطيب / تحقيق : د.إحسان عباس / دار الثقافة / بيروت.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج / لأحمد بابا السوداني / مصورة الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي.
- مظهر النور الباصر في أمداح أبي الحجاج الملك الناصر / أبو الحسين ابن فركون / مخطوط الخزانة العامة بالرباط / ج 23.
- المورد (مجلة فصلية تصدرها وزارة الأعلام / الجمهورية العراقية) مجلد 10، عدد 2.
- نفح الطيب... لأحمد المقري / تحقيق : د. إحسان عباس / دار صادر / بيروت.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج / لأحمد بابا السوداني / بهامش الديباج / بيروت.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثامن عشر للهجرة / عبد الله المرابط الترغي / رسالة جامعية مرقونة.
- فهرسة أبي زكرياء السراج النفزي / مصورة عن مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم : 758.
- فهرسة ابن غازي / تحقيق محمد أبو الأجفان / الرباط.
- فهرسة إبراهيم بن هلال السجلماسي / مخطوط الخزانة العامة بالرباط : 271 ضمن مجموع.
- فهرسة مخطوطات خزانة القرويين / محمد العابد الفاسي / دار الكتاب / الدار البيضاء.
- فهرسة المنتوري محمد بن عبد الملك القيسي / مخطوط الخزانة الملكية رقم : ك 12867.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / ابن العماد الحنبلي / دار الآفاق الحديثة / بيروت.
- وفيات ابن القاضي / تحقيق : د.حجي / ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات / الرباط.
- وفيات الونشريشي / تحقيق : د.حجي / ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات / الرباط.

جلالة الملك الحسن الثاني مجدد ورائد مسلم

للشيخ ماء العينين لاراباس

إن الحديث عن معلمة من معالم التاريخ، وعن عبقري من عباقرة الإنسانية، يشد الأفكار، وتتسابق إلى تحلي الطروس به الكتاب ورجال الفكر والقلم، ولا تطل مناسبة ذكرى لمجدد إلا وتكون مناسبة يتبارى فيها المتطلعون المدركون للدور العظيم الطلائعي الذي لعبه ذلك العبقري لتغيير مجرى التاريخ.

ومن لطف الله بعباده وكرمه عليهم وبالأخص على هذه الأمة المحمدية أمة الوسط أن لا ينصرم قرن من الزمن إلا وأظهر الله فيه لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، ويوقظها من السبات الذي يلاحقها ليبعدها عن مصالحها في الحال والمآل، فيكون لطلوع شمس هذا الرائد المؤهل لإنقاذ الأمة محو لظلام الجهل وإبعاد لشبح الخطر الذي كان يهدد الأمة وينذرها بكثير من دمار الخلق وانحلال القيم.

وإن ما عانت منه الشعوب الإسلامية في نهاية القرن الهجري الماضي حتى أطل عليها هذا القرن الذي نعيش أوائله، ليعلمه الجميع فكان من حصيلته على أمتنا الإسلامية أن زرع أعداؤها أنواع التفرقة فيما بينها، حتى استطاع الغازي في شرق البلاد وغربها أن يهيمن على فضائل المجتمع الإسلامي، فأصاب شعوبها ضعف، وتغلب التيار الجارف على قادتها بطريقة أو بأخرى، فصار مجتمعنا، والحالة هذه، في أمس الحاجة لمن ينقذه، ويواجه ما ألم به من جراء المؤامرات التي حيكت ضد مبادئه المثلى، وأهدافه السامية وتطلعاته الإنسانية.

فكان من فضل الله علينا أن هيأ لمواجهة الأخطار المحدقة بنا والتي ترمي إلى نسف ديننا وجعلنا أثرا بعد عين حفيد الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ وخليفته أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني دام في حرز السبع المثاني.

فكان المجاهد الأكبر والداعية العظيم والمنقذ المثالي والفاتح المنتصر.

لقد حاول أعداء الإسلام أن يلوثوا عقيدته بالدعايات المغرضة الكاذبة فينسبون له ما هو براء منه، فقالوا إنه دين الدكتاتورية والسيف والإكراه وعدم الرحمة ببني الإنسان.

ولم يبق نوع من النعوت الشائنة إلا واتهموا الإسلام بها، فتصدى جلالة الملك لما أصاب الإسلام والمسلمين، فبين أعزه الله محاسن الإسلام وأظهر مثاليته وما يرمي إليه ديننا الحنيف من يسر ولطف بعباد الله، وما يحمل منهاجه المستقيم وتدعو له رسالته الإنسانية من التعامل بالحسنى واحترام البعض للبعض ومحاورة أهل الكتاب بالتي هي أحسن.

فاتضحت الرؤية لكثير من المجتمعات الإنسانية حول الإسلام، وزالت غشاوة الرين عن جمهور كان مضللاً، وأنذاك ظهر أنصار الإسلام والمتعاطفون معه في عدد من الجهات كان سكانها أبعد ما يكون عن ديننا الحنيف للصورة المشوهة التي أعطيت لهم عن الإسلام.

ولكن عندما أدركوا حقيقة هذا الدين اعتنقوه عن طواعية واقتناع كاملين فانتشر المسلمون في أروبا وأمريكا وأدغال إفريقيا وازدادت رقعة الدين امتدادا في آسيا.

﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

لقد بذل جلالة الملك الحسن الثاني جهودا مضنية لتعميم نشر الإسلام في صورته الحقة وفي منهاجه السلفي النقي الإنساني.

وحفاظا منه أعزه الله على تجديده في النفوس، ودفاعا عن مبادئه وأصوله وعقيدته أحدث منذ أن اعتلى عرش أسلافه المنعمين (دار الحديث الحسنية).

دور هذه المؤسسة العلمية هو : أن يتلقى فيها الطالب دراسات إسلامية عالية في علوم الحديث والقرآن والخلاف العالي.

فمنذ مدة وهذه الدار تعطي للعالم العربي والإسلامي وغيرهما علماء مسلحين برصيد وافر من العلوم الإسلامية، ومتضلعين من ينبوع المصدرين الأساسين لهذه الأمة : «الكتاب والسنة»..

فحمل خريجو دار الحديث الحسنية مشعل الدفاع عن هذا الدين بالأسلوب السني الصحيح.

وأسمعوا صوت الإسلام العذب اللطيف لكثير من سكان المعمور، وكم على يديهم هدى الله من خلقه وأرشد من عباده.

وكم استفاد من أجيالنا بأقلامهم التي نثروا بواسطتها درر مكنون علومهم في شتى المواضيع.

فلقنوا للمثقف المتطلع والكاتب الباحث والمفكر الممارس والعالم المتنور، والفقيه المتبصر والقانوني المقارن، والمنقب عن الفائدة العلمية في أي مجال من مجالات الفكر والمعرفة.

لقنوا للكل ببحوثهم القيمة وكتبهم الهادفة وكتاباتهم الحية ما يحتوي عليه الإسلام من علوم متنوعة تشمل كافة ألوان المعرفة وما يحمل من لطف وإنسانية في رسالته العالمية.

والفضل في هذا التجديد لدراسة الكتاب والسنة ونشر ما يدعو له الله ورسوله في أصقاع الدنيا يرجع لله أولا وقبل كل شيء ثم لعبده أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني الذي أبى وأخذ على نفسه أن لا يهدأ له بال حتى يرى هذا الدين قوي الجانب مصون الكرامة عند بني الإنسانية.

وقد سعى دام علاه السعي الحثيث لتوحيد العرب والمسلمين، وما زال يدعو بشتى أنواع التوجيه والنصح ليأخذ مجتمعنا الإسلامي السبيل السوي، وليظهر بمظهر القوة والمناعة، متضافر الجهد موحد الفكر، ملتحم الصف، يطبع هذا المجتمع قوله عليه الصلاة والسلام :

«المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا».

ولكي يعطي هذا العمل الثمرة المتوخاة منه، عمل - دام علاه - على انعقاد عدة مؤتمرات إسلامية بالمملكة المغربية، الهدف منها جمع الشمل، والتئام الصف، واتحاد الإخوة فيما بينهم على تقوى من الله ورضوان - وحل المشاكل التي تعترض الأسرة الإسلامية، سواء كانت واقعية أو مختلقة، داعيا إخوته في الله من قادة وشعوب إلى تكريس جهودهم للنهوض بالأمة الإسلامية حتى تصل إلى مصاف الأمم الراقية لكي تؤدي دورها الطلائعي المنتظر منها.

وأبرز - دام علاه - في الرسالة التي وجهها لشعبه والأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري ما عليها أن تضطلع به لتؤدي واجبها الإنساني على الوجه الأكمل.

ولقد وضح أن هذه الرسالة النبوية تعطي لمن سلك سبيل ما تدعو إليه كل المناعة، وتجعل العضو المربى التربية الإسلامية الصحيحة منتجا بعمله، خلاقا بتفكيره، واعيا بمسؤوليته، حريصاً على مصالح أمته، مظهرا - دام علاه - أن هذه الشريعة الإسلامية فطرية في مبادئها، منسجمة مع تطور الحياة في أهدافها وقواعدها العامة.

فقال حرفيا - أعزه الله :

(إن من تيسير الله لنا في معالجة شؤون الدنيا وشؤون الدين أن جعل الشريعة الإسلامية التي أكرمنا بها شريعة فكرية في مبادئها منطقية في أحكامها، قادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها، مستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها، صالحة للتطبيق في كل عصر وجيل دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل، ففي نطاق مبادئها وقواعدها والمحافظة على روحها يمكن لكل مجتمع أن يبلغ غاية ما يطمح إليه من التطور والنمو والكمال والسمو. بل كلما تقدمت البشرية خطوة إلى الأمام وجدت مثل الإسلام العليا سابقة لها متقدمة عليها، تضئ لها الطريق على الدوام. وإنما يتوقف الأمر على من يستوعب نصوصها، ويدرك مقاصدها، ويتفهم أسرارها، ويأخذ على عاتقه أن يستخرج نفائسها ودررها).

لا شك أن تقدمنا وتطورنا نحن الأمة الإسلامية رهين بعملنا وجدنا واجتهادنا واعتبارنا بما وصلت إليه الأمم الراقية ماديا، وذلك بأن نستفيد من شتى أنواع العلوم المعاصرة التي استطاعت بها الدول المتقدمة تكنلوجيا أن تسخر مظاهر الطبيعة من بر وبحر وفضاء، مع محافظتنا الكاملة على القيم الإسلامية روحا وسلوكاً، وذلك ما يدعونا إليه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني دام في حرز السبع المثاني.

فإن نحن ثابرنا على العمل ولم نترك الوقت يضيع، لا شك أننا سنصل إلى مقام الرقي ونحتل بحبوحة الكمال الذي يدعو ديننا إلى التحلي بهما والحفاظ على مكسبهما بكل الوسائل المشروعة.

إن جلالة الملك الحسن الثاني نادرة زمنه في الدفاع عن رسالة جده محمد سيد المرسلين، فلقد شيد المساجد في ربوع المملكة وخارجها، وأطر بيوت الله برجال الدين الأكفاء من خطباء وأصحاب دروس، وأعاد لجامعة القرويين دورها في فتح الكراسي العلمية، ولم يقتصر هذا العمل الباعث للثقافة الإسلامية على الوجه الصحيح، لم يقتصر على فتح الكراسي بفاس فحسب، بل استفاد من هذه التظاهرة العلمية المفيدة مكناس وتطوان وطنجة ومراكش وتيزنيت....

وستعمم هذه الكراسي العلمية على جميع المجالس عناية من جلالته أعزه الله بشعبه الوفي للعرش العلوي والمتشوق للمزيد من العلم وتوسيع مدارك المعرفة، وفتحا من جلالته الباب للعلماء كي يؤدوا رسالتهم على الوجه المطلوب حسب المنهج الدراسي الذي درج عليه سلفنا الصالح.

وحفاظا منه ـ دام علاه ـ على العلوم الإسلامية لتبقى المملكة المغربية محل إشعاع إسلامي كما كانت تؤدي دورها في نشر الإسلام وحضارته وبث الدين وسماحته.

كما أحييت المدارس القرآنية والعلمية العتيقة في كثير من جهات المملكة لتستأنف رسالتها كاملة غير منقوصة.

وبالجملة فإن الحركة الدينية والعلمية عرفت في عهد جلالته، دام عهده وزاد نصره، نهضة عملاقة، وخطت خطوات جبارة خدمة للإسلام والمسلمين.

فجدد الدين، وأحيا سبيل جده سيد المرسلين، وأظهر ما في الكتاب والسنة من إيجابيات للعالمين.

ولا غرابة في ذلك فإن ما أعطاه الله من علم وعبقرية وذكاء خارق واطلاع واسع وتوفيق من الله في كل أمر يقدم عليه، كل هذه النعوت وغيرها مما يتحلى به جلالته من صفات العظمة والكمال أهله، أعزه الله، لمواجهة ما عانى ويعاني منه الإسلام والمسلمون، فكان، دام علاه، المنقذ الأكبر والمثل الأعلى.

فبه انتشر الإسلام وحورب الجهل واقتنع الكثير من أعداء الدين والمضللين بحرمة الإسلام وعظمته وإنسانيته ورحمته ولطفه بعباد الله، وجلالته داعية للسلم والوئام بين أبناء الإنسانية، وما زال يعمل ليل نهار بكل ما أوتي من حكمة وحنكة سياسية لنشر السلام والتحام صف الإخوة بل والإنسانية.

إن هذا البلد الأمين منبت للعظماء.

وكم أنجب وطننا الغالي من عباقرة وعلماء وملوك أجلاء تركوا لنا ذكرا جميلا ومجدا أصيلاً، وأحلوا هذا البلد العزيز المكان اللائق به.

وإنما حققه العرش العلوي المجيد والجالس عليه حفظه الله لهذه الأُمة وللبشرية بصفة أعم من أعمال بناءة تخدم الفرد والمجتمع سيبقى ذكره الجميل تلهج به الألسن ويفتخر به سفر تاريخ الأُمم الخالد.

إن ما من الله به على هذه الأمة من نعمه كثير، ومن أجله هدانا لدين الرسول الأعظم وأعطى لأُمته من يجدد لها أمر دينها فيظهر لتدعيم الحق ومناهضة الباطل منقذ ورائد وكوكب وضاء يتوضح بنور فكره للبشرية المنهج القويم والصراط المستقيم.

(ليحيى من حيي عن بينة).

(سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا).

وقد أهل الله لحمل هذه الأمانة الشاقة، أمانة الدعوى والتجديد وإنقاذ الأُمة مما تتردى فيه من مخلفات الجهل والاستعمار ومؤامرات أعداء الإسلام والمسلمين، أهل الله لمواجهة ما عانينا منه نحن المسلمين أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني، فقام بالعبء أحسن قيام، وكان المثل الأعلى في مواجهة التحديات التي عرفتها الأمة، وقد عودنا بالانتصارات تلو الأُخرى في أي عمل يقدم عليه.

أدام الله جلالته ذخرا للإسلام والمسلمين، وحصنا حصينا وركنا لنا، أفرادا وجماعات، ركينا.

وبلغه الله مأموله في شعبه وأُمته الإسلامية مقرور العين بولي العهد الأمجد الأمير مولاي سيد محمد وبصنوه الرشيد الأمير مولاي رشيد. إنه قريب مجيب.



تهل طلعة عيد الشباب على المغرب، وشبابه المتوقد إرادة، المتوثب عزماً، المتحفز لكل عمل هادف، لكل بناء خلاق، يستشرف أجمل الرؤى من خلال ما تحقق للبلاد من موفور حرية، وكمال وحدة، ومتانة منعة، وشمولية نماء وتطور، مستلهما من ذلك، مزيد الإيمان بقدرات وطنه، وخصوبة دلالات إشعاع هذا الوطن وما له من طاقة غزيرة الموارد على التجديد والابتكار، وتحقيق أجلّ الإيجابيات وأوسعها مدى، وأعمقها أفقاً.

عيد الشباب : شعور قومي عميق بالاعتزاز بما أوتيه هذا البلد من مناقب وخصال، تتجسد من خلالها حيويته وفتوته، وتبرز بأبهى صورة - استطاعته الفائقة على درب التعاطي مع الزمن والحياة، والتفاعل الحي المثمر، مع البيئة العالمية حوله مع المناخ التاريخي والحضاري المحيط به، لاستخلاص عطاءات في مستوى المطامح والتطلعات التي ميزت - باستمرار - ديناميكية الوجود المغربي، وأضفت عليه الأعماق الإنسانية التي اتسع لها ماضيا وحاضرا - سواء في النطاق الجهوي أو القاري أو الدولي.

لقد عاش المغرب ويعيش حياته وفكره ورؤاه وحضارته ونضالاته وإنجازاته في فيض من المقدرة الخصبة المعطاء التي خولتها له صفة الفتوة والحيوية الدافقة، التي تكمن فيه، وتتعدد مواردها وروافدها لديه، دون حد تقف عنده هذه الموارد والروافد؛ عاش المغرب ويعيش تاريخه العامر موصول المدد موفوره منذ هذه المقدرة الزاخرة، وبكل ما لها من أبعاد روحية ونفسية وخلقية انطبعت بها على نحو مبدع - وتيرة فاعليته الذاتية، واختياراته وتوجهاته وارتباطاته وخبراته.

والفتوة أو الشباب صفة مستقطبة لكثير من الخصائص والسمات، مما يميز أفرادا عن بعضهم البعض، إذا كانت حصيلتهم من هذه الخصائص متفاوتة، مثلما يميز جماعات عن أخرى، تبعا لقوة أو ضعف إشعاع مثل هذه الخصائص عند هؤلاء أو أولئك؛ وإذا كانت المقاييس الديوغرافية - ككثرة عدد من هو في سن الشباب - تستعمل للحكم على مجتمع من المجتمعات بأنه مجتمع شاب، أو بالعكس فإن الصفات النفسية والعقلية والأخلاقية التي تغلب على مزاج مجتمع أو غيره، فتطبع عقليته وسلوكه بطابع الأريحية

والجرأة والإقدام، ودفق الحماس وسعة الخيال وسرعة المبادرة، وصدق التوجه، وصلابة العزم، يمكن أن تعتمد هي ـ من منظور موسع للأشياء ـ كمعيار لوصف مجموعة بشرية ما، بالشباب، أو للحكم على أخرى بغير ذلك، ولو كانت تضم ـ في كثافتها الديموغرافية ـ نسبة عالية ممن هم في سن مبكرة؛ وباعتبار هذا، فإنك واجد نفسك ـ إذا ما بدا لك أن تتلمس مظاهر ومواصفات الشباب في مجتمع ما ـ محتاجا إلى التمييز بين المفهوم الديموغرافي لصفة الشباب في المجتمع المعني، وبين المنظور المعنوي لهذه الصفة، والمتجلي في نوعية الأخلاق الشبابية السائدة، ونموذج التطلعات والحوافز الموسومة بسمة الشباب، والمضطرمة بحرارة مشاعره، وديناميّة نشاطاته.

أما المغرب، فإن صفته كبلد شاب ـ هي أمتن جذوراً وأقوى مظهراً ومخبراً، وأوفى عطاء، وأبلغ تعبيرا، فيما يرتسم منها على صعيد أوجه الحياة في هذا الوطن، وما تشعه معاني كفاحاته ودوره المتميز في الساحة الإقليمية والدولية، وكفاءة اضطلاعه بالرسالة المنوطة به، وهي رسالة محكومة بمعطيات الجغرافيا، وسياق التفاعلات السياسية والاجتماعية والحضارية التي زخر بها مسار الزمن به.

☆ ☆ ☆

هذا العمق الذي ينطبع به مدلول الشباب في الكيان المغربي، يقابله ـ من جهة أخرى ـ في تكامل جميل المظهر والمغزى ـ مستوى العمق الذي تتسم به صفة الأصالة أو العراقة المشهود بها لهذا البلد، بحكم المدى الذي بلغته تجاربه في الحياة، وتمرسه الحضاري بتياراتها على امتداد مسافات زمنية موغلة في القدم، مما لم يتأت لكثير من الكيانات غيره، المعتبرة ـ من حيث المبدأ ـ أصيلة أو عريقة.

ومثلما لا ينحصر مفهوم الشباب بكيفية ضيقة في الخصائص البيولوجية عند الفرد، المستدل بها على صفة الشباب فيه، أو عند الجماعة، من خلال تركيبتها الديموغرافية، ذات الأكثرية الشبابية؛ بل يتخذ هذا المفهوم نطاقا مرنا يتعلق بطبيعة الاستعدادات المعنوية المتوفرة، ودرجة قوة أو ضعف تمثيلها لحيوية الشباب، وفيض حماسه، فكذلك الأمر أيضا فيما يخص معنى الأصالة، وما يندرج فيه؛ فالأصالة لا يتحتم أن تعني حالة مفردة، هي حالة تجذر مجتمع ما، في أغوار الماضي البعيد من حيث منشؤه ونموه، بل تعني صفة الأصالة فوق ذلك، أن الماضي الطويل الذي ينتمي إليه شعب من الشعوب، قد كان ماضيا متميزا بنشاطاته الإنسانية المبدعة فكراً وممارسة، وأن الرواسب المترتبة عن تلك النشاطات، وعن التحولات المنبثقة عنها في أخلاق الناس وعوائدهم ومسالكهم ونمط حياتهم، قد تبلورت فعلا في أشكال إيجابية مؤثرة تأثيرا صامدا أمام شتى المتغيرات؛ إن خصائص التراث الذي يجسد بهذا المعنى ماهية أصالة الشعب الأصيل، لتبقى ـ أي هذه الخصائص ـ ثابتة في مواجهة الزمن، متغلغلة في عمق كيان المجتمع محتفظة بما لها من توهج وقدرة على المنح والعطاء، على الرغم من كل ما يأخذ به المجتمع من أسباب الحداثة والتجدد؛ إن طول مسافة الماضي الذي ينتمي إليه المجتمع، ليس دائما ـ كما ذكر ـ أهم شيء في أصالته، وإنما مناط الأهمية في الأمر، مدى غنى المضمون الفكري والحضاري المكتسب بمهارة واقتدار ـ خلال أشواط ومراحل هذا الماضي، ومبلغ قدرة هذا المضمون على تعميق الحصانة الروحية والخلقية للمجتمع، وتجديد طاقته على التأثير الفعال في مجرى التيارات التاريخية.

☆ ☆ ☆

من هذا المنظور، تُرى صفة هذه الأصالة المعروف بها الكيان المغربي، والموسومة بها سجاياه ومميزاته، فهي أصالة روحية وفكرية وثقافية واجتماعية، وبالتالي، سياسية وحضارية، بقدر ما هي أصالة تاريخية، متجذرة ـ من حيث مداها الزمني ـ في أعماق الأجيال والدهور؛ انها أصالة مضمون ذي إشعاع معطاء، قدر ما هي أصالة إطار تاريخي طويل المدى من وجهة العمُر الذي تمدد عبره؛ ومن ثم،

فهذه الأصالة، أصالة الكيان المغربي ليست عادية، مثلما أنّ صفة الشباب في هذا الكيان ليست صفة عادية، من طراز شبابية كيانات أخرى غيره.

ولثراء مضمون هذا الرصيد من الأصالة الموفورة للمغرب، ثم وفوق ذلك، لكون هذا الرصيد متجذرا في الزمان والمكان، وبما لمضامينه الإنسانية من مناح متعددة، ولكونه كذلك بعيد الغور في حيويته وفاعليته وإيجابية قدراته، ترتبت عنه ـ عبر الدهور ـ أحوال كثيرة تتضافر مؤشراتها على تأكيد معنى القوة والحصانة والاقتدار فيما يعبر عنه الوجود المغربي، وترشد إليه الوجهة التي سلكتها مسيرته، وطبيعة الأفعال وردود الأفعال التي اتسم بها خلال مسار التفاعلات الدولية حوله؛ ومن بين هذه المترتبات :

1) تأخر توقيت وقوع المغرب تحت السيطرة الاستعمارية، وذلك بفارق قرون عديدة بالنسبة لعدد من أقطار آسيا وإفريقيا وغيرها.

2) سرعة تحرر المغرب من ربقة الاستعمار، وبالنتيجة، قصر الفترة التي طالته ـ خلالها ـ هيمنة المستعمرين.

3) عدم تعرضه ـ غداة استعادته لاستقلاله ـ لمؤثرات سلبية من قبيل ما تعرضت له بلدان أخرى، هشة بنيات كياناتها السياسية والاجتماعية ولا تتوافر لها تقاليد ذات أصالة في هذا المجال.

4) مناعة المغرب الراسخة في مواجهة الانعكاسات الناجمة عن شتى الاهتزازات والرجات ذات الدفع العاصف، وأحياناً، المدمر، التي يضطرم بها المحيط العالمي الراهن، في كثير من قطاعاته؛ وهي ميزة ثمينة، كم تسبب افتقاد الكثير جدا من أقطار العالم الثالث لها، في تعرض هذه الأقطار لمعوقات مختلفة في حياتها العامة، وفي حظوظ مستقبلها، إن لم يكن في جوهر كيانها نفسه؛ ولنحاول ـ في إطلالة قصيرة على الماضي، قبل أن نستكمل نظرتنا الموجزة حول الحاضر، استجلاء بعض الملامح عن مغرب القرن الهجري الثاني عشر وما بعده، وذلك من منظور ما تنم عنه هذه القدرات المنبثقة عن تكامل دينامية شبابه وبعد غور محتده. وما تسنى له ـ باستمرار ـ في إطار استعداداته هذه ـ من مؤهلات أضفت عليه قيمة الوزن والتأثير، الذي ما برح يميز ذاتيته وشخصيته، ويطبع قيمة أفعاله وردود فعله.

✡ ✡ ✡

كانت القرون الأخيرة، وعاء تاريخيا لاستيعاب سلسلة المتغيرات والتبلورات التي قلبت ـ رأسا على عقب ـ جملة المعادلات والتوازنات بين الأمم، وأبرزت ـ أوروبا ـ بكيفية متصاعدة ـ كقوة محورية ومطلقة الحول والطول، بالنسبة لشتى القارات غيرها في الشرق والغرب؛ أما المغرب، فقد شكل في هذه الحقبة الدرامية من تاريخ العالم، ظاهرة فريدة من أوجه اعتبار مختلفة، يتمثل بعض منها في قصور القوى التوسعية الأوروبية آنئذ عن النيل منه، في حين، أنها كانت قد استصفت معظم الأقطار الآسيوية والإفريقية، بما فيها المجاورة للمغرب، ومنها أي من أوجه الاعتبار هذه أيضا، كون المغرب قد استطاع في خلال الظرف ـ أن يواجه المد الاستعماري الأوروبي على الصعيد الفكري والحضاري، فضلا عن نجاحه في مجابهة هذا المد على المستوى السياسي العسكري؛ ومنها، أي من أوجه الاعتبار هذه كذلك، أن المغرب تجاوز ـ في أثناء الحال ـ حد المحافظة على كيانه ووجوده في مواجهة العاصفة، ليذهب بعيدا في مد يد النصرة للآخرين، ممن كانوا معرضين لنفس التهديد الاكتساحي الذي كان هو معرضا له؛ وهذه الصور ـ وهي ـ كما يرى ـ مرتبطة في نفس السياق بعضها ببعض ـ تعكس ـ ولا شك ـ أهمية الظاهرة التي تجلت ساعتئذ من خلال المغرب، قيمة هذه الظاهرة، المتمثلة في تفرد المغرب بموقعه المنيع هذا، في وسط محيط عالمي، أكثر ما كان فيه يهتز ويتهاوى تحت تأثير الاندفاعة التوسعية الأوروبية.

وقد كان المغرب في دوامة هذا التحول العالمي - أقرب البلدان المعرضة للتيار الاجتياحي القادم من أوروبا - إلى مصدر هذا التيار بالذات، وكان له دائما من ممكناته ومن مزاياه الموقعية وموفوراته المادية، ما يغري التوسعيين به، ويجعله في بؤرة تطلعاتهم إلى الاكتساح والضم، وكانت التطلعات تلك، حادة وشمولية النطاق، بحيث لم تكن تقف عند حد فيما تتشوف نحوه، وتهدف إليه.

وهذه الخصوصية الموقعية بالذات، التي جعلت المغرب أكثر تعرضا - بحكم دنوه المباشر من أوروبا لمخاطر التيار التوسعي المنطلق من القارة - هي نفسها التي فرضت أن تكون قطاعات مهمة من الأبيض المتوسط - مجال مواجهة بين المغرب في نصرته للأقطار الشقيقة له، وبين القوى الاستعمارية الأوروبية المتهافتة على توزع مناطق النفوذ بينها على حساب هذه الأقطار.

لقد كان ميدان المواجهة في هذه الحال - أوسع ميدان عرفه التاريخ المغربي في مطالع العصور الحديثة، وأكثره حفولا بالتحديات.

وكان حظا أساسيا لهذه البلاد، وقد وقف بها التاريخ في المنعطف ذلك الذي وقف بها فيه، وفرض عليها من مزيد الأعباء والتبعات ما فرضه عليها كقوة دولية مسؤولة في منطقة الحوض المتوسطي وغرب العالم الإسلامي، كان حظا أساسيا للبلاد في حالها تلك، إن كانت قد خرجت فعلا من النفق الذي احتواها في أواخر عصر السعديين، وانطلقت انطلاقاتها الكبرى تحت قيادة الدولة العلوية الشريفة، واعية عميق وعي، بمنطق التاريخ، وافية الاستيعاب لحقائقه ومفاهيمه، وطيدة الأهلية للأخذ بالزمام في مساراته واتجاهاته.

وإذ تجددت للمغرب - هكذا - في أعقاب النصف الثاني من القرن الهجري الحادي عشر - حوافز شبابه، وتعمقت - أكثر - مقومات أصالته، فإن الأفق كان قد انفسح أمامه ليجد نفسه كامل الأهبة، قوي العدة، ثابت القدم، لمواجهة حقائق المحيط الدولي حوله، والمساهمة الفعالة في تكييفها.

وتوالت مسيرة الحياة بهذا الوطن :

- الطائفية السياسية التي عاثت في أواخر الحقبة السعدية، وقد انحسرت ثم اختلفت في ظل المناخ الوطني الجديد، العامر فتوة وأصالة.

- الشراذم المتناثرة هنا وهناك وقد ذابت في بوتقة الفكر الجديد وانصهرت، فليس هناك على أنقاضها إلا شمل جميع، وألفة واشجة، وعرى وأواصر متضامنة، وصعيد روحي وفكري واحد، يقف عليه الكل.

- المدن الساحلية التي كانت وقعت تحت الغزو الأجنبي، وقد انعتقت، وانفك عنها القيد، لتستعيد موقعها في حظيرة وطن قوي متماسك، ومهاب بقوته وتماسكه.

- الصلات المغربية مع أوروبا وغيرها في قنواتها الديلوماسية والسياسية والاقتصادية والحضارية وقد نمت وتطورت وتنوعت، وأصبحت - بحكم ذلك - تشكل فصلا هاماً من فصول السياسة الدولية في حينه.

- التراث الحضاري المغربي : إضافات ضخمة إليه (ومكناس كمثال) إضافات تضاعف من ثراء رصيد هذا التراث شكلا ومضمونا وتنويع إشعاعه.

- المواكب الحضارية في مساقها الحديث : انفتاح على مؤشرات التطور الحضاري وماجرياته في الضفة الأخرى من البحر المتوسط، انفتاح مكن المغرب في ظرفه التاريخي ذاك، من تحديث وسائله الدفاعية وفق المعايير القائمة حينئذ، وتطوير تجارته، والتوسع في تعمير مناطقه، وتهجيز مرافقه.

☆ ☆ ☆

ولقد كانت ثورة الملك والشعب - بروحانيتها النضالية، وإشعاعها الفكري، وبعد غور استمداداتها الأخلاقية - تجسيداً متألقا لأصالة هذا الوطن، كما كانت تجسيماً حيا وبارز المعالم، لنصاعة شبابيته وقوة فتوته، وبكل ما تنطبع به هذه الشبابية والفتوة، من شدة العزم، ومتانة الإصرار، وحرارة التحفز، وطول النفس في خوض الصراع، المشرعة أبوابه مع الخصم، وكمال الاقتدار على إرباك هذا الخصم، وإحباط مخططاته؛ ومن ثم، كان لمترتبات الحسم الذي صنعته ثورة الملك والشعب لإنهاء الاستعمار، موقع رائد في مجمل التحدي التاريخي للعالم الإفريقي الأسيوي ضد الأوضاع الاستعمارية الجاثمة عليه؛ ومن ثم كذلك، اكتسى هذا الحسم ملابسات معنوية خاصة، سوغته أن يكون ظاهرة طلائعية في مجرى التطورات الدولية المهمة، التي زخرت بها بدايات النصف الثاني من خمسينات هذا القرن.

ومن أضخم الإنجازات الحضارية، ذات الأبعاد الإنسانية العميقة مدى، التي أبدعها المغرب الحسني في خلال السنوات الست والعشرين الماضية، أن هذه الخصائص المغربية ذات الجذور الأصيلة من جانب، والمفعمة فتوة وشبابا من جانب آخر، قد وجدت عبر مسيرة العمل على استكمال وحدة التراب، وتأهيل الوطن لمواكبة ديناميكية التقدم العالمي، والمساهمة فيه؛ سبيلا قيما للتعبير عن نفسها في أشكال وصيغ عامرة بالحيوية وروح الابتكار؛ وهي صيغ وفرت للمغرب قدرات بشرية ثمينة، ذات عطاءات إيجابية شاسعة، على صعيد الاستنفار والتعبئة الجماعية، وشمولية التكاثف على الإنجاز؛ كما عمقت كذلك في فكر المجتمع، طواعية الانضباط وتلقائية الحماس للالتزامات الوطنية، والارتباط الذهني والعاطفي ببواعث التضامن الجماعي.

لقد تهيأت - هكذا - في العهد الحسني - لكوامن التراث الأخلاقي لدى الشعب المغربي - القاعدة المتينة، والمجال العريض، والأجواء الملائمة، لكي تتبلور فاعلية هذه الكوامن، في أشكال إبداعية، تأهل بها المغرب لما تأهل لتحقيقه من أعمال جماعية تعتبر نموذجية بكل مقاييس التحليل والتقييم.

وفي مناخ حافل بالأصالة والحيوية كهذا المناخ الذي يعيشه المغرب الحسني، ويعيش في محيطه خصوبة الفكر المتمرس بالنضال وبالمسؤولية الحضارية، تسلسلت على مدى الستينات وما بعدها مواكب المأثرات واحدة تلو أخرى.

مأثرات متتالية الحلقات، متكاملة المضمون، متضافرة جميعها على بلورة صورة مغرب واسع الإمكانات، رفيع الأهداف، عظيم الطموحات، حثيث السير على درب الإنماء والتطوير، درب التأصيل والتحديث.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

إن من تيسير الله لنا في معالجة شؤون الدنيا وشؤون الدين، أن جعل الشريعة الإسلامية التي أكرمنا بها شريعة فطرية في مبادئها، منطقية في أحكامها، قادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها، مستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها، صالحة للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل.

من تاريخ الماء وأساليب الرّيّ والتّوزيع بمرّاكش

للأستاذ حسن جلاب

ـ **موقع مراكش :** اختار المرابطون هذا الموقع لبناء المدينة لأسباب عديدة أهمها : طبيعته شبه الصحراوية، فمن جملة ما وصف به الأشياخ المكان المتفق عليه للأمير قولهم : (قد نظرنا لك موضع صحراء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا تنبت إلا السدر والحنظل)[1].

فالغزلان تناسبهم، والسدر يناسب أنعامهم.

وردوا على من اقترح عليهم من سكان أغمات البناء عند نهر تانسيفت (نحن من أهل الصحراء ومواشينا معنا لا يصلح لنا السكن على الوادي...)[2].

وقد لاحظ لامرتنيير (LAMARTINIERE) أن الدول التي اتخذت مدينة مراكش عاصمة لها ترجع أصولها إلى الصحراء فهي شبيهة في طبيعتها ببلادهم[3].

وسيكون لهذا المناخ الحار الشبه صحراوي أثر على المدينة وسكانها، فمعدل التساقطات لا يتعدى 243 ملمتر في السنة، مع جفاف تام مرة كل ثلاث سنوات[4].

أشار صاحب الاستبصار لذلك بقوله (كانت قبل ذلك ـ أي مراكش ـ يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء)[5].

والظاهر أن المرابطين لم يفكروا في الجانب الفلاحي والغذائي للسكان لتعودهم حياة الشظف والصحراء، بل اهتموا بالمناخ المناسب أولا، ثم الموقع الإستراتيجي ثانيا. وقد أدركوا أن (زمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها)[6].

وفي النصوص ما يشير إلى أنهم اعتمدوا في تأمين غذاء سكانها على المنطقة أساسا. فقد قال ابن عذاري :

(فنظروا له ذلك الموضع لكي يكون وادي نفيس جنانها، ودكالة فدانها)[7].

ـ **مشكلة الماء :** ستطرح منذ تجمع جيوش المرابطين في المدينة في انتظار استكمال توحيد البلاد : لأن الإسلام دين نظافة وطهارة. وسيبدأ الأمر في التعقيد

1) البيان المغرب 19/4.
2) البيان المغرب 19/4.
3) Souvenirs de Marrakech. p. 209 - 210 -
4) انظر في مناخ المدينة :
- G. Roux : Les éléments du chinat de la région de Marrakech.
- G. Deverdun : Marrakech dès origines à 1912. p. 5 - 8.

5) بواسطة الإعلام لعباس بن إبراهيم 59/1.
6) البيان المغرب 19/4.
7) البيان المغرب 19/4.

مع الشروع في بناء قصر الحجر، والدور الخاصة. وعند ابن أبي زرع أن الناس اتجهوا إلى حفر الآبار للتزود بالماء[8].

إلا أن الأزمة قد بلغت حدها عندما ارتفع عدد السكان بعد توحيد المغرب والأندلس، وتحول المدينة إلى عاصمة لأمبراطورية عظيمة فسيحة الأرجاء، وعندما عزم علي بن يوسف على بناء المسجد والأسوار، فكان لابد من أسلوب آخر غير أسلوب الآبار.

- من البئر إلى الخطارة :

فكر المرابطون في جر الماء من وادي وريكة وبدأوا في ذلك فعلا، (مشروع سينفذه الموحدون). ولعل توقفهم عن ذلك عائد إلى استخراج المهندس الأندلسي عبيد الله بن يونس لنظام الخطارات بمراكش.

وقد تحدث صاحب وصف إفريقيا عن هذا النظام بإعجاب، فقال : (إن هذا الرجل المذكور... جاء إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبي الفضل مولى أمير المسلمين - المقدم ذكره - فقصد إلى أعلى الأرض مما يلي البستان فاحتفر فيه بئرا مربعة، كبيرة التربيع، ثم احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض، ومر يحفر بتدريج من أرفع إلى أخفض متدرجا إلى أسفله بميزان حتى وصل الماء إلى البستان وهو منسكب على وجه الأرض يصب فيه، فهو جار مع الأيام لا يفتر...

فاستحسن أمير المسلمين من فعل عبيد الله بن يونس المهندس وأعطاه مالا وأثوابا وأكرم مثواه مدة بقائه عنده، ثم إن الناس نظروا إلى ذلك، ولم يزالوا يحفرون الأرض ويستخرجون مياهها إلى البساتين حتى كثرت البساتين والجنات، واتصلت بذلك عمارات مراكش، وحسن قطرها ومنظرها)[9].

وإذا تجاوزنا الخلافات البسيطة حول اسم هذا المهندس (عبيد الله أو عبد الله) وأصله (عربي صحراوي، أو أندلسي...) فأن المؤكد - حسب الوثائق التاريخية - أن هذا النظام كان موجودا من قبل في الحجاز وإيران وأرمينيا وتوات وتافيلالت. كان الطوارق يسمونه (افلي) والأمازيغ (افري)، ووجدت شبكة من الخطارات في موقع مدينة مدريد[10].

وكانت الخطارة تطلق في الأندلس على عملية رفع الماء من الوادي بواسطة آلة رافعة أو عجلة أو أرجوحة.

لابد من توفر شروط لشق الخطارة :[11]

1 - وجود شبكة مياه غير عميقة.

2 - عدم وجود منحدر كبير.

3 - أن تكون التربة من النوع القابل لتسرب المياه.

وتكون الخطارات القريبة من الأنهار أقصر، وأقل عمقا. ومع الابتعاد عنها - أي الأنهار - تزيد الخطارة طولا وعمقا.

ويتراوح طول الخطارة بمراكش بين خمسمائة متر وخمسة كلمترات. وقد تصل آبارها المفتوحة للترميم والصيانة إلى ثلاثمائة بئر، يبعد الواحد عن الآخر بحوالي عشرة إلى عشرين مترا[12].

يتجمع ماء الخطارات في صهاريج كبيرة لاستغلاله عند الضرورة لأنها دائمة السيلان ليل نهار، ومنها ما يوزع على الأجنة والعراصي بواسطة المصارف، وعلى الحمامات والمساجد والدور الخاصة بواسطة «القواديس» الفخارية.

---

8) روض القرطاس 138.

9) وصف إفريقيا 43 - 44. انظر الإعلام للتعارجي عباس بن إبراهيم 58/1.

10) تحدث محمود علي مكي عن خطارات مدريد، ونيسابور، ومرو، والمغرب، وقبرص في كتابه : مدريد العربية من 1 - 57.

11) انظر في نظام الخطارات :

- Ladreit de la charrière : les procédés d'irrigation dans la plaine de Marrakech la nature n° 1149 - 1910.

- Gueytat : les adductions d'eau de la cité de Marrakech 1913 en 53 p.

- De troussu : les rhétaras de Marrakech. France Maroc 1919.

- P. Roche : L'irrigation dans le sud du Maroc. 1946 en 18 p.

- Streek : les rhétaras. Encyclopédie de l'islam 2/751 - 753.

12) - Marrakech dès origines à 1912 p. 15 - 16 / 86 - 87.

ويلاحظ أن المنطقة الشرقية من المدينة عرفت أكثر من الغربية نظام الآبار والخطارات، ولعل السبب في ذلك عائد إلى توفر ضمانات أكثر للملكية في هذه المنطقة.

وبالرغم من ظهور أساليب أخرى للري والتوزيع بقي للخطارة سحرها وروعتها : فاستمرار الاهتمام بها، حتى إن پول پاسكون (P.Pascon) قد أحصى في منطقة الحوز خمسمائة خطارة، عرفت المدينة منها خمس عشرة ومائة خطارة، تتوزع كالتالي :

- 98 عمقها أكثر من عشرين مترا.
- 17 عمقها أقل من عشرين مترا[13].

والخطارات ثلاثة أنواع :

1 - الكبيرة : أكثر من كلمترين طولا، وهي في ملكية الدولة (أو المعمرين في فترة الحماية).

2 - متوسطة : طولها حوالي كلمترين بصبيب بين 10 و20 لترا في الثانية. وتكون في ملكية الأحباس العامة لتزويد المساجد والحمامات والدور بالماء، أو في ملكية بعض أغنياء المدينة لسقي حقولهم وعراصيهم ورياضاتهم.

3 - الصغيرة : وطولها حوالي خمسمائة متر بصبيب لا يتعدى خمسة لترات في الثانية وهي في ملكية الخواص، أو الأحباس الخاصة[14].

وتذكر المصادر 18 عينا من العيون الكبرى التي تزود خطارات مراكش بالماء، تضاف إليها مئات العيون الصغرى التي تشير إليها الظهائر وحوالات الأحباس الخاصة والعامة والكناشات العلمية وكتب النوازل.

فمن الخطارات التي تملكها الدولة :

أ - تلك التي تروي أكدال، ودار المخزن (إضافة إلى سواقي الموحدين) وعيونها هي : عين للا شافية، عين الدار، عين البادرة القديمة، عين البادرة الجديدة، عين سيدي موسى، وعين الزمزمية.

ب - عين المامونية : تجاور عين المزوضية الداخلة من باب الرب، وهي تسقي عراصي المامون بن محمد بن عبد الله داخل باب الرب[15].

ج - خطارات أحريللى : أحر يللى من أكبر عراصي مراكش خارج باب دكالة، ومن أكثرها عيونا، وقد كانت في ملكيات خاصة ثم اشترى المولى عبد الرحمن أغلبها بين سنتي 1266 و1267 هـ، وهي : (عين دادة، عين هنتاتة، عين حميدة مول أتاي، عين بوستة، عين الجبابدي، عين البقال، عين بوشارب، عين الجاوصية، عين البكار، عين فريمة، عين بن بلا، عين حمو بن سالم، عين الصواف)[16].

ولجمال هذه العرصة وكثرة مياهها يذكرها عيط الدقة المراكشية :

آ الشبـــان را العـــام ازيـــان
نمشـــو للنـــزاهـــا ونكيمـــو
فـــابســـاط سليمـــان
النـــزاهـــا وقت النـــوار
فـــاحر يللى واجر يللى
سيـــدي ربي نرجـــاك يـــا العـــالي
يـزيـان حـوزنـا ترخـاص كـل امـالي

د - عين أبي عكاز خارج باب الطبول بمراكش : أحياها محمد بن عبد الرحمن العلوي وأقام المزارع حولها، وشيد قلعة يأوى إليها الحراثون بأنعامهم ومواشيهم، واعتنى بتربية الخيول فيها، وكانت تسمى قلعة الماشية[17].

ومن خطارات الأحباس العامة :

أ - عين المواسين : رأسها بأكدال، وتدخل المدينة من باب الرب، صبيبها 30 لترا في الثانية.

- عين البركة : تنطلق من شمال تسلطانت، وتمر عبر أكدال لتدخل المدينة من باب أحمر، صبيبها 20 لترا في الثانية.

---

13) - Le haouz de Marrakech. 1/113.

14) - le haouz de Marrakech 1/113.

15) بن الشرقي محمد : ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش 19 - 20.

16) انظر الأثمنة والتفاصيل في كناشة رقم 26 بالخزانة الحسنية بالرباط.

17) الاستقصا 234/4.

ج ـ عين القبة (المعروفة بالعباسية) : تنطلق من سيدي عمارة وتحاذي السور الغربي للمدينة لتدخل من باب دكالة، صبيبها 10 لترات في الثانية.

وهذه العيون معدة أساسا لتزويد الحمامات والمساجد والسقايات والدور بالماء. ويتم ذلك بواسطة «قواديس» فخارية يتراوح طولها بين 30 و40 سنتمترا، وقطرها بين 10 و15 سنتمترا تتخلل مسيرته مراكز إصلاح وصيانة تسمى «المعيدة»، وذلك لتنظيفها واكتشاف مواقع الخلل فيها، وترتفع عن سطح الأرض بنحو المتر الواحد، وتبقى مغلقة فلا تفتح إلا عند وقوع الخلل، تدخل هذه القواديس إلى الحمامات والدور والمساجد، وتملأ صهاريجها في أوقات معلومة من الأسبوع وذلك بحسب أهمية العقار. ويشرف على هذا التوزيع ناظر أحباس المدينة.

د ـ عيون أقل أهمية تملكها الأحباس، منها :

ـ عين تاصاغت خارج باب الدباغ : للأحباس فيها نوبتان.

ـ عين بن تودة خارج باب هيلانة : للأحباس فيها نوبتان.

ـ عين جنان أمرشيش خارج باب دكالة : للأحباس فيها نصف نوبة.

ومن خطارات الأحباس الخاصة : وهي الأحباس الخاصة ببعض الزوايا أو الأسر والأضرحة، ولا نريد الإطالة بالحديث عنها، وإنما نضرب لذلك أمثلة :

أ ـ فمن المحبسات الخاصة بأبي العباس السبتي : النصف من خطارة حميدة بن مومن، وأربع نوب من عين الكَرْنة، ونوبتان من عين أزدو، ونوبة من عين مولاي زيدان، وربع نوبة من عين إيطي خارج باب الخميس[18].

ب ـ من محبسات ضريح الجزولي : نصف عين الإفراني خارج باب الدباغ[19].

ج ـ من محبسات الزاوية البوعمرية : وهي من أغنى الزوايا بالمدينة، تمتلك :

ـ عين سيدي عباد : منبعها داخل المدينة بعرصة إيهيري وتنتهي إلى صهريج سيدي عباد خارج باب دكالة.

ـ نوبتان من عين تدقا خارج باب الخميس...

ولهذه الزاوية غير ذلك من العيون والعراصي[20].

أما الخطارات الخاصة : فلا يمكن الإلمام بها كلها، لذلك نكتفي بالإشارة إلى أهمها :

أ ـ عين إبراهيم وابراهيم : تنبع من مقبرة السهيلي عبر حي سيد ميمون وتمر بالحارة خارج باب دكالة لتنتهي إلى بلاد أحمد السوسي، وتسقي مجموعة من العراصي الخاصة : أماغوس ـ عرصة تمجا ـ عرصة العباسي ـ عرصة العمري ـ وعرصة سينكو.

ب ـ وهناك عيون مهمة تخرج من جهة باب الخميس لتسقي أراض خاصة في ضاحية المدينة وهي : المرستان ـ قاوقاو ـ ابن السالك ـ تالوجت ـ أمرشيش[21].

ـ **عيوب الخطارات :** حل المرابطون مشكل الماء بواسطة الخطارات التي حولت المنطقة من صحراء قاحلة إلى جنة خضراء انتصبت فيها أشجار الغلل بأنواعها، وانتشرت الخضرة والمروج. فتمكنت ضاحية المدينة من إنتاج الحبوب والخضر والفواكه والزيوت. ومع ذلك لم يخل هذا الأسلوب من بعض العيوب، أهمها :

أ ـ أن الخطارات دائمة السيلان ليل نهار وفي كل الفصول لا يمكن التحكم في مائها مما يؤدي إلى سوء الاستعمال والضياع.

ب ـ أن استغلالها يحتم حفر خزانات وصهاريج لحفظ المياه مما يؤدي إلى ارتفاع نفقاتها.

ج ـ أنها معرضة للتلوث بما يسقط في آثارها العديدة من قاذورات وأوساخ، الشيء الذي يتطلب صيانة مستمرة.

---

18) حوالة أوقاف الزاوية العباسية بمراكش مخطوطات الخزانة العامة بالرباط، ميكرو فيلم 119.

19) حوالة أوقاف زاوية الجزولي ميكرو فيلم 125.

20) مجموعة وثائق خاصة بالزاوية.

21) بن الشرقي محمد ص 19 ـ 21.

- **أسلوب الساقية :**

استفاد الموحدون من أسلوب الري والتوزيع الذي أقامه المرابطون إلا أنهم كانوا بحاجة ماسة إلى الماء، تفوق حاجة سابقيهم. فمبدأ «تعميم الخلافة» من عناصر العقيدة الموحدية، ولا يمكن أن يتحقق هذا التعميم دون قوة اقتصادية (فلاحية وصناعية) وعسكرية (السيادة على البحار)، فكانت الحاجة إلى الماء للري، ولتعليم طلبة «المدرسة المومنية» أساليب العوم والتجذيف في الصهاريج التي ستبنى لهذا الغرض قبل التحاقهم بالسقي في البحار والمحيطات.

وقد مكنت أودية حوض الحوز، وجبال الأطلس، خزان المياه ـ من تحقيق ذلك، وخاصة أودية نفيس، غيغاية، وأوريكة التي تصب في تانسيفت :

1 ـ لما تولى عبد المومن مقاليد الحكم أنجز المشروع الذي فكر فيه المرابطون وهو جلب ماء الأطلس، فمد ساقية تسلطانت (ساقية السلطان) من وادي وريكة. وحفر نوعين من الصهاريج :

أ ـ وسط «البحائر» لتزويدها بالماء قصد سقي المزروعات والأشجار كصهريج أكدال الذي كان يسقي عراصي : أكدال، وجنان العافية، وجنان النمارة، وذكر صاحب البيان المغرب أسماء عراص أخرى : كعرصة الطلبة، وجنان التاعورة. كما أشار العمري في مسالك الأبصار إلى صهريج «أقنا» (صهريج كناوة) بالقرب من أكدال[22].

وفي الاستبصار والحلل الموشية أن ضلع صهريج عبد المومن 3 أميال، وأن مبيعات زيتون وفواكه عراصيه قد بلغت 30 ألف دينار مومنية مع رخص الفاكهة بمراكش[23].

وقد شيدت على جنبات هذه الصهاريج منتزهات وقصور للراحة والاستجمام : كدار الهناء بأكدال، وقصر ابن جامع الوزير الموحدي، ومنتزه المنارة...

ب ـ صهاريج لتدريب الطلبة على العوم : أهمها في عهد عبد المومن صهريج البقر، وصهريج المنارة خارج باب الرب[24].

2 ـ في سنة 585 هـ أجرى يعقوب المنصور ساقية «اليعقوبية» طاهرة تشق المدينة من القبلة إلى الجوف، وأنشأ عليها السقايات لسقي الخيل والدواب واستقاء الناس[25].

تمكن الموحدون بذلك من سقي منطقة طولها عشرون كلمترا وعرضها عشر كلمترات جنوب المدينة[26]. فإذا أضيفت إلى أسلوب الآبار والخطارات التي بقي معمولا به كذلك، تبينت الأهمية الفلاحية التي أصبحت للمدينة وضاحيتها.

- **بعض عيوب السواقي :** لا يخلو أسلوب الساقية بدوره من عيوب، منها :

أ ـ التبخر والضياع، وخاصة في فترات الحرارة حيث تشتد الحاجة إلى الماء.

ب ـ السرقة وتحويل اتجاهها قبل وصولها إلى صهاريج المدينة.

ج ـ الصراعات القبلية : كان الماء (السواقي خاصة) مصدر صراع دائم بين الفلاحين، مما أدى إلى ظهور أعراف وقوانين محلية لحل مشاكل التوزيع والسرقة... وكان لشيوخ الزوايا الدور الكبير في حل هذه الخلافات.

ولم تنج سواقي الدولة من هذا الصراع وخاصة تاسلطانت التي كانت قبائل مسفيوة تطالب بها لمروها بأراضيها، وقد بلغ الصراع حدته في بعض الفترات التاريخية : كانوا على عهد محمد بن عبد الله العلوي يعمدون إليها بالليل فيفرغونها على جناتهم ومزارعهم إلى أن جاء المولى سليمان فأعياه أمرهم وأقطعهم إياها على ألف مثقال يؤدونها كل سنة. ولما تولى السلطان المولى

22) عن : ورقات عن الحضارة المرينية لمحمد المنوني ص 304.
23) الإعلام لعباس بن إبراهيم 59/1 و79.
24) Marrakech dés origines à 1912 p. 195 – 197 -
25) عن مسالك الأبصار، انظر ورقات عن الحضارة المرينية 304، والإعلام 59/1.
26) Marrakech dés origines à 1912 p. 11 – 12 -

عبد الرحمن انتزعها منهم رغما عليهم وأعاد مياهها إلى صهاريج مراكش[27].

وللشاعر ابن إدريس العمراوي قصيدة طويلة في الموضوع، مطلعها :

وردت وكان لها السعود مواجها
والحسن مقصور على أمواجها[28]

ـ ملاحظات على هذه الوسائل :

1 ـ بقيت هذه الوسائل مستعملة إلى مشارف القرن العشرين مع محاولة الرفع من مردوديتها :

أ ـ عن طريق تعميق الآبار والاستعانة بالحيوانات، واغرور أو السانية لجذب الماء.

ب ـ صراع مع الخطارات لصيانتها وتنظيفها، والرفع من مستوى صبيبها.

ج ـ تعميق السواقي وتقويم مسارها والزيادة في تفريعاتها (المصارف، أبدو ـ الربطة...) وقد ابتكر المغاربة نظاما دقيقا لتوزيع مياهها :

ـ النوبة : وتحددها أهمية صبيب الساقية، ومدتها يوم وليلة، تنقسم إلى فرديتين : فردية بيضاء (النهار) وفردية سوداء (الليل).

وتنقسم الفردية بدورها إلى أسهم بعدد المستفيدين منها.

وبهذا الأسلوب كان الماء يوزع ويباع ويشترى.

2 ـ لقد مرت المدينة وضاحيتها بفترات من الجفاف والقحط، فلم يكن من سبيل لتجاوزها إلا بالاستمرار في الاعتناء بهذه الوسائل العتيقة، وطرق أبواب الممكن والمستحيل : الأولياء وكراماتهم. (كرامات أبي العباس السبتي في الاستسقاء)[29]. إلا أن عطاءاتها لم تكن في مستوى حدة القحط أحيانا، ونمثل لذلك بسنوات 617 هـ، 624، 630، 923، 926، 929، 948، 1022، 1060، 1070 (عام كروم الحاج) 1159، 1193 هـ[30]...

فما كان منهم إلا اعتماد أسلوب أكثر نجاعة :

ـ عبد العزيز التباع : اشتغل بالفلاحة ورعاية بستان شيخه السهلي مدة طويلة.

ـ عبد الكريم الفلاح : (سمي بالفلاح لاهتمامه بالفلاحة) كان يشق السواقي ويحفر الآبار، ويجهز الأراضي الفلاحية من كلامه (سأغرس في موضع كل سدرة شجرة، ولا يزال مراكش يعمر حتى يباع معطن البقرة بقيمة البقرة)[31].

ـ أبو عمرو المراكشي : سار على نهج شيخه السابق الذكر فكان من المهتمين باستصلاح الأراضي والبحث عن الماء. وكان من أعظم مالكي الأراضي الفلاحية في الحوز (أغواطيم) وبضاحية المدينة (سيدي عباد، المخالص، التوايز، البطم، وقسم من أحريللي...).

ـ عبد الله الغزواني : اهتم بدوره بالفلاحة سيرا على نهج شيخه التباع. وكان يحفر الآبار ويستصلح الأراضي والسواقي، وقد وجه مريديه وتلاميذه في هذا الاتجاه وعينهم بمنطقة الحوز للاهتمام بها : عبد الله بن حسين الأمغاري دفين تمصلوحت وعبدالله بن ساسي بالحوز.

3 ـ كانت المياه والسواقي موضوع مراسلات مخزنية وظهائر الإنعام والتكريم، والاحترام والتوقير. ولا نريد الإفاضة في هذا الموضوع، ونكتفي بالإحالة إلى :

أ ـ محفظة خاصة بالوثائق البوعمرية تتعلق بمراسلات حول ساقيتي توريكت وترزينت الطالع ماؤهما من وادي غيغاية، وماء عين تدقا، وماء التوايز، وماء تلجاسين، وماء تالعينت... وغيرها من العيون[32].

27) معجم البلدان ج 7/8، والإعلام 91/1.

28) الإعلام 92/1.

29) أخبار أبي العباس السبتي، في ذيل التشوف لابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، نشر كلية الآداب، الرباط 1984.

30) الاستقصا : 262/2 ـ 264 و147/4 و111/6 ـ 112.

– Marrakech dès origines à 1912 p. 599.

–Famines et épidémies. B. Rosemberger et H. triki Hesperis 1973 et 1974.

31) شمس المعرفة للحلفاوي ص 59.

32) محفظة وثائق خاصة، في مراكش.

ب ـ ظهائر سعدية وعلوية حول مياه الزاوية الأمغارية بتمصلوحت[33].

ج ـ ظهائر علوية حلو بعض السواقي والمياه بمراكش[34].

4 ـ اعتبارا لطبيعة مناخ المدينة، وحاجة الناس المستمرة للمياه، فقد كان ثمن الماء مرتفعا دائما، ويمكن التعرف إلى ذلك من خلال هذه الأمثلة التى تبين أن نوبة أو نصف نوبة (أي جزء من ماء ساقية أو عين) يساوي ـ ويتجاوز أحيانا ـ ثمن دار أو مصنع للصابون، أو حانوت تجارية :

العقار	الثمن	التاريخ	العقار المقارن	الثمن	التاريخ
نصف نوبة من ماء جنان التوايز	250 مثقال	1236 هـ			
نوبة من عين هنتاتة نوبة عين الصواف	380 مثقال 429 مثقال	1266 هـ 1267 هـ	حانوت قشاشية بزاوية الحضر دار بزاوية الحضر	425 مثقال 250 مثقال	1255 هـ 1268 هـ
نصف نوبة من ماء التوايز	450 مثقال	1282 هـ	دار بزاوية الحضر نصف دار الصابون دبليجان ذهبيان قفطان حرير زربية	124 مثقال 500 مثقال 35 مثقال 7 مثقال 3 مثقال	1280 هـ 1282 هـ 1290 هـ — —

ـ تحديث الأساليب :

مع تفتح المغرب على الصناعات الأوربية، ورغبته في الاستفادة من أسباب التقدم والنمو (إرسال البعثات إلى الخارج، اقتناء التجهيزات الأساسية) بدت ضرورة تحديث الأساليب وجعلها في مستوى نمو السكان وطموحات السلاطين. وقد مر هذا التحديث بثلاث مراحل :

ـ المرحلة الأولى : تحديث الأساليب العتيقة :

□ بإعادة ترميم وصيانة الخطارات في حملات واسعة النطاق خاصة وأنها لا تتعرض للسرقة أو التبخر.

□ ترصيف السواقي للتخفيض من نسبة الماء الضائع، اتخذت ساقية تبوهنيت نموذجا سنة 1932. فتحول الضياع من 30 ٪ إلى 6 ٪.

ـ المرحلة الثانية : السدود :

هي أنجع وسائل جمع الماء وتوزيعه سواء منه ماء الري أو الاستهلاك الصناعي، والماء الشروب، وقد تبينت هذه الأهمية في العقود الأخيرة وقد فكرت سلطات الحماية في بناء سد على وادي نفيس لري قسم من الحوز منذ سنة 1926، وتم إنجازه فعلا سنة 1935 وهو سد

33) مكاتبات شخصية ورسائل مخزنية حول الناحية الحوزية P. Pascon T 2

34) كناشة رقم 26 من مخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط.

للاتكركوست (Cavagnac) وبلغ طول السواقي المجهزة 112 كلمتر، تضاف إلى 140 كلمتر الموجودة بالحوز من قبل[35].

تضاف إليه سدود صغرى أقل أهمية :

- سد للخزن قرب تحناوت : يمد ساقية تاولوكوت، والساقية الباشية.

- سد للخزن على وادي وريكة : يمد ساقية تاسلطانت.

وبموازاة تشييد السدود أصدرت سلطات الحماية قوانين تنظيم الري وتوزيع الماء مع إعطاء امتيازات للمعمرين قصد تزويدهم بالمياه اللازمة لاستغلال الأراضي الممنوحة لهم بالمنطقة خاصة بعد سلسلة من الاحتجاجات الصادرة عن تجمعاتهم العامة المعقودة سنة 1926 بالضيعة التجريبية في المنارة. فأصدرت قوانين تنظيم مياه أودية :

- نفيس بين 1926 و1929.
- غيغاية بين 1926 و1927.
- وريكة سنة 1926.
- أما وادي الزات فقد منع الكلاوي السلطات من التدخل فيه[36] وقد أثارت هذه التشريعات تذمرا في أوساط القبائل التي تعيش في المنطقة خاصة قبائل وريكة، مسفيوة، وغيغاية.

وبحصول المغرب على استقلاله تضاعف الاهتمام بتشييد السدود : سد آيت عادل، سد آيت شواريت... مع ما يرافق ذلك من تجهيز الأراضي والسواقي (روكناد) لحسن توزيع الماء.

وهي السياسة التي ترعاها الدولة لتحقيق الاكتفاء الذاتي.

- المرحلة الثالثة : الآبار المزودة بالمحركات والمضخات وأذرع الرش الحديدية : تزامنت مع المرحلة السابقة :

أ - وكانت موجهة في بداية الأمر لتزويد المدينة بالماء الشروب خاصة بعد بناء حي كيليز، وحاجة الصناعات المنشأة في المدينة إلى الماء : تم الشروع في تنظيم أسلوب التوزيع على الدور والمؤسسات الحبسية لأن الأسلوب العتيق غير صالح ولا ملائم للتطور الذي عرفته المدينة. فوقع الاتفاق بين التهامي الكلاوي باشا مراكش، ورئيس المجلس البلدي المكلف بأمور المدينة بموافقة الصدر الأعظم والمقيم العام لدى الدولة الشريفة، وبين السيد محمد الملاخ ناظر الأحباس الكبرى، والسيد محمد بن عبد الله ناظر الأحباس الصغرى، والحاج إدريس الورزازي ناظر الأحباس العباسية موافقة بينهم، كل منهم متكلم عما هو موظف فيه عملا بمقتضى الظهير الشريف المؤرخ في 6 شوال عام 1334 هـ[37].

ويشتمل الاتفاق على فصول، من مقرراتها :

- أن تدفع الأحباس للبلدية 12 ألف بسيطة (كذا) مقابل الإصلاح والترميم قابلة للتجديد كل ثلاث سنوات ابتداء من سنة 1916م.

- على ان ترفع البلدية الماء للدور والمساجد والأضرحة والسقايات العمومية.

- تحددت لائحة المؤسسات الحبسية التي يشملها الاتفاق.

35) Le haouz de Marrakech. 2/504

36) انظر مضامين هذه القوانين وتواريخ صدورها في كتاب : Le haouz de Marrakech. 2/497.

37) انظر نص الاتفاقية في ميكرو فيلم الخزانة العامة بالرباط رقم 1091.

- وقبلت البلدية أن تزيد في عدد السقايات ومراكز التوزيع إذا زاد الماء في العيون.

- العيون التي شملتها الاتفاقية هي العيون الحبسية التالية :

عين المواسين - عين البركة - عين القبة.

- تتكون الاتفاقية من أربعة ملاحق تحدد المؤسسات التي يشملها التوزيع :

الملحق الأول

فصل أول : الأضرحة والمساجد والزوايا التي يبلغها ماء الأحباس، عددها : 82.

فصل ثان : الميضات : 77. تحتوي على 554 مطهرة.

فصل ثالث : الأسجان والمارستانات : 3 (دار الثقة، سجن قاعة بناهض، المرستان بالسوق).

الملحق الثاني

فصل أول : السقايات العمومية الجاري إليها ماء الأحباس : 87.

فصل ثان : السقايات العمومية الجاري إليها ماء المخزن : 11.

الملحق الثالث

فصل أول : الحمامات الداخل إليها ماء الأحباس : 24.

فصل ثان : الغسائل الداخل إليها ماء الأحباس : 4 بها عدد من الصهاريج.

فصل ثالث : الديار والفنادق الحبسية : 8.

فصل رابع : الأجنة والعراصي الجاري إليها الماء : 6.

الملحق الرابع

فصل أول : الدور الخاصة والرياضات : 17.

فصل ثان : الأجنة : 3.

فصل ثالث : أملاك الأهالي : دور ورياضات : 49.

فصل رابع : الأجنة والعراصي : 1.

وتبين أن ماء الأحباس المتفق عليه غير كاف حتى للمدينة القديمة، لذلك شرع في حفر آبار على الضفة اليمنى لوادي غيغاية في منطقة بوزكاغ وذلك سنة 1924، وجر الماء إلى الخزانات ومحطة المعالجة والمراقبة بواسطة قنوات من الأسمنت، ومع ارتفاع عدد السكان تضاف الخزانات والآبار.

ب - وبالنسبة للري : كان الاعتماد على الآبار المزودة بمحركات بنزينية أو كهربائية. ويلاحظ أنها كثرت غرب المدينة، حيث تقل وسائل الري العتيقة (الخطارات)، ولتنزول المعمرين بها بكثرة وهي : تاركة، السويهلة، والمرابطين، فبلغ صبيب الماء فيها بين 20 و100 لتر في الثانية.

وعن طريقها تركزت فلاحة صناعية وتصديرية في المنطقة : الورود، الزيتون، المشمش، الحوامض والعنب...

ج - استمرت نفس السياسة بعد استرجاع أراضي المعمرين بالمنطقة، وإعادة توزيع أراضي القواد على التعاونيات الفلاحية، وتكوين شركات للاستغلال والإنتاج[38] مع تجريب بعض الأساليب الحديثة للري : نموذج الأذرعة الحديدية الطويلة للرش.

وبعد، فإن المغرب يستعد لدخول القرن الواحد والعشرين، وعدد المغاربة سيبلغ أربعين مليونا، بما يتطلبه ذلك من :

- تحسين وتجهيز لشبكات توزيع الماء الشروب

- ورهان وسباق لتحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي. لهذا كله - وإلى جانب الدعوة إلى بناء سد كل سنة إلى حلول القرن الجديد - يجب التفكير في وسائل أخرى لتحقيق هذه المطامح حتى تبقى بلادنا - كما كانت دائما - بلاد الماء والخيرات، وخزانا كبيرا للحبوب.

وهذا غير صعب على عبقرية أمتنا.

38) من هذه الشركات : SODEA - SOGETA - CGEA - SEAP

قراءة في كتاب

الفتوحات الإلهية لسيدي محمد بن عبد الله

للأستاذ عبد الجواد السقاط

الحديث النبوي الشريف، الذي هو موضوع كتاب الفتوحات الإلهية للسلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله، وموضوع السنة النبوية عموما، من المواضيع التي استأثرت باهتمام العلماء المغاربة، وظفرت من مجهوداتهم الفكرية بالنصيب الوافر، بدءا من القاضي عياض صاحب كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، وأبي العباس العزفي صاحب كتاب «الدر المنظم في مولد النبي المعظم»، وغيرهما من الأعلام البارزين الذين «كانوا دؤوبين على تدارس كتب الحديث كالصحيحين، وموطإ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وغيرها، كما كان بعضهم يختم هذه الكتب في احتفال كبير تتقاطر فيه وفود الشعراء والعلماء، والمهنئين على العالم الذي قام بالختم»[1]، بل إن من هؤلاء العلماء من كان يتجاوز التدارس والإقراء إلى التأليف والشرح والتحشية، وخاصة في العصر السعدي، حيث تحظى الخزانة المغربية بأعمال متنوعة في هذا المضمار نثرا ونظما[2].

وقد استمر هذا الاهتمام في العصر العلوي بعد ذلك، بل لقد تطور هذا الاهتمام متجليا في حرص ملوك الدولة العلوية على العناية بالحديث وعلومه، وتشجيع علمائه ماديا ومعنويا. ومن الأدلة على هذه العناية وذلك التشجيع ما جاء في المنزع اللطيف من أن المولى إسماعيل أجاز العلامة الأديب علي مصباح على قصيدته التي مدح بها سيدي محمد بن أحمد بن المسناوي حين ختم عليه نجل المولى إسماعيل العلامة مولاي امحمد كتاب الشفا بكسوة ومائة مثقال، وذلك إذ ذاك من العطاء الباهظ، ونص القصدة :

يا أهل ودي هل لديكم من شفا
مما غدا منه الفؤاد على شفا...[3]

ومن ذلك أيضا ما تناقلته المصادر من أخبار عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، تؤكد كلها اهتمام جلالته بعلم الحديث، بل بتدارسه إياه وتأليفه فيه[4] ودفع العلماء للاشتغال به وشرحه، كما فعل مع السيد التهامي بن عمرو إذ كلفه بشرح الأربعين النووية[5].

ومن ذلك أيضا اهتمام جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه بأحاديث الرسول ﷺ، إذ كان كتاب الفتوحات الإلهية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله

1) الشعر الدلائي ص 62.
2) انظر الحركة الفكرية للدكتور محمد حجي، ج 1، ص 142، مطبعة فضالة 1398 هـ، 1978م.
3) المنزع اللطيف لعبد الرحمن بن زيدان، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ج 595، ص 72.
4) انظر تآليف جلالته في هذا الموضوع في صفحة لاحقة من هذا المقال.
5) الفتوحات الإلهية، الصفحة الثامنة عشرة من الترجمة.

أول مخطوط يدشن به جلالته المطبعة المحمدية التي أسسها جلالته عام 1364 هـ، 1945م، إذ جعله «فاتحة خير لإحياء السنة النبوية، ومبعث رشد لنشر المعارف بمملكته الشريفة»[6].

ومن ذلك أخيرا عناية جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بهذا المضمار، تلك العناية التي تبلورت في إحداث جلالته لدار الحديث الحسنية، وعقد جلالته للدروس الرمضانية التي تكون فرصة لتدارس أحاديث الرسول ﷺ وشرحها والتعريف بها سندا ومتنا، وكذلك إعادة طبع جلالته لكتاب الفتوحات الإلهية، وذلك سنة 1400 هـ، 1980م بالمطبعة الملكية بالرباط، التي أسسها جلالته لتكون منبعا من منابع نشر العلم وإحياء التراث.

ونظرا لقيمة هذا الكتاب وقيمة موضوعه، نود أن نتعرف في هذه القراءة إلى ما يكمن بين دفتيه من فوائد جمة ومعلومات مفيدة.

وقد تصدر هذا الكتاب تقديم لفضيلة العلامة السيد محمد الرشيد ملين[7] قارن في مستهله بين الإسلام في عهوده الأولى حيث «سعدت به الشعوب بعد شقائها، وترعرعت الأمم بعد ذبولها، وازدهرت الدول بعد انحطاطها»[8]، وبين الإسلام في العهود الموالية حيث «انغمس الناس فيما يظنونه دينا وليس من الدين في شيء، فانكبوا على القشور يريدون فيها غذاء لروحهم وما أنتجت يوما غذاء، واتبعوا السراب يحسبونه ماء فأشرفوا على الهلاك»[9].

وبعد ذلك يؤكد صاحب التقديم أن الله تعالى يقيض للأمة الإسلامية بين الحين والحين من يصلح أمرها ويقوم اعوجاجها، «ويرد للدين بهجته، ويعيد إليه باطنته وصفاءه»[10]، وكذلك كان شأن البلاد المغربية التي عرفت نخبة من المصلحين الذين كانوا يقربونها من أصول الدين، ويصلون بينها وبين كلام الله وحديث رسوله ﷺ، ولا سيما السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي «كان أول عاهل مغربي أدرك أن لا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فعمل في نظام ومثابرة على تطبيق هذا المبدإ، وعلى السير برعيته على هذا المنهج، مستخدما سلطته ونفوذه لتخطي العقبات، جامعا حوله علماء مملكته، للاستنارة بآرائهم»[11].

ومن هنا يشير صاحب التقديم إلى اهتمام السلطان سيدي محمد بن عبد الله بمجالس العلم، تلك التي كان يترأسها بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، وخاصة في موضوع الحديث النبوي الشريف، سواء تعلق الأمر بدراسة جلالته لصحيح البخاري وصحيح مسلم، وموطإ مالك، أو تعلق باستجلاب مسند الإمام أبي حنيفة من المشرق، وجعله محط اهتمام علماء الحديث بالمغرب، وكذلك مسندي الإمام ابن حنبل والإمام الشافعي.

ولم يكن هذا الاهتمام بالحديث من سيدي محمد بن عبد الله اهتماما نظريا، بل كانت دراسته للحديث دراسة تطبيقية، لا تطرح بين يدي جلالته فرصة إلا واستشهد بحديث، ولا أصدر منشورا إلا ودعا فيه إلى التمسك بالشريعة الإسلامية الصافية، والعودة إلى مصادرها المبسطة، بعيدا عن الكتب الملتوية والتلويحات المبهمة.

وبعد ذلك يوضح صاحب التقديم موقف السلطان سيدي محمد بن عبد الله من البرنامج الذي وضعه للعلماء والطلبة، والمواد التي يجب تدريسها، بدءا من كتاب الله عز وجل، وحديث رسوله الشريف، إلى كتب في الفقه وشروح لها معينة، كما أشار إلى تحبيس جلالته الكتب على مساجد المغرب، مساهمة منه في القضاء على الجهل في سائر أنحاء البلاد.

---

6) الفتوحات الإلهية، ص أ.
7) الفتوحات الإلهية، ص أ.
7) انظر ترجمته في كتاب «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» للمرحوم عبد الله الجراري، مطبعة النجاح الجديدة 1406 هـ، 1986م، ص 154 ـ 156.
8) الفتوحات الإلهية ص ج.
9) الفتوحات الإلهية، ص د.
10) الفتوحات الإلهية ص د.
11) الفتوحات الإلهية ص هـ.

ومن هنا يستعرض صاحب التقديم طائفة من مؤلفات السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وهي كالآتي :

- مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان.
- الجامع الصحيح الأسانيد.
- الفتوحات الصغرى.
- الفتوحات الكبرى، أو الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية.
- الجامع الصحيح الأسانيد، من ستة مسانيد[12].

ولم يفت صاحب التقديم أن يقف وقفة قصيرة للتأكيد على قيمة كتاب الفتوحات الإلهية، واهتمام العلماء المغاربة والمشارقة به اهتماما يعود إلى ما يتميز به هذا الكتاب من نظام في الترتيب «لم يسبق إليه سيدي محمد بن عبد الله، على كثرة ما ألف وجمع في علم الحديث والرواية»[13].

ويختم صاحب التقديم كلمته بالاعتراف بما أسداه جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه من أياد بيضاء للمغرب كان من بينها تأسيسه للمطبعة المحمدية «في وقت اشتدت فيه حاجة المغرب إلى الكتب بجميع أنواعها، فأزال بها ذلك العذر الذي كان يلتجئ إليه علماؤنا ومفكرونا، من ضعف سبل النشر»[14].

ولقد كان برنامج هذه المطبعة موزعا إلى أقسام ثلاثة هي الآتية :

1) الكتب المدرسية المعتمدة في كل طبقات التعليم الإسلامي.

2) الأبحاث والدراسات التي يكتبها مفكرو المغرب على الأسلوب العصري.

3) المخطوطات والتآليف العتيقة التي يعتبر كتاب الفتوحات الإلهية أبرز نموذج لها، ساهم به جلالة المغفور له من خزانته الفخمة ليكون مثالا يحذو حذوه أصحاب الخزانات الخاصة.

وبعد هذا التقديم المسهب، نجد بالكتاب ترجمة ضافية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله - مؤلف الكتاب - بقلم فضيلة العلامة سيدي المدني بن الحسني[15]، تعرض فيها لجوانب متعددة من حياة هذا السلطان العظيم، وفي مجالات مختلفة جاءت كالآتي :

• الولادة والنشأة والحجة

فقد كانت ولادة جلالته عام 1134 هـ بمدينة مكناسة الزيتون، حيث تلقى العلم تحت رعايته والده وعناية جدته العالمة الفقيهة السيدة خناثة بنت الشيخ بكار المغفري التي كان جلالته قد رافقها، وهو بعد صغير دون بلوغ، إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج.

• خلافة والده بمراكش

فعندما بلغ جلالته الخامسة والعشرين من عمره، بعثه والده ليكون خليفته بمراكش، فاضطلع بمهمته على الوجه الأكمل، الشيء الذي دفع أهل مكناسة وزرهون يبعثون إليه يستقدمونه إليهم ليبايعوه، ولكنه لم يقبل دعوتهم، وأبى أن ينازع والده الملك، إلى أن كانت وفاة هذا الأخير، فتمت له البيعة عام 1171 هـ، «فازدهت به الدنيا وضحكت الأيام بعد عبوسها، وقضى في الملك ثلث قرن من السنين قام خلالها بأعمال جليلة، وسار في الناس سيرة جميلة، وسطر من صحف المجد ما لا يزال على الأيام يتلى، وخلد من المآثر ما لا يبلى، حتى عد مجدد الدين على رأس المائة، وواحدا من خيار تلك الفئة، كما عد مجدد الدولة، ومعيدها لمقام العز والصولة»[16].

---

12) هو غير الجامع الصحيح المتقدم.

13) الفتوحات الإلهية، ص م.

14) الفتوحات الإلهية، ص ن.

15) انظره في كتاب «الحافظ الواعية محمد المدني بن الحسني» للمرحوم عبد الله الجراري، سلسلة شخصيات مغربية (2)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1397 هـ - 1977م.

16) الفتوحات الإليهة، الصفحة الخامسة من هذه الترجمة.

• **إصلاح وتجديد وبناء وتشييد**

فقد اتجهت همة جلالته للإصلاح والبناء في كافة الميادين من إدارة ومال وعمال وقضاة وتعليم ودفاع وغيرها، كما اتجهت همة جلالته إلى تحرير الأساري وفك رقابهم، وخاصة من بلاد الإسبان.

• **بين الآستانة ومراكش**

إذ كانت لجلالته علاقة طيبة ممتازة مع الدولة العثمانية، مع السلطان مصطفى الثالث بن السلطان أحمد الرابع، ومع السلطان عبد الحميد الأول، بحيث كان يبعث بالهدايا والأموال الطائلة إلى هذه الدولة، ويعينها عندما تكون في عسر من أمرها.

• **السلطان المعطاء**

فقد كان كثير العطاء والهدايا، سواء داخل المغرب أو خارجه كبلاد الحرمين والشام ومصر، كما حبس أحباسا على الحرمين وبعض المساجد والقراء والأشراف ليبقى عمله جاريا بعد وفاته.

• **السلطان العالم**

إذ كان جلالته قبل الملك منصرفا إلى الأدب والتاريخ والسياسة وأحوال العرب وأيامها وأنسابها، حتى إنه كان يحفظ الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني، وبعد ما صار إليه الملك لم تصرفه أعباؤه عن مواصلة البحث والعلم، وخاصة في ميدان السنة والأحاديث النبوية التي كان يعد لها مجالس خاصة، وفي أوقات معلومة.

وهنا يؤكد المترجم أن «هذه المجالس الحديثية المحمدية كانت أساسا للمجالس الحديثية عند ملوك الدولة الشريفة العلوية بعد، فقد اقتفى أثره في مجالسة العلماء ومباحثتهم ومدارسة الحديث والتأليف فيه ولده السلطان العالم المولى سليمان، ثم جاء بعده ابن أخيه وولي عهده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله، فأصبح مجلس الحديث من العوائد الرسمية والسنن المرعية للدولة...»[17].

• **السلطان المؤلف**

وهنا يعرف المترجم بمؤلفات السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وهي :

□ **«مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان»**، إذ جمع فيه «مسائل مهمة من علم أمور الدين، قريبة المقاصد، شهيرة الموارد، مقتصرا فيها على الضروري ليسهل حفظه على الصبيان، وهي أيضا نافعة لمن اقتصر عليها في دينه من الشيوخ والكهول والشبان»[18].

□ **«طبق الأرطاب، فيما اقتطفناه من مساند الأيمة وكتب مشاهير المالكية والإمام الحطاب»**، وهو ثمرة إعادة جلالته النظر في مؤلف له آخر وهو :

□ **«الفتح الرباني فيما اقتطفناه من مساند الأيمة وفق الإمام الحطاب والشيخ ابن أبي زيد القيرواني»** الذي كان في أصله تتمة لمؤلفه :

□ **«بغية ذوي البصائر والألباب في الدرر المنتخبة من تأليف الحطاب»** الذي كان قد اقتصر فيه على عقيدة ابن أبي زيد وكتابي الطهارة والصلاة.

□ **«الجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من ستة أسانيد»**، وهو كتاب استخرجه من الصحيحين والموطإ ومسند أحمد والشافعي وأبي حنيفة، ورتبه على أبواب الفقه من عبادات ومعاملات»[19].

□ **«الفتوحات الإلهية الصغرى»**، وتشتمل على أزيد من ثلاثمائة حديث، علاوة على بعض التراجم، وذكر آل البيت ومن استشهد منهم.

□ **«الفتوحات الإلهية الكبرى»**، وهي أشهر مؤلفاته، اعتنى بها المغاربة والمشارقة تدريسا وشرحا، لأهمية موضوعها من جهة، ولقيمة المساند التي اعتمد عليها

17) الفتوحات الإلهية، الصفحة السابعة عشرة من الترجمة.
18) الفتوحات الإلهية، الصفحة التاسعة عشرة من الترجمة.
19) الفتوحات الإلهية، الصفحة العشرون من الترجمة.

من جهة ثانية، كما أكد هذه العناية أخيرا السلطان المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه الذي أمر بطبع هذا الكتاب ونشره.

وبعد هاتين المقدمتين - التقديم وترجمة المؤلف - يبدأ الكتاب بتصدير مختصر تعرض فيه السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الدافع الذي حمل جلالته على تأليف الفتوحات الإلهية، مشيرا إلى مسانيد الأيمة الثلاثة[20] التي وردت على جلالته، ولم تكن قد دخلت المغرب قط من قبل، ومشيرا كذلك إلى موطإ الإمام مالك وصحيحي البخاري ومسلم، وهي الكتب التي أضاف درر بعضها إلى بعض في مساق أبدع ونسق أرفع، قسم فيه الأحاديث التي أوردها إلى سداسية، أي التي أخرجها كل من الأيمة الأربعة : مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة، وكذا الإمامين البخاري ومسلم، ثم إلى خماسية، أي التي لم يخرجها واحد من الستة المتقدمين، فرباعية وثلاثية وثنائية. كما يتعرض جلالته في هذا التصدير إلى بقية محتويات الكتاب، كذكر جلالته لآل بيت النبي ﷺ والخفاء الراشدين والستة الباقين من العشرة، ثم مسندات الأيمة الأربعة، ملتزما تقديم أكبرهم سنا. ولم يفت جلالته أن يشير في هذا التصدير إلى عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني التي ابتدأ بها رسالته، وإلى تسمية الكتاب كاملة إذ يقول : «وسميته بالفتوحات الإلهية، في أحاديث خير البرية»[21]، وأخيرا إلى الفصلين اللذين ختم بهما هذه الفتوحات : أولهما في بيان قول جلالته في الترجمة «المالكي مذهبا والحنبلي اعتقادا»، وثانيهما في اعتقاد جلالته في الأيمة الأربعة.

وإذا نحن عدنا بعد هذا إلى الأحاديث الواردة في هذا الكتاب وجدناها تتم بمميزات متعددة نذكر من بينها :

• غزارة الأحاديث الواردة، التي بلغت ألفين ومائتين واثنين وستين (2262) حديثا، جاءت مقسمة على الشكل التالي :

□ حديث «إنما الأعمال بالنيات» الذي وضعه جلالته في مستهل أحاديث هذه الفتوحات «وإن كان رباعيا لأن الأعمال كلها موقوفة على هذا الحديث»[22].

□ الأحاديث السداسية، وعددها خمسون (50) حديثا.

□ الأحاديث الخماسية، وعددها أربعون (40) حديثا.

□ الأحاديث الرباعية، وعددها مائة (100) حديث.

□ الأحاديث الثلاثية، وعددها مائتان وسبعة وثلاثون (237) حديثا.

□ الأحاديث الثنائية، وعددها مائة وأربعة وتسعون (194) حديثا.

□ الأحاديث المرتبطة بآل البيت ومناقبهم، وعددها أربعون (40) حديثا.

□ أحاديث مسند الإمام أبي حنيفة، وعددها أربعمائة (400) حديث.

□ أحاديث مسندات الإمام مالك، وعددها ثلاثمائة وخمسة وتسعون (395) حديثا.

□ أحاديث مسندات الإمام الشافعي، وعددها ثلاثة وأربعمائة (403) حديثا.

□ أحاديث مسندات الإمام أحمد، وعددها إثنان وأربعمائة (402) حديث.

• تنوع الأحاديث الواردة من حيث الموضوعات التي تعالجها من عقيدة ومعاملات وغيرها. ففقيما يتعلق بأركان الإسلام مثلا، وردت أحاديث كثيرة تعالج الصلاة والزكاة والحج وغيرها، كالحديث التاسع الذي أخرجه «الإمام أبو حنيفة عن ابن عباس ومالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»[23].

وفيما يتعلق بالمعاملات مثلا نشير إلى واحد من أحاديث كثيرة وردت في الموضوع، هو الحديث الثاني

20) وهم الإمام الشافعي والإمام أبو حنيفة والإمام أحمد بن حنبل.
21) الفتوحات الإلهية، ص 3.
22) الفتوحات الإلهية، ص 8.
23) الفتوحات الإلهية، ص 10.

والثمانون بعد المائة الذي أخرجه الإمام مالك وأحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[24].

• اختلاف الأحاديث الواردة طولا وقصرا، فإذا كان الحديثان السابقان[25] يمثلان الأحاديث القصيرة، فإن أحاديث أخرى كثيرة تتميز بطول نفسها كالحديث الثامن والعشرين بعد الثلاثمائة (328) الذي أخرجه «الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أكثرنا من الحديث عند رسوله الله ﷺ ذات ليلة، ثم غدونا إليه فقال : عرضت علي الأنبياء الليلة بأممها، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة، والنبي ومعه العصابة، والنبي ومعه النفر، والنبي وليس معه أحد، حتى مر علي موسى معه كبكبة من بني إسرائيل، فأعجبوني فقلت : من هؤلاء ؟ فقيل لي : هذا أخوك موسى ومعه بنو إسرائيل، قال : قلت : فأين أمتي ؟ فقيل لي : انظر عن يمينك. فنظرت فإذا الظراب قد سد بوجوه الرجال، ثم قيل لي : انظر عن يسارك. فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال. فقيل لي : أرضيت ؟ فقلت : رضيت يا رب، رضيت يا رب، قال : فقيل لي : إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب. فقال النبي ﷺ : فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الألف، فادخلوا، فإن قصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق، فإني قد رأيت ثم ناسا يتهاوشون. فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني من السبعين، فدعا له، فقام آخر فقال : ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال : قد سبقك بها عكاشة، قال : ثم تحدثنا فقلنا : من ترون هؤلاء السبعون الألف ؟ قال : قوم ولدوا في الإسلام، ولم يشركوا بالله شيئا حتى ماتوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»[26].

• اختلاف الأحاديث الواردة بين عنصري السرد والحوار، ولعل النماذج المتشهد بها آنفا تدل على هذا الاختلاف.

• اختلاف هذه الأحاديث بين أقول الرسول ﷺ وأعماله، فقد جاء في الحديث السادس والأربعين بعد الثلاثمائة (346) الذي أخرجه «الإمام أبو حنيفة ومالك وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جعل الدية في الخطإ إخماسا»[27].

• تنوع صيغ الأحاديث الواردة بين أمر ونهي ودعاء وغيرها، ويكفي أن نمثل لأسلوب الدعاء بالحديث الواحد بعد الستمائة (601) الذي أخرجه «الإمام أحمد ومسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة واليقين»[28].

• تنوع الأحاديث الواردة بين أحاديث الرسول ﷺ والأحاديث القدسية، هذه الأخيرة التي نمثل لها بالحديث الواحد والسبعين بعد الخمسمائة (571) الذي أخرجه «الإمام أحمد ومسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : إني حرمت على نفسي الظلم وعلى عبادي، ألا فلا تظلموا، كل ابن آدم يخطئ بالليل والنهار ثم يستغفرونني فأغفر لهم ولا أبالي، وقال : يا بني آدم كلكم كان ضالا إلا من هديت، وكلكم كان عاريا إلا من كسوت، وكلكم كان جائعا إلا من أطعمت، وكلكم كان ظمآنا إلا من سقيت، فاستهدوني أهدكم، واستكسوني أكسكم، واستطعموني أطعمكم، واستقوني أسقكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وصغيركم وكبيركم وذكركم وأنثاكم على قلب أتقاكم رجلا واحدا، لم تزيدوا في ملكي شيئا، ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وصغيركم وكبيركم وذكركم وأنثاكم على قلب

24) الفتوحات الإلهية، ص 53.
25) الحديث 9 والحديث 182.
26) الفتوحات الإلهية، ص 88
27) الفتوحات الإلهية، ص 92.
28) الفتوحات الإلهية، ص 149.

أكفركم رجلا لم تنقصوا من ملكي شيئا إلا كما ينقص المخيط من البحر»[29].

• بعض الأحاديث جاء تطعيما لجملة التراجم التي ساقها السلطان سيدي محمد بن عبد الله على الشكل الآتي :

□ آل الرسول ﷺ :

عبيدة بن الحارث.

حمزة بن عبد المطلب.

جعفر بن أبي طالب.

علي بن أبي طالب.

□ زوجة الرسول ﷺ وذريته وحفدته :

السيدة خديجة رضي الله عنها.

زينب بنت الرسول ﷺ.

رقية بنت الرسول ﷺ.

أم كلثوم بنت الرسول ﷺ.

فاطمة بنت الرسول ﷺ.

إبراهيم ولد الرسول ﷺ.

الحسن بن علي بن أبي طالب.

الحسين بن علي بن أبي طالب.

□ عودة إلى بعض آل الرسول ﷺ.

العباس بن عبد المطلب.

□ الخلفاء الراشدون.

أبو بكر الصديق.

عمر بن الخطاب.

عثمان بن عفان.

علي بن أبي طالب.

□ بقية العشرة المبشرين بالجنة.

الزبير بن العوام.

طلحة بن عبيدة الله.

أبو عبيدة بن الجراح.

سعد بن أبي وقاص.

سعيد بن زيد.

عبد الرحمن بن عوف.

وتدل هذه التراجم على ثقافة واسعة لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله، تلك الثقافة التي ساهمت فيها عناصر مختلفة أدت إلى تضلع جلالته دينا وسيرة وتاريخا وأنسابا...

• حرص السلطان سيدي محمد بن عبد الله علي إيراد الحديث النبوي الشريف بجميع رواياته، وفي ذلك دليل على دقة جلالته، ورغبته في أن يكون كتاب الفتوحات الإلهية جامعا لأحاديث الرسول ﷺ مهما كان اختلاف روايتها أو سندها. وكمثال على ذلك نشير إلى حديث أدرجه السلطان ضمن الأحاديث السداسية برواية معينة، ثم رواه بعد ذلك ضمن الأحاديث الخماسية[30] برواية ثانية، فأما الرواية الأولى[31] فتقول : «وأخرج الإمام أبو حنيفة ومالك عن ابن عمر، والشافعي وأحمد عن عائشة، والبخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ويل للأعقاب من النار، فإذا غسلتم أرجلكم فأبلوا بالماء أصول العراقيب»[32].

وأما الرواية الثانية[33] فتقول : «وأخرج الإمام أبو حنيفة ومالك عن ابن عمر، وأحمد عن عائشة، والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ويل للعراقيب من النار، فإذا غسلتم أرجلكم فأبلغوا بالماء أصول العراقيب»[34].

وكمثال آخر على هذا الاختلاف متنا وسندا، وعلى حرص السلطان سيدي محمد بن عبد الله على تتبع الفروق والاختلافات ولو كانت بسيطة، الحديث[35] الذي أورده جلالته خماسيا وهو : «وأخرج الإمام أبو حنيفة عن جابر بن عبد الله، والشافعي عن أبي هريرة، وأحمد والبخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

29) الفتوحات الإلهية، ص 143.
30) بسقوط الإمام الشافعي.
31) الحديث رقم 38.
32) الفتوحات الإلهية، ص 17.

33) الحديث رقم 65.
34) الفتوحات الإلهية، ص 25.
35) الحديث رقم 90.

أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويوتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[36]، والحديث نفسه[37] أورده جلالته رباعيا[38] برواية أخرى تقول : «وأخرج الإمام الشافعي وأحمد عن أبي هريرة، والبخاري ومسلم عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[39].

وهكذا إذن يتضح أن كتاب «الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية» يعد موسوعة هامة ضمت عددا هائلا من الأحاديث النبوية الشريفة، كما أنه يعتبر معلمة بارزة من معالم البحث في مجال الحديث والتجديد في تناوله والتطرق إليه. وقد سبقت الإشارة إلى هذا الترتيب الذي اعتمده السلطان سيدي محمد بن عبد الله يعد جديدا بالنسبة للترتيبات والتبويبات التي كانت معتمدة من قبل، وفي هذا دليل على روح الاجتهاد التي تطبع هذا التأليف، والتي تؤكد أن المجهودات المغربية في هذا المجال، لم تكن لتقتصر على الاجترار والإعادة، وإنما كانت ترمي إلى الجدة والابتكار، وإضفاء شخصية العالم الباحث على ما يصدر عنه من إنتاج، وخاصة في ميدان الحديث النبوي الذي يعتبر المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم، والذي صدر عن خير البرية الذي قال أبو الطفيل عامر بن واثلة في مدحه والثناء على آله :

إن النبي هو النور الذي انكشفت
به عماية باقينا وماضينا

ورهطه عصمة في ديننا ولهم
فضل علينا وحق واجب فينا[40]

---

36) الفتوحات الإلهية، ص 30.

37) الحديث رقم 102.

38) بسقوط الإمام أبي حنيفة.

39) الفتوحات الإلهية، ص 33.

40) الفتوحات الإلهية، ص 460.



اصدح بشعرك شاديا ومغردا — وانظم قلائدك الحسان مجودا
لملم أضاميم المعاني واستبق — لرحاب قصر للأماجد شيدا
وانثر على الدنيا مفاخر عاهل — حسن : مفاخره ترام وتحتدى
ضمخ قريضك باسمه : عطر به — أرجاء شعبي هازجا ومقصدا
فبذكره، وبمجده وبعزمه — نخشى الوغى للثأر لا نخشى الردى
متيمنين بشخصه، متشبثيـ — ـن بعرشه : ومن اقتدى فقد اهتدى
في فجر عيد مليكنا وزعيمنا — نزجي لعاهلنا الولاء مجددا
في عيد فرحة تنتشي آمالنا — فينا : ويغدو ما تعذر مسعدا
نبني السدود بأمره، نغزو الحد — ود برأيه، فنزيح أسلاك العدى ؟
ما خططت يمناه فالتوفيق في — تخطيطها : والشعب لن يترددا
لله أنت على رمال جنوبنا — تختال : والفتح المبين تأكدا
في نشوة صوفية. مشبوبة — تعنو لروعتها الخلائق سجدا
أديت نافلة الثناء : وكل من — في الركب يجهر داعيا، وبك اقتدى
السعد شع على جبينك باديا — قد سجل التاريخ ذاك المشهدا

☆ ☆ ☆

تـه يــاجنـوب بـزورة ميمـونــة وافى بهـا ملـك البـلاد لتسعـــدا
أسبـوعهـا كـان القران، فــأبصرت كـل الـدنـا الحفـل البهيـج المفردا
شخصت لك الأبصار ترقب حسن من دك الحصـــار : وللمسيرة أرشـــدا
عرس بهي هـــــز أدواح المنى طربـا : ومـاس لـه النخيـل معربـدا
وتــواجـدت أعـلامنــا في رقصـة لتغيـــظ من شـق العصـــا وتمردا
وسعى ليحجب شمس حـــق أشرقت والشهم لا يصغي لجلف هـــــددا
بهت المعانـد، والمسانـد، فـاشهـدوا الآن قـد أضحى الجنـوب مـوحـدا
اسطـع بنـورك في ربـوعـك مشرقـا واصرع خصومـك بـالبنـاء مشيـدا
تلـك المعـاهـد حققت مـا ترتجي منهـا نهلنـا مـا نبـل بـه الصـدى
هي للعيـون حـــدائـق مجلـوة هي للعقـول الرشـد لاح مجســـدا
تتــألـق الأفكــار بين رحـــابهـــا والصـامـد الصنـديـد يحظى سرمـدا
كم من غرير غره إعجـــابـــه ولكم حقير صـــار نجمـــا فرقـــدا
مهـدت لـلأجيـال سبـل نجـاتهم بمعـاهـد تعـدادهـا بلـغ المـدى
وجمعت حـولـك في أكـاديميـة من كـل قطر كـوكبـا متـوقـــدا
فسمت بلادي في حماك على الـورى وزهت بمن أرسى الأســاس ووطـدا
فــإذا تجـولت الغـداة بــأرضنــا ألفيت في كـل الجـوانب معهــدا

☆ ☆ ☆

تلـك المـلاجئ للحيـارى مـوئـل شيـدت مرافقـه لتحفـظ مقعـدا
هـدّ الـزمـان كيـانـه وتراكمت أوجــاعــه، فبـدا الحسير مهــددا
مستشفيـــات فتحت أبـوابهـــا يغـدو بهـا واهي القـوى متجـددا
قــامت على أقســامهـا زمر تخـا لهمو مـلائـك رحمـة : مـدت يـدا
حيـــوا جنـــود الطب إن مرادهم كشف الغطـاء... ومحـو داء أجهـدا
بــات الأمـان من السقـام فخـارنـا في عهـدك الميمون يـا ترب النـدى

☆ ☆ ☆

لمـا دعـوت لـلاكتفـاء بـذاتنـا فـلاحنـــا بـــالاكتفــاء تعهـــدا
القمـح في مليـون هكتــار يفي بمرادنـــا : والـزيت لن يستـوردا
هي دعـوة لـلاقتصـاد تـأكـدت لمـا رسمت لهـا السبيـل الأرشـدا

أشرق علينـــا أنت رمـز كفـاحنـــا | وشهـاب نهضتنـا الـذي لن يخمـدا
بـالفكر، والإيحـاء، عشت مميـزا | والرأي إمـــا فهت لاح مســـددا
أصبحت رمـزا عـالميـا، حيثمـا | بـادرت، صيغ لـك الثنـاء منضـدا
إنـــا بتـــدبير الحكيم وعـزمـه | سنرى الشمـــال يعيش حرا سيـــدا
لا خـاب فـألـك في شمال بـلادنـا | حتى ترد الاعتبـــار لـــه غـــدا
ونرى عروستي الشمـال = وقـد بـدا | فجر الخلاص = تقبلان لـك اليـدا

☆ ☆ ☆

مـولاي دم للمكرمـــات تـزفهـــا | بشرى لشعبـك وقعهـا قطر النـدى
عش يـامنـار المجـد بـاعث مجـده | فرجـاء شعبـك أن تعيش ممجـدا
يختـال شعري يـوم عيـدك إذ يرى | نسـج البرود الصعب : صـار ممهـدا
والعرش مـؤتلـق السنـــا في ظلكم | والنصر والتمكين مع طـول المـدى
والسعـــد في ركب الأمير وصنـوه | ولكـل من برحـاب قصرك أخلـدا

هنيئا لك العيد الذي أنت عيده

وحتى نجسم هذا العيد في شبابنـا الـذين يتبـارون ليرفعوا رأس المغرب ومن شـأن المغرب، قررنا أن نحتفل غدا بثلة من الشباب ستستقبلهم كلنا، أنت، شعبي العزيز، وأنا لنكرم فيهم الشبـاب، ونشرف فيهم البطولات، وندعو لهم ولنا جميعا، الشيوخ والكهول والشباب والأطفـال، أن يطيل اللـه سبحانه وتعالى شبابنا وأن يحفظنا في شبابنـا وأن يـديم علينـا نعمـاء الاطمئنـان وأن يـديم علينـا كذلك راحة الإيمان.

أقبل العيد بالهنا والأماني

للشاعر الأستاذ أحمد شرف الدين

أقبل العيد بالهنا والأماني ... ودعاني لعرسه فسقاني

دعوة لم تزل تجدد فرحي ... وتشيع الضياء في كل آن

دعوة لم تزل تحث يراعي ... ولساني، وأين مني لساني !؟

ذاب في معبد الهوى أي ذوب ... كيف يلفي الطروب سحر البيان !؟

كيف أشدو وكيف أبدع لحني ... والجميل الرقيق منه لحاني !؟

أي شعر أبثه اليوم فرحي !؟ ... كيف يملي على اليراع جناني ؟

ليتني كنت للقوافي أميرا ... ليت لي فن «أحمد «وابن هاني»

فأصوغ الشعور لحنا جميلا ... وأصوغ القريض عقد جمان

دوحة الملك أينعت في شموخ ... أثمرت في القلوب أحلى المجاني

أي لحن أزفه ؟ أي شعر ؟ ... لست أرضى بغير أحلى الأغاني

نشوة في اللسان والقلب تسري ... فرحة كلها كزهر الجنان

فاغتنمها مسرة وابتهاجا ... واقتنصها بديعة الطيلسان

رو هذا الفؤاد من كل مجنى ... واسمع الشعب وهو يهدي التهاني

متع السمع هكذا والمآقي ... بابتسام بزغردات حسان

☆ ☆ ☆

قـائـد الشعب يـا مليكي هنيئـا عيـدك اليوم عيـد كـل زمـان

عيـدك اليـوم لـو يقـاس حيـاة دونهـا في الـوجـود أغلى الأمـاني

عيـدك اليـوم آيـة سـوف تتلى سـوف تبقى بسرهـا والمعـاني

سـوف تبقى بين الضلـوع تراعى سـوف تبقى مصونـة بـالمثـاني

هي ذكرى وحـولهـا ذكريـات سـوف يـزهـو بـذكرهـا الثقـلان

هي ذكرى لعرش ملـك وشعب هي ذكرى لحبنـا في احتضـان

كيف أحصي مفـاخرا أبـدعتهـا يـد شهم وقـائـد متفـان

أين أبـدا أبـا لجهـاد قـديمـا ؟ أم حـديثـا كشـاهـد للعيـان ؟

أبـإفني حررتهـا والصحـاري تسعـد اليوم بـالمنى والأمـاني ؟

أم بمـا شـدتـه لكـل نمـاء ؟ أي شيء أعـده خير بـان ؟

قـد حميت البـلاد من كيـد رهـط قـد غـزا الحقـد قلبهم من زمـان

ومـلأت البـلاد نـورا وعـدلا وبسطت الرخـاء رمـز الأمـان

وبـذلت الجهـود في كـل حقـل عهـدك العهـد بـالثمـار الـدواني

وطـويت الـزمـان طيـا ليبقى أمر هـذا الـزمـان طـوع العنـان

كم مراسي شيـدتهـا كم سـدود كم حصـون أعليتهـا كم مبـاني !

هي للشعب عـزة تبتنيهـا هي شـأن أعليتـه أي شـان

كيف أحصي مفـاخرا ليس تحصى إن ذكري لبعضهـا قـد كفـاني

أي عرش وأي ملـك عظيم سـاس شعبـا بحبـه والحنـان

أي شعب تراه شعبـا أبيـا قـاده للعـلا أبي يـدانـي

حسن الخلـق والفعـال المفـدى رائـد مفرد وإن هـو ثـاني

☆ ☆ ☆

يـا أخي إن تمر يـومـا بجـاري قـل لـه : إن يهن فلست بجـاني

قـل لـه : إنني لأرضي حـام أتحـدى منـاورات الجبـان

قـل لـه لن ينـال في الأرض شبرا فهـو فـوق السهى وفـوق كـوان

وبـأني سـآخـذ اليـوم حقي مكرهـا إن يكن عـديم الأمـان

أبلغنـه الحـديث فهـو عنيـد قـد يسيئ الشروح عنـد البيـان

سبتـــة والجيـوب أيضـــا ستغـــدو مثلمـــا أختهـــا بكـــل مكـــان
ومليلي لن تضيـــــــع ونحيى وأمير البـــلاد حـــامي الكيـــان
لن يضيعـــا وجيشنـــا يتحـــدى في صمود بعـزمـــه الحـدثـــان
وزعيم التحرير بــــــالأمس أوصى في اقتراح لـــــه بجمـع اللجـــان
كي يكـون الحـوار بـــاب سـلام ويكـــون الجـلا سبيـــل الأمـــان
ســوف تضحي كغيرهـــا في علـــو في سمـــو في رفعـــة وتــــدان

☆ ☆ ☆

يـــا مليكي ويـــا منى كـل ملـــك عبرتي اليــــوم والقريض سيـــــان
فـــاقبلن ذا وهـــــذه فهي حبي وهي حمـــدي أبثـــه وامتنـــــاني
يـــا مليـك الأمجـاد طـابت خطـاكم حقـق اللـــه في الحيـــاة الأمـــاني
وأقر العيـــــون منكم بشبـــــل ولي العهـــد وارث الصـولجـــان
وأخيـــــه الرشيـــــد والأهـــل طرا مـــا بـــدا طير أو شـدا فـوق بـــان

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

●● إنني من المدرسة الإسلامية، مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام التي تفضل الحوار على كل شيء وتجعل من الحرب آخر مرحلة للحوار ●●

جلالة الملك الحسن الثاني



حسن... يـــا بـــدر في أفقي ... يكـــلاك بـــــه رب الفلـــــق

عـــودت الشعب على مقـــة ... وهـــــــوي... من غيرك لم يرق

يهـــواك بمـــا قــــد سقت إليـ ... ـــه... أيـــادي مثلهـــا لم يسق

أدركت بـــأمتنـــا أمـــدا ... لا يـــدرك شـــأوه إلا تقي

أسليـــل المجـــد، وسبـــط نبيـ ... ـــي اللـــه... تـــألـق على الألــق

أورثت الصـــدق، لقنتـــه من ... قبس يـــزكـــو بـــدم عبــق

سبـــط أسمى النـــاس، ووارث سر ... ه، في شرف وعُلى خلـــــق

قـــد كسيت المجـــد بـــه مثلا ... غراء، تعـــز عن الخلـــق

شيم وافتـــك أصـــالتهـــا انـ ... ـبثقت من أسلافِـــك الصـدق

مـــا كـــان، إذاً، عبثـــا أن تتمـ ... ـمم بعث الـــوحـــدة في أفقي !

قـــدر ســـوغتـــه من هـــاشم ... فـــأضـــاء بنفسـك كـــالفلــق

* * *

حسن... يـــا أجيـــال في رجـل ... حققت لشعبـــك كـــل رقي

فطن... مـــا أوثـق مـــا تـزن الـ ... ـخطـــوات إلى لم الفرق !

الصـــدق أداتـــك فينـــا، وإن ... فُطر الأقـــوام على الملـــق !

والسلم فتقت مسيرتـــه ... أذهلت بهـا أهـل النـزق !

دعـوة لم تسـع لهـا وجـلا ... إنمـا بحجى حنـك متـق...

...صورا، لم تفتـا تجـددهـا ... منـذ مس المقـدس بـالحرق

قـد رأيت قـداستهـا هـدفـا ... فخشيت عليهـا من الحنـق

سرٌ من ربـك تحبى بـه ... تلـج الـدهمـاء بـلا فرق !

عـوذت... فلم تقصـد لهـدى ... إلا والنجـح على النسـق...

وطنت النفس على ثقـة ... لمسيرك في أهـدى الطرق

وربطت القلب على جلـد ... بكفـاحـك في أشقى الطرق

وحقنت، بـذاك، دمـا أمم ... لـو ميـز صراح من المـذق !

لـو لم يتصـد زعـانفـة ... بـدسـائس تضليـل مرتبـق

أسـد في السلم فـإن حـزبت ... حرب... يستخبروا منْ نفـق !

الـدس صميم بضـاعتهم ... والخـزي يـلاحـق كـل شقي !

والحرب صنـاعـة من صفرت ... يـده من دين ومن خلـق

ويُـدين صنيعـك رأد ضحى ... من يمـارس سحتـه في غسـق !

أمليـك السلم صـدقت الحـد ... س، بنصر السلم على الرهـق

ونـزعت النصر مكـابـدة ... خسئ البـاغي بـه ممـا لقي !

* * *

حسن... يـا ملحمـة امتشقت ... قيم الخـامس... سيف المتقي

تـدعـو بـالقرآن، وبـالسنن الـ ... ـغرا، لا بـالسيف والـدرق

بـالحلم تروض مـؤلفـة ... ...لقلـوبهم الـزهـق الغلـق !

قـد أقمت على الهَـدْى، مملكـة ... دستـوريـة حرة الحلـق

نفس الحسـاد نفـاستهـا ... فسعـوا بـالـدس وبـالرنـق

حشـدوا لنـا من أجراء وغى ... وأغـاروا بـألسنـة سلـق

فـوكلت بهم مهجـا صـدقـا ... من تـوهم زحفهـا يمَّحـق

فثرانـا، على الأعـداء، حرم ... لا يقصـد مسهـا إلا شقي

من يـأت الأسـد على غرر ... فرستـه الأسـد على خنـدق

أو يرم وصمي بـــــــذل وخنى   فحيـــاض المـــوت بكفي سُقي

هـــاجم... ألقـــاه على رغمي   لـــو لم يعـــد بي، لم أمتشـــق...

ركبـوا، ختـلا، لحمـانـا دجى   فـــأثرنـــا الشهب بمسترق...

لـــو لم تطرقنـــا فيـــالقهم   تسعى بـــدمـــائهـــا. لم نرق...

لـــو أنـــه لم يتنـــاس دمي،   ضـــخ الأوراس ولا، عرقي،

مـــا ســـاق لنـــا مـــا لفقـــه   من كـــل أجير ومرتـــزق !

بجـــزاء سنمـــار يجـــزي وكم   فـــدّيت ترابـــه بـــالحـــدق !

غضبُ التـــاريـــخ يطـــارده   وتحـــاسبـــه القربى بـــالنـــزق !

واللـــه مـــؤاخـــذه بـــدمي   يـــوم لا برهـــان لمختلـــق !

* * *

حسن الثـــاني... أمعلمـــة   ترشـــد العربـــان لمنطلـــق...

لـــو أن مســـاعيـــك اتسقت   بمشـــاعر منـــزلـــق زهـــق،

لحقنت دمـــاءنـــا، في أمم   وهن، أشفين على الغرق !

...والآن، وقـــد أزفت أزم   وارتـــج الراجف بـــالصعـــق

ركبـوا الـــوعثـــاء، كـــأن بهم   مـــا، يتهـــاوون من رهـــق !

أجهضـوا لجنـــة القـــدس اكتملت   برؤاك، خطـــاهـــا لمتســـق...

عقـــد علقتهـــا نفـــوسهم   فهي في أذقـــانهـــا كـــالربـــق

يـــا سيـــدي... أدركهـــا أممـــا   وهنـــا، من جـــوع ومن قلـــق !

الطفـــل يلـــوك أظـــافره   والنفســـاء ترجف في الخرق

والشيـــخ الـــواهن يبكي... ولا   دمـــع، في جفن الشيـــخ الأرق

والخبـــز بـــأرضـــه عنقـــاء... لا   ترتقي الأحـــلام إلى الحرق

طـــوق «الأحـــزاب» معسكره   ويعيث بـــه حرس الطرقي... !

صفقـــات النخـــاس مشعلـــة   والقـــدس تـــدلـــل في النفـــق !

حـــامي الإسلام... القـــدس غـــدت   مـــأتمـــا... فـــاستبق على الرمـــق

وفلسطين تهـــدر منهـــا ذمـــا   ء، فـــارم بنـــا ننقـــذ مـــا بقي !

نبهت ضير الـــدنيـــا... وقـــد   كنت، كـــالمعتـــاد، من السبـــق !

صممت على أن تلقي بـــــــــالـ ـــــأقـوات عليهـــا من الأفـــق !
فـــاشفعنهـــا بتجــديـــد ملحمـــة تعـــد العقــل، فيهـــا، على الخرق !
فـــالقـــدس ممـزقـــة خربت إربـــــا تستعصي على الرتـــق !

* * *

حسن الثـــاني... أرضى اللـــه يهـ ـــــدي الشعب إلى خير منطلـــق
قـــد بعثت بنـــا أمـــة حرة تفتـــديـــك إلى آخر الرمـــق
واحـــة أيـــامـــك في عـــالم تـــاه بـــالســـارين عن الطرق
أنت رمـــز السلم بـــدنيـــا ورى عـــدلـــوا بـــالحرب عن الرفـــق
وخـلايـا التـأمـل تـدعـو لهـا شعبـــك المتشبث بـــالأليـــق
سبتـــة ومليليـــة تنفـــذ، بـــالـ ـــسلم، من أبـــوابهمـــا الغلـــق
نحن لا نحتـــاج مـــزيـــد دم سفكت مـــا كفى أيـــدي السبـــق
فلنصن مـــا بنـــاه جـدودنـــا من قيم ثرة، وبنى سمـــــــــــق
إننـــا واسبـــانيـــا، بقربى الحضـــا رة، ليس مفر من أن نلتقي
فنرمم مـــا هش من إرثنـــا متحرين حفظـــه فيمـــا بقي
فجـدودنـا قـد أورثـونـا صرو... حـــا، ممجـدة... إن نصـخ تنطـق !
نحن كنـــا وإيـــاهم قـــد صقلـ ـــنـــا لقـــاء المغـــارب والمشرق
سنعـــــزه بممر المجـــــا ز، فنحيي لقـــانـــا على مفرق !
فمن السلم نجني ثمـــار حضـــا رتنـــا، في لقـــاء برئ نقي
فـــالحرب صنـــاعـــة من صفرت يـــده من دين ومن خلـــق
لكن دمي ليس يرهبهـــــــا يعرف الأسبـــان بهـــا طلقي

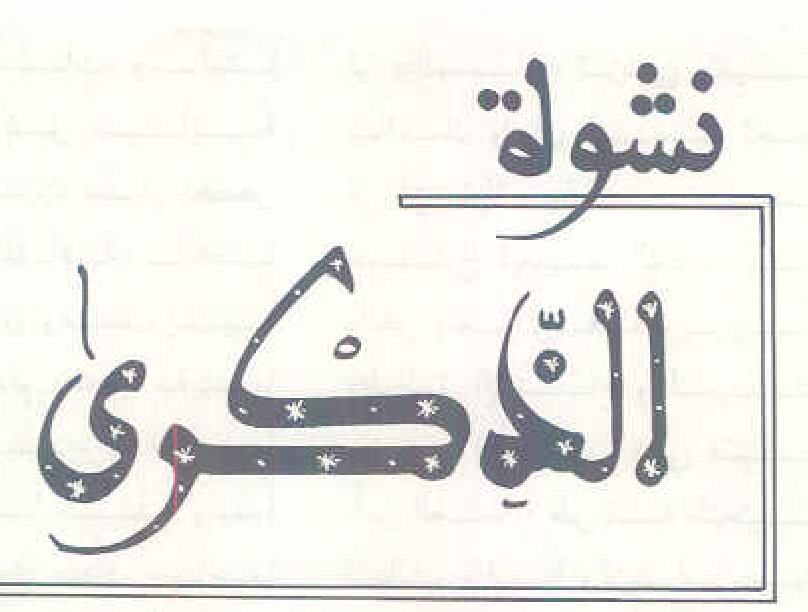
* * *

حسن الثـــاني... أنت رمـــز سـلا م وتـــاج وئـــام على مفرقي
دمت يـــا عيـــدا لنـــا في عيـــده ووقـــاك الإلـــه... أغلى مـــا يقي
تِـــه بعرشـــك في عيـــده المحتبى يـــا سليل الأمـاجـد... يـــا معتقي

ولتـدم، بعـد ست وعشرين، لي   قبسـا تستنير بـه طرقي
لـك في القلب مني هـوى صـادق   والحجى يشرئب إلى أصـدق
ووثـاق للبيعـة أحملـه   عن جـدودي، وسـامـا على عنقي
أنت، فيمـا تشيـد في أمـة،   قـد ملكت قلـوبهـا مـا تخفـق
وبفلسفـة المـاء... ملحمـة   تتخطى دفـوقـا إلى أدفـق
ذرني أختـزل الـدهر، أو كلفـا،   إن تطـوعت فيهـا أنـل سبقي
قـد شملت الشعب بعطف أب   لا يميـز بنيـه، ولا ينتقي !
فـأحطت رضـاك بمن يهتـدي   ولعفـوك أحـوط إن يمرق
قـد ملكـك اللـه من أمتـ   ـك، قلـوبهـا... غيرك لم تعشـق
هـذه أسرة العلم كرمتهـا   ومنحتهـا وعـد أب مشفـق
محضتـك الهـوى... أحجى عبقر   يـا، وقلبـا كطيبـه لم تنشـق
حسن البـاني... رائـدهـا في البنـا   ء، أرواحهـا فيـك، هـوى تلتقي
إنمـا... إن منحتهـا فرصتهـا   وأجـزت تطـوعهـا تصـدق
فسـدود الألفين تصنعهـا   بتطـوعهـا... فـامرن تطـق !
ولتتـق بقـدرات مجربـة   في طريـق للوحـدة لم تخفـق...
ولتحي، وعرشـك، عيـداً يخلـ   ـد ذكرك تـاجـا على مفرقي
وولي لعهـدك وعـد غـد   مشرق يستغض ذوي الشرق
وليعش لي أميري الرشيـد سنى   ألقـا يتـلألأ في أفقي
وليهنـك عيـدك في أمـة   تمشي، في فـداك، على الحـدق

* * *

أمليـك السـلام... اعـذر كلمي   لـو مـددت الخب لم أطـق
ليس شعري مـدحـا لعرشـك بـل   مـدحـة لي خطـورك في منطقي
أمجـادك أكبر من كلمي   أنّى لي قصرت فلم أحـق
دج في هـاجسي أسمى نغم   مرعش قلبي، ومُعي نطقي
مـا شعري أهـديكـه، إنمـا   مهجـا زجّيت على ورقي
ومشـاعر تصـدم قلب الأعـا   دي، بمـا لا يصيبهـا من فيلـق



للأستاذ البشير المحمودي

عـد بـالسرور وبـالهنـا يـا عيـد   لشروق شمســك فرحــة ونشيــد

وبشـائر الإنمـاء تشـدو، والطمـو   ح مخطــط، والسعي فيــه حميد

وصحائف الأعمال تنشد : ها أميـ   ـر المـؤمنين مجـاهــد ومشيـد

والمنجـزات تطـل قـائلـة : أنـا   من فكرة الحسن العظيم خلــود

ملــك، وأرض، والشريعــة : إنهـا   نعم علينــا ظلهــا ممــدود

شعب حبـاه اللــه من خير العطـا   فمكـانــه بين الشعـوب فريـد

شعب يعــانـق عرشــه بمحبــة   مـا إن لهـا في الجـانبين حـدود

حب تضـوع مسكــه حتى فشـا   في العــالمين هبـوبــه وصعـود

حب تعمـق في النفـوس فمـا لهـا   صبر عليــه ولا تكــاد تحيـد

حب يمـازج في الـدمـاء عقيـدة   ربـط الـوفـاء وشيجـه وعهـود

من للشعـوب برائـد متــأثل ؟   في المجد مثلـك، حـامـد محمود

أنى لغيركم بمثـل خصــالكم ؟   ضــاق القـوافي دونهــا وقصيـد

مــاذا أعـد إذا أشـا تعـدادهـا ؟   كثرت، وعـد المكرمـات جحـود

قـد صنت وحـدة أرضنـا بشجـاعـة   ونشرت أمنـا بـالجـدار يسود

وقطعت دابر كــائــد «مترزق»   وتركتــه خلف الرمـال يبيـد

وجعلت من صحرائنـا جنـات نخـ   ـل، أو مـدائن بـالنشـاط تميـد

أحييتها بـ«المنشآت» وبالمنا ئر و«المنابر» تزدهي وتفيد

أو ليت للقرآن كل عناية بالمال والرأي السديد تجود

والجامعات غدت مسار تخصص في أي منطقة لها تسييد

وأقمت دورا لـ«لثقافة» ناهضا بمسارح ليعمها التجديد

«مليون هكتار» وعدت بسقيها والحر ينجز وعده ويزيد

فرويتها والعلم يصحب سقيها وطرائق الإنتاج و«التسميد»

قد صارت البيداء ظلا وارفا واخضرت الأشجار وهي نضيد

ناديت فينا منذرا ومبشرا «أمن الغذاء» طريقه التجنيد

بالوعظ والتقوى ملأت مساجدا فالشيب فيها والشباب سجود

للحكم شدت مؤسسات عدالة فنظامها لذوي الحقوق شهيد

كم صارعت خطواتكم خطر التخلـ ـف فانتصرتم واجتلاه صمود

وإذا استنار البرلمان بفكركم في المعضلات تبدد التعقيد

☆ ☆ ☆

ملك تهون له الصعاب فرأيه نحو الجسام من الأمور سديد

ورث الخلافة ما جدا عن ماجد نسب تسامى عقده والجيد

ومن النبوة استمد بنوة مرضية وشعارها التوحيد

شرف يواصل في الشموخ بناءه متلاحما آباؤه وجدود

ظلت فحاصة عقله يأوي لها قلم البليغ يكله التعقيد

وإذا استجاب لندوة فبجرأة يعطي الجواب وصدقه معهود

فنضاله في كل واجهة فما منها مجال فاته التشييد

☆ ☆ ☆

«حسن» الفعال وطيب الأقوال، دا م لك المنى ومسرة وسعود

يهتز شعبك فرحة إن تبتسم ورضاكم أمل له منشود

وإذا غضبت لصالح الوطن انجلت غضباته وتوحد المجهود

وكما منحت الشعب قلبك إنه يفديك بالأرواح فهي جنود

هاهم نشاوى ذكريات شبابكم بمداد فخر خطها التأييد

ذكرى النهـوض بشعبكم فحيـاتـه   طـابت بكم وكـأنمـا هي عيـد

ذكرى العلوم نشرتها في كـل حـا   ـضرة وبـاديـة لهـا تـوطيـد

ذكرى الحـديث تجلـه وتحيطـه   بعنـايـة، و«دروسكم» تـأكيـد

«بجميـع أنـواع العلـوم يلم» صغـ   ـت جـواهرا قـد زانهـا التنضيد

ذكرى التصوف قـد أقمت «الملتقى»   يتنـاظران : شيـوخـه ومريـد

ذكرى السدود على السهول أفضتها   قنـواتهـا تمتـد حيث تريـد

ذكرى السيـاحـة : مغرب لجمـالـه   سحر النفـوس هضـابـه ونجود

ذكرى الـدفـاع عن الحـدود مشـددا   جيش على قمم «الجـدار» عتيـد

سـوداء في حـد البـلاد «منـاهض»   يجفـو عن الإجمـاع وهـو طريـد

متـوهم أنـا سنترك أرضنـا   لا، لن تضيـع حصيـة أو عـود

مـا دام فينـا خـالـدا قسم المسيـ   ـرة، لا نفرط مـا استمر عنيـد

يـا رائـد الوطنيـة الكبرى اهنـؤوا   عيـد الشبـاب مبـارك وسعيـد

والنصر يرفـل حـولكم ويحيطكم   لطف الجليـل فـلا يضير حسـود

وليحفـظ المـولى الأمير محمـداً   وقرينـه، الصنـو الأبر، رشيـد

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

وعرش بلادك شعبي العزيز شأنه وشأن تاجها سيان لا يختلفان، فهذا العرش العريق الثابت على تبدل الظروف والأزمان لا يحمله غير القلوب، ولا يحرص عليه ويحميه بعد الله سوى ما يكتنز في رحاب وجدان الأمة المغربية من أعلاق المحبة وذخائر الوفاء والولاء.

وإذا كانت البلاد تستمد مآثرها وأمجادها من عرشها الذي أضاء وما زال يضيء بحمد الله فصول تاريخها، فإن هذا العرش قوي مكين بما أمده الله به من قوة، وبما أودعه الله وغرسه في قلوب الشعب من حب مقصور على العرش لا يتناقص ولا يتضاءل.

عهد مجدد

للأستاذ عبد الله بن الغلاوي
إمام مسجد نواكشوط

دع الملامة للغريب أن ياتي ... إذا صبا من نساء مغربيات

يسبين قلب الفتى من حبهن ومن ... قد كان في كبر لم يخش زلات

يلبسن من زينة الدنيا محاسنها ... كأنها اللؤلؤ المكنون بالذات

ترى لهن إذا ما قد بدين حلا ... بالجيد والرأس والأطراف ان تأتي

يزداد حسنا بهن الحلي زينه ... حسن بدا من جميلات بريعات

حسن تسامى على الحلي الذي معه ... لما تراءى على عين مليحات

أسنانهن رقاق يستضئن بها ... إذا ابتسمن ليال الضوء لم يات

أصواتهن كصوت العندليب إذا ... غنًى فما تشتهي صوتا لقينات

إن هن أقبلن أو أدبرن كن إذن ... مهفهفات عجيزات عزيزات

سود الحواجب والعيون هن كما ... وجوههن بدور في الدجنات

ولسن هن طويلات مذممة ... كلا ولا بالقصيرات الدميمات

ما بين ناهدة الثديين قد عشقت ... وكاعب من عذارى البابليات

كلتا هما سحرت منك الفؤاد فلا ... قلب لديك ارتضى رب البريات

كلتا يديها ورجليها مخضبة ... وفي ترايبها أشهى الملذات

وحسنها حسن يوسف الذي قطعت ... منه الأنامل من خود حسينات

تريد طرفا كحيلا راق منظره ... كأنما خلقت كلا بمرضاتي

تعطيك وعدا كثيرا ثم تخلفه ... فالوعد منها كذوب كالسرابات

رايتهن إذا أوتين يومئذ ... مخدرات عقيلات عفيفات

فمــا رأى بصري منهن واحــدة ... إلا استقر عليهــا بــالمراءات -

فلا تلمني على الضحـك الكثير إذا ... مـا كن هن معي يضحكن سـاعـات

قـالوا لقـد شبت فـاحـذرهن قلت لهم ... شب الغرام وهن عبن شيبــات

فملت عنهن في عصر المشيب إلى ... حب الخليفــة من أبنــاء ســادات

فمـا علمت فتى في الأرض حينئـذ ... دنـا من الحسن الثـاني بقمــات

خليفــة الخلفــاء الســابقين لــه ... أجــداده سلفـا خير الخليقــات

خليفــة الحسن الأولى ووالــده ... وخـامس الخمسـة الأولى السنيـات

نعم المليــك الــذي آبــاؤه ملكت ... من قبله في الدنـا حسن الرعـايات

كما سارفي موكب فيالأرض مبتهجا ... بخير طــائرة إلى المهمــات

أيــامــه الغر أعيــاد مشرفــة ... تريــه من نعم المـولى كرامــات

عطـاؤه وابـل عــاش الأنــام بــه ... غـدا كثير الهبـات والهـديــات

كف العــدا بــالردى بقهر قـوتــه ... عمـا يرومـونــه من الجنــايات

تجبى إليه لدى الحرب الشديـد أذى ... عنـد انهـزام العـدا كـل الجبـايـات

لــه جنــود وقــوات مسلحــة ... كــأنهــا أســد تلقى بغــابــات

لا يستطيــع عليهم من يحــاربهم ... ويستطيعـون هم على الحرابــات

بطــائرات كثيرات تقــاتلهم ... تفني العــدا ومــدافـع مبيــدات

يفنى كثير بــدبــابــات عسكرهم ... قتلا سوى ذي الجراحـات المليمات

فســل أعــايهم أين الــذي غنمـوا ... منهم لأنفسهم غير الهــزيمــات

مــا رام حربهم قـوم وإن شرفـوا ... إلا أذلهم رب السمــاوات

هم الملــوك التي من رام مغربهم ... من العــدا هـزمـوه بـالمعـدات

فـاقـوا ملـوك البرايـا عنـد ربهم ... حلمــا وعــدلا وخيرات كثيرات

للــه سلســة في الغرب من ذهب ... من الملـوك هم خير العطيــات

تنمى إلى المصطفى من خير عترتـه ... ذريـة بعضهـا من بعضهـا يـاتي

هم عروة من عرى الإيمـان مكسيـة ... ثوبـا من المجد يكسي كـل عـورات

بــدين جــدهم دانــوا لربهم ... فكلهم عــاش عمرا ذا عبــادات

يحمـون دين الهـدى من بعـد عثرتـه ... من الأعـادي لــه أقوى الحمـايـات

قد فـاز مغربهم في الأرض أجمعهـا ... كـل العـواصم تعطيـه السفـارات

لا زال ملكهم في الغرب يخلفــه ... منهم لــه خلف إلى النهــايـات

حدث ولا حرج فيما مدحت به ... من كان يبدي الجميلات العجيبات

يا أسرة ملكت بمغرب وسما ... مقامها في الورى فوق المقامات

شنقيطنا هو خير العالمين لكم ... يحبكم بالغداة والعشيات

كل الروابط والحاجات تربطنا ... بكم قديما وحينا بالمؤاخاة

وليس يوجد فرق بين مغربكم ... وبيننا قط في كل العمارات

فنحن أنتم وأنتم نحن ليس يرى ... لنا بكم بدل نرضاه ساداتي

هذي تحيتنا جئنا بها لكم ... ندعو لكم ربنا كل السعادات

وافاك من يبتغي بيتا تشيده ... لوجه ربك في خير الجماعات

مع معهد جاء من شنقيط خير أخ ... في الله والله كي توفيه غايات

فكم لذا الدين جاء وكم أئمته ... من أرضهم رغبا لنيل خيرات

جازاك رب الورى عنا بنعمته ... عليك في هذه الدنيا وفي الآتي

تبني مساجدنا تبني معاهدنا ... تقضى حوائجنا من كل حاجات

وكلما جاء يوم من زمانكم ... نجدد العهد فيه والتحيات

على المشفع خير الرسل جدكم ... منا صلاة سلام عد مرات

هذي بضاعتنا المجزاة جئت بها ... أو فوالنا الكيل أنتم خير قادات

هذه الذكرى توجب علينا أن نعتز بما مضى، ونعتز كذلك بما سنلاقي في المستقبل، علما منا أن المغرب لا يمكنه أن يخطيء، ولا يمكنه أن يتنكر للأسباب التي جعلت منه بلدا شامخا في التاريخ.

إن ذكرى كهذه شعبي العزيز، ذكرى مليئة بالتاريخ والأمجاد، والدروس والحكم، فكيفما كانت قيمتها في نفسي، وكيفما كانت قوة نفسي، لا أستطيع أن أفي تماما بما تخلده فينا جميعا من إحساسات؛

جلالة الملك الحسن الثاني

أنشودة الذكرى

للأستاذ محمد عبد الرحمن الدرجاوي

هنيئـا بمـا جـاد الأمـاكن من سحب — نفى روعة الإحجـاف والمحل والجـدب
وشرد يـأس النفس بعـد امتلائهـا — من القنـط المضنى ومن واخـز الكرب
هنيئـا لأغـوار البـلاد ونجـدهـا — هنيئـا هنيئـا للسهـول وللهضب
وبشرى بـه مـاء يسيـل أتيُّـه — ويمعن في سقي الـزروع وفي السكب
هنيئـا هنيئـا قبـل ذلـك كلـه — بخصب من النـوع المرادف للخصب
هنيئـا هنيئـا للـدوائر كلهـا — هنيئـا لأعيـان البـلاد وللشعب

☆ ☆ ☆

ألا إنهـا ذكرى تسر قلـوبنـا — وتجعلنـا كـلا نتيـه من العجب
وذلـك عجب لا تخـاف شروره — فـما فيـه من وزر ولا فيـه من ذنب
ولكنـه نـدب وإن هـو لم يجب — فنـدوبـه المحبـوب من آكـد النـدب
تـذكرنـا ذكرى اعتلاء إمـامنـا — مسـاعي لا تحصى بعـد ولا كتب
تـذكرنـا شعبـا يطـالب حقـه — جيـوشـا وعـزلا بـالسلام وبـالحرب
تبقت جيـوب من حمـاه يريـدهـا — جميعا، وقـد مـل التسـاهـل في السلب
لـه عـاهـل يـدعـو إلى السلم دائمـا — وجيش يخوض الحرب بـالعـاهـل النـدب
وتطربنـا أيضـا بـأحسن سمعـة — وأعرض جـاه ذاع في الشرق والغرب
فـما ملـك في النـاس كالحسن الـذي — تحلى جميـل النعت من كل ذي لب

ولا حاد في شيء عن الحسن نعته ... ولا كف يوما في اعتلاء عن الوثب
إذا مثل الخطب الجسيم أمامه ... فذلك خطب نابه فادح الخطب
وإن هو أرسى من بناء قواعدا ... يعش في شموخ لا يخاف من القلب
فمن ذا الذي ينسى مواقف خاضها ... وبتَّ بها ما بتَّ كالصارم العضب
وقد شهدت صحراؤنا أنه الفتى ... شهادة عدل لا يرجم بالغيب
وموقفه للدين والعرب موقف ... يشرف في الدين الحنيف وفي العرب
وموقفه من محنة القدس موقف ... أبان عن الإكبار والعطف والحب
وقد كان سباقا إلى كل صرخة ... يبادرها بالجاه والمال والرأب
وأما مليليا وسبتة أختها ... فخلق خلايا في حوارهما يصبي
ويدعو إلى ربط الصداقة بيننا ... وجارتنا الإسبان صحب إلى صحب
ويطفئ ما أذكى التماطل من جوى ... أبى عن سوى الإغضاء واللين من طب
دؤوب على نفع البرية كلها ... وما كل ذي نفع يكون أخا دأب
ولا كل ذي دأب بنافع قومه ... وإن زاد فوق الأم في منهج الحدب
ولا كل ذي نفع يسير بنفعه ... مسير الحيا في اللين يهمى وفي الصلب
سوى الحسن الثاني فذلك رجله ... على ذروة العلياء في الدفع والجلب
فيا رب بالإحسان والخير جازه ... فليس يجازي المحسنين سوى الرب
وحقق إلهي في البنين مراده ... وما يبتغي والسائرين على الدرب
وصل على المختار ما هبت الصبا، ... إلهي والأتباع والآل والصحب.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

لعل أجمع وأنفع وصية يوصي بها كل مسلم أخاه في بداية القرن الجديد هي أن نطبع فكرنا وحياتنا وسلوكنا الخاص والعام بالطابع المميز لحضارتنا الإسلامية الذي ارتضاه الله لنا، ألا وهو طابع الاعتدال والوسط، المنافي لكل إسراف وشطط، والمترفع عن كل تهريج ولغط، ففي نطاق المبدإ الإسلامي «الوسط» والحد الفطري «الوسط» لا كبت ولا إباحية، وإنما علاقات شرعية أخلاقية.

تفسير "الباء" من بسم الله الرحمن الرحيم

لابن البنّاء المراكشي

أعد النص وصححه الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

النظر فيها من وجوه :

أ ـ كيف أداؤها في التلاوة، وهو من علم القراءات.

ب ـ معانيها لغة، وهو من علم اللغة.

ج ـ إعرابها، وهو من معنى النحو.

د ـ فصاحتها، وهو من علم البديع.

هـ ـ بلاغة معانيها، وهو من علم البيان.

و ـ اعتبار معانيها بحسب حقيقة نفس الأمر، وهو من علم أصول الدين.

ز ـ اعتبار معانيها بحسب وضعها للتصريف بمقتضاها، وهو من علم أصول الفقه.

ح ـ وجه التصريف بمقتضاها في الوجود، وهو من علم الفقه.

ط ـ كيفية التعبد بذلك لله تعالى، وهو من علم التصوف.

ي ـ في وجه إعجازها ولزوم التسليم لها، وهو من الحكمة.

وكلامي في ذلك ليس على جهة الاستيفاء، بل على جهة الاكتفاء.

أولا ـ وجه التلاوة :

فوجه التلاوة ما هو مشهور عند أهل الأداء دون التي هي كالباء، لأنها لا تستحسن في قراءة ولا شعر، ولا هي يسيرة في لغة من ترتضى عربيته كما قال سيبويه، وهي في لغتنا مثل بيلة، اسم لمقر من مقرات الماء، ولا يبين ذلك إلا بالمشافهة.

ثانيا ـ وجه اللغة :

هي حرف من حروف المعجم، وتكون في الكلام إما جزءا من بناء الكلمة، وإما زائدة على بناء الكلمة لمعنى فيها.

والزائدة تكون للإلصاق، نحو قوله أمسكت بزيد أي ألصقت مكان قدرتك به.

وتكون للاستعانة، نحو كتبت بالقلم.

وتكون للإضافة، نحو مررت بزيد، أضفت مرورك لزيد بالباء.

وتكون للتعليل نحو سعدت بطاعة الله.

وتكون للتضمين وهذا على وجهين : وجه يكون ما دخلت عليه الباء هو المضمن في غيره، نحو ﴿**تنبت بالدهن**﴾[1] أي وفيها الدهن، ووجه يكون ما دخلت عليه الباء هو المضمن فيه غيره، نحو ﴿**إذ أنتم بالعدوة الدنيا**﴾[2] أي في العدوة الدنيا.

وتكون للقسم نحو بالله لأفعلن، وتكون للتعجب نحو ﴿**أسمع بهم وأبصر**﴾[3].

وتكون للتبعيض عند بعضهم نحو أخذت بثوبه.

وهذه المعاني كلها منقولة من أقوال العلماء.

وتسمى الباء مرة حرف إلصاق، ومرة حرف جر، لأنها تجر في الذهن المضاف إليه إلى المضاف الذي هو فعل أو ما فيه معنى فعل، ومرة تسمى حرف إضافة، ومرة حرف استعانة.

ويداخل معناها معاني حرف آخر من حروف الجر، نحو جاء زيد بفرسه أي على فرسه، وجاء بسيفه أي مع سيفه، وهو بمكة أي في مكة، ووجهه بأثر أي في وجهه أثر، ورمى بالفرس أي عن الفرس، وساد بعلمه أي لأجل علمه، ونحو ذلك.

وسمي الحرف حرفا من حيث هو حد الصوت وطرفه، وحروف كل شيء جهاته ونواحيه التي تحده، ووصف بالمعجم من حيث أن تفهمه خفي لأن الحرف جامد، وهو من حيث هو حرف هجاء أعجم لا يفهم بإفصاح، ولا يفهم كذلك كل من يبين عن المخلوقات عن نفسه بحاله لا بإيضاح عبارة فهو أعجم، ولذلك سميت صلاتك الظهر والعصر بالعجماوين[4] لما كانتا لا يفصح فيهما بالقراءة.

والإشارات قد تعرب عن العبارات، ولسان الحال أفصح من لسان المقال، لأن دلالة الحال بالطبع فلا تتبدل، ودلالة المقال بالوضع فقد تتحول.

ثالثا ـ وجه النحو :

الباء من بسم جار، والجار هو الخافض ما بعده بإضافة غيره إليه، وهي مبنية على الكسر، وتتعلق بمحذوف : أبدأ وابتدائي، والجار والمجرور جميعا هو في موضع نصب بالفعل المحذوف في الذكر، أو في موضع رفع على خبر المبتدإ المضمر، وتتعلق أبدا بالفعل إما في اللفظ أو في المعنى لأنها لتعدية الفعل، أو لحال الفاعل، ولا يحسن تعلق الباء بالمصدر الذي هو مضمر لأنه يكون داخلا في صلته. فيبقى المبتدأ بغير خبر. ولا يحسن تعلقها بالخبر الذي يكون في موضعه، وقد تصير هذه الباء من بناء الكلمة إذا اعتبرت من وجه الحكاية فلا تتعلق بشيء، ولذلك جوز النحويون بدأت ببسم الله فأدخلوا حرف الجر على بسم، وبنيت على الكسر مع أن الأصل في الحروف التي تكون للمعاني أن تكون مفتوحة لخفة الفتحة. قيل كسرت الباء لتكون حركتها شبيهة بعملها، وقيل للفرق بين ما لا يكون إلا حرفا وبين ما قد يكون اسما نحو الكاف، وقيل لشبهها باللام الجارة. وكسرت اللام الجارة للفرق بينها وبين لام الابتداء وهو قول سيبويه، وقد يقال لما كانت مختصة بالأسماء حركت بحركة تكون مختصة بالأسماء وهي الكسرة. وقد فتحت الباء مع المضمر كاللام الجارة، وكسرت اللام الجارة مع المضمر تشبيها له بالمظهر، وخفض بالباء ما بعدها ليفرقوا بين عمل الحرف وعمل الفعل، فإن الفعل يرفع الفاعل وينصب المفعول، فلم يبق للحرف من الحركات إلا الخفض. وقيل لما كان لا معنى لها في

---

1) سورة المومنون 18 ـ 20 : ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض، وإنا على ذهاب به لقادرون، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾.

2) سورة الأنفال 42.

3) سورة مريم 37.

4) في الأصل بالعجماوتين وهو خطأ في النسخ ليس غير.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

في تفسير البا من بسم الله

الرحمن الرحيم للشيخ [illegible]

الكلام فيها من وجوه ا [illegible] وما في

الثلاثة وهو من علم القراءات ب معانيها

لغة وهو من علم اللغة ج إعرابها وهو

من معنى النحو د فصاحتها وهو من علم

البديع ه بلاغة معانيها وهو من علم البيان

و اعتبار معانيها بحسب حقيقة [illegible] الأمر

وهو من علم أصول الدين ز اعتبار معانيها

بحسب وضعها للتشريع بمقتضاها وهو من علم

أصول الفقه ح وجه التشريع بمقتضاها

في الوجود وهو من علم الفقه ط كيفية

التعبد بذلك لله تعالى وهو من علم التصوف

ي وجه إعجازها ولزوم التسليم لها وهو

من الحكمة وكلامي في كل ليس على حسبه [illegible]

بل على [illegible] إذا [illegible] فوجه الثلاثة

ما هو [illegible]

[illegible] لا [illegible] قراءة وما [illegible]

الصفحة الأولى من المخطوط

الأفعال لـزمت الأسماء، فلما لـزمت الأسماء عملت إعرابا لا يكون إلا في الأسماء وهو الخفض.

رابعا ـ وجه الفصاحة :

هي في الإفصاح بها حرف مجهور شديد، ومخرجه من الشفتين، وهـو حرف تهـج من أحرف الـذلاقـة، وهي بحسب ذلك صوت، غير مشتقة، ولا متصرفة، بل جامدة. ويكون اللفظ الدال عليها من حيث هي كذلك غير معرف، بل ساكن الآخر، غير موقع موقع الأسماء من حيث هي غير جزء من الصيغة الملفوظة، بل بنفسها يكون اللفظ الدال عليها معربا موقعا موقع الأسماء، ويعرض لها التعريف والتنكير والتثنية والجمع، وكذلك سائر حروف المعجم.

وفي الباء من أساليب البديع المتشابهة كما ذكرنا في النحو من شبهها باللام الجارة، وشبه حركتها بعملها.

وفيها المناسبة. نسبة تعلقها إلى الاسم المجرور بها كنسبة الكسرة إلى الباء في اللزوم بعد الوضع، ونسبة الباء إلى حركتها بالكسر كنسبة الفعل إلى حركة حدوثه المنخفضة عن الاسم، ونسبة الباء الجارةو إلى باب العلم، كنسبة اللام الجارة إلى باب الوجود. واختصت الباء بباب العلم وهو شيء باطن، كما اختصت حركتها بالباء وهي شيء لين باطن.

وفيها المشاكلة. الباء تخرج من بين الشفتين بالتصاق فشاكلت بذلك كل ملتصق بالدلالة عليه، والمشاكلة عقلية.

وفيها النظام الطبيعي والترتيب : الباء من مبدإ الفم حسا وهي مبدأ البسملة نطقا.

وفيها الطباق. إذا اعتبرت الأفعال عن الاسم كانت متصلة، وإذا اعتبرتها دالة على الاسم كانت منفصلة.

والباء لمطلق الإضافة، فتتناول هاتين الإضافتين المتضادتين باعتبار.

وفيها الحذف لأن دلالتها إضافية، ولم يذكر المضاف بها إذ ما بقي من الكلام يدل عليه.

وفيها الإيجاز والاختصار لأنها حرف واحد دال على معان كثيرة على إجمال.

وفيها التضمين، لأنها يصدق هنا على جميع معانيها.

وفيها التتبيع، لأنها دالة على ما هي تابعة له وهو المتعلق بالاسم.

وفيها الإشارة، لأنها حرف واحد اشتمل على معان كثيرة للمحة دالة.

خامسا ـ وجه البلاغة :

الباء تحتمل النقل والتعدية، وتحتمل أن تكون حالية كما ذكر في وجه النحو، وهي هنا تعمهما فهو أبلغ من انفرادها بأحدهما. وهي أيضا تدل على إضافة الفعل إلى الاسم، وهذه الإضافة على وجهين : نسبة صدور الفعل عن الاسم الفاعل في الأكوان، ونسبة دلالة الفعل على الإسم في العرفان. فالباء لمجموعهما وهو أبلغ من احداهما. وحذف مضاف الباء في الذكر ليعم في الإجمال جميع الأفعال، فإذا أراد العبد القيام أضمر أقوم بسم الله، وإذا أراد القعود أضمر أقعد، وإذا أراد الأكل والشرب أضمر آكل وأشرب، وقيل الإضمار في هذه التفاصيل لازم أبدا، وهو أحسن من الإظهار، ويكتفى عنه بالباء.

والغرض أيضا من الإضافة التخصيص والتعريف اللازم من حيث أن اسم الله اختص بتكوين الأفعال وبجعلها دالة عليه بالباء لسامعها، لأن القرآن جيء به على الأصالة، فكل ما يحتمله اللفظ وإن كان بعيدا في التأويل هو مراد التفهيم، ويؤخذ منه بالأحسن في كل موضع من التصريف، فقد يكون في بعض المواضع، البعيد أقرب، والمؤول أصوب، والضعيف قد يعود أقوى، والغامض قد يصير أولى، فلا يطرح شيء من المعاني التي يحتملها اللفظ، ولذلك قد تؤخذ أحكام غير المنطوق من المنطوق الغامض الدلالة عليه، وهو من شريف البلاغة، وعليٌ الفصاحة.

واعلم أنه لما كان إدراكنا مستندا إلى الوجود وملتصقا به، لأن حق الإدراك لا ينفك عن حق الوجود، كانت الباء مشاكلة له، فتدل بدخولها على الكلمة على أن معناها محصل الإدراك على حق الوجود، لأنها جاءت أول تعليم الرب القرآن في بسم الله المبدوء به في البيان. وقال تعالى

في إشهادنا على أنفسنا : ﴿**ألست بربكم**﴾[5] فبالثابت المحقق قرر إبطال نفيه. فالهمزة للثابت تقرر، فهذا النفي وهم في الإدراك مقدر، وبطلانه في الوجود على التحصيل ثابت مقرر، والتصق النفي الموهوم بالثبوت المعلوم واستند إليه بالباء.

ولاستحكام باب النفي في باب الإدراك كثر استعمال الباء في النفي حتى صارت يعطف على موضعها بالقرينة في مثل قول الشاعر :

بدا لي أني لست مدرك ما مضى
ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

على رواية خفض سابق، ألا ترى كيف حقق حصوله بقوله بدا لي فكان موضع مدرك موضع الباء لزوما، فحذف الباء وهو يريدها، ودل على مراده بالمعطوف المخفوض تنبيها على أن محصل ما بدا له كان بالاستدلال.

وعلى عكس ذلك قال الشاعر :

معاوي إننا بشر فاسجح
فلسنا بالجبال ولا الحديدا

لما كان نفي كوننا جبالا معلوما بالضرورة، ونفي كوننا حديدا كذلك. لكن الجبال في الأرض غير منتقلة عنها، والحديد متكون منها منتقل عنها وهو لبوس لنا وآلة لأعمالنا نقوى به عليها. فالحديد وصف مشارك ومخالط لنا ليس هو للجبال، فتفاوت النفي، فكان أبلغ تحصيلا في الجبال، فعطف الحديد الأنقص نفيا على موضع الباء إشعارا بذلك. فكأن الشاعر قال لسنا بالجبال البعيدة من صفاتنا، ولا الحديد الأقرب منه إلينا. كأنه حين قال لسنا بالجبال، قيل له إن لم تكونوا جبالا تكونوا حديدا لاستعانتكم به في لبوسكم وآلاتكم، فيجوز في العقل أن تكون الأبدان منه فقال ولا الحديدا.

وكذلك قولهم ما زيد بجبان ولا بخيلا بالخفض وبالنصب، فوجه النصب انحطاطه عن رتبة الأول في التصديق لأن كل من يجود بنفسه يجود بماله ولا ينعكس، فنفي الجبن أبلغ في المدح من نفي البخل، وما من شيء إلا وهم يحاولون به وجها، ومن لم يمعن النظر في المعاني يظن بالباء في بعض المواضع أنها زائدة لغير معنى وهي لا تزاد إلا لمعنى، إذ لا تصح زيادة الحرف وهو يعمل عمله كما جاء في قول الله تعالى : ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾[6] معناه الإلقاء الاختياري المحصل لنا العلم بالتهلكة فيه، فتندرج أسبابها في النهي والله أعلم.

وكما تدل على الإلصاق في الآلات ونحوها، تدل على إلصاق معنيين في لفظ واحد كما جاء في قوله تعالى : ﴿**وكفى بالله وكيلا**﴾.

إذا كفى الله لزم الاكتفاء به، فصار المعنى كفى بالله فاكتفوا بالله. الباء تطلب متعلقا يناسبها وهو فعل الأمر، وكفى يطلب فاعلا، ونسبة كفى إلى فاعله كنسبة اكتفوا إلى بالله، حذف الوسطان وذكر الطرفان لدلالتهما على المحذوف، فهو عندي من أسلوب الحذف في المتناسبة للإيجاز والاختصار. كذلك قوله تعالى : ﴿**آمنوا بالله**﴾، معناه آمنوا الله وأقروا بالله، فإن آمن يتعدى بنفسه فهو يطلب منصوبا، والمجرور يطلب حرف الجر منه متعلقا يناسبه. فهو من المتناسب : حذف الوسطان، واكتفي بالطرفين للإيجاز والاختصار، فالتصق معنى أقروا بمعنى صدقوا في معنى آمنوا فصار فعل آمنوا مركبا، ولذلك أجمع العلماء على أن من آمن بقلبه، ولم يقر بلسانه أنه كافر، لأن الإيمان يلزمه الإقرار، وهو ملتصق به مضمن فيه بالباء.

وقوله تعالى : ﴿**جزاء سيئة بمثلها**﴾[7] هذا من باب الإدراك والتحصيل، لأنه التصق الجزاء بصفة المثل المستلزمة للموصوف، ولم يظهر الموصوف لأنه إنما يظهر في الآخرة هنالك، إنما سوء المثل المذكور يدلك عليه

---

5) الأعراف 172 والمراد قوله تعالى : ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم. قالوا بلى شهدنا﴾.

6) البقرة 196.

7) سورة يونس 27.

قوله تعالى: ﴿وترهقهم ذلة﴾ إلى تمام الآية[8] وقد قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾[9] هذا من باب الوجود، لأنه ذكر الموصوف والصفة معا، وفيه ظهر الجزاء سيئة، يدلك عليه قوله تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾[10] فهذا تعريف حكم في الدنيا، وذلك حوالة على محصل بدلالة.

وقوله تعالى: ﴿تنبت بالدهن﴾[11] لزم منه أن الدهن لمتصق مختلط بنباتها:

وجاء في الشعر:

فكفى بنا فضلا على من غيـــره

حب النبيّ محمد إيانــــا

أدخل فيه الباء على المفعول وهو شاذ، إنما تدخل على الفاعل. ومعنى البيت عندي كفانا فاكتفوا بنا في فضلنا لذلك الحب، فهو على نحو ما تقدم من أسلوب الحذف في المتناسبة.

وقد تكون الباء دخلت على الفاعل المضمر ويكون حكم النبيء بدلا منه على الموضع بدل اشتمال كما قال بعض الأدباء:

إذا لاقيت قومي فأسألهــــم

كفى قوما بصاحبهم خبيـــرا

قيل إنه من المقلوب، ومعناه كفى بقوم صاحبهم خبيرا، وليس كذلك بل هو عندي من أسلوب الحذف في المتناسبة، إذ لو قال الشاعر كفى بالقوم صاحبهم لم ينكسر الوزن وزال القلب فليس ثم ضرورة دعته إلى القلب، وإنما معناه كفى القوم صاحبهم خبيرا عن سائلهم فاكتفوا بصاحبهم لأنه لما كفى لزم الاكتفاء به، فليس معناه اكتف بالقوم عن صاحبهم الذي هو معنى قول من قال بالقلب.

كذلك جاءت الباء مع المبتدإ في حرف واحد في قولهم بحسبك درهم لأن في معنى حسب الاكتفاء، فهو مبتدأ تضمن أمرا بالاكتفاء، كأنه قال ليكفك درهم فضمنت الباء بدلالتها على اللزوم معنى الابتداء ومعنى الأمر وألصقتهما معا فنابت مناب لام الأمر بالكفاية للزومه معنى حسبك.

وقولهم عرفته بزيد معناه جعلته يعرف بهذا الاسم: ألصقته به في التعريف، وعرفته زيدا معناه أعلمته إياه.

وقولهم أمرتك بالخير معناه ألصقت أمري بما هو معروف محصل أنه الخير، وأمرتك الخير معناه التعريف فإن المأمور به خير، وقولهم خشنت بصدره أي في صدره فألصقها وضمّها صدره. وعلى هذا تكون زيادتها أبدا لزيادة معنى والله أعلم.

وإذا قلت مررت بزيد وبعمرو فقد أضفت المرور إضافتين إلى زيد وإلى عمرو، ويدل ذلك على اختلافها في إضافة المرور إليهما وأنهما لم يجتمعا في الإضافة في إخبارك عنهما بذلك، وإن قلت مررت بزيد وعمرو فهي إضافة واحدة إليهما وجمعتهما في إخبارك عنهما بتلك الإضافة كما فرقتهما في إخبارك عنهما في الأول.

وقد يكون الجمع في الإخبار إخبارا عن الجمع في الوجود، وقد لا يكون، وكذلك التفريق.

وفي غريب مواضع الباء ما قال الشاعر:

فأصبحن لا يسألنه عن بما بــــه

أصعد في علق الهوى أم تصوبــــا

قال ابن جني زاد الباء وفصل بما بين عن وما جرته. وليس كما قال. بل في المعنى تركيب، والباء للتعليل، فالمعنى لا يسألنه عن تغير حاله بسبب الهوى الذي به فإن ما به من الهوى علة تغير حاله ضرورة، فألصق مجرور عن بما به من الهوى بالباء، وحذف مجرور عن لدلالة صعد أم صوب عليه اللازم له. ففي الباء دلالة على لزوم تغير حاله

---

8) يقول تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

9) الشورى 40.

10) نفس الآية يقول الله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، إنه لا يحب الظالمين﴾.

11) المومنون 20.

لأجل هواهن وذلك يوجب لهن السؤال، فتركهن السؤال اللازم يدل على أنهن لا يعبأن بحاله اللازمة له من هواهن، مع علمهن بذلك، فلو زالت الباء لزال هذا المعنى، وهو من غرض الشاعر فلزمت الباء لذلك.

وقال شاعر آخر من بيت له يذكر سحابا :

شربن بماء البحر ثم ترفعت.

قال بعضهم الباء بمعنى من. وجعلها ابن جني زائدة، وقال إن العدول عنها تعسف، والذي عندي فيه، أن الشاعر ألصق موضع شربهن بماء البحر، فالباء حالية، كأنه قال شربن ملتصقات بماء البحر، وشربهن في تلك الحالة لازم، فزاد الباء لذلك المعنى. ويحتمل أيضا الباء الظرف، أي شربن في ماء البحر، وتحتمل الباء أيضا التبعيض على قول من يثبته، وهو معنى من الذي حكاه ابن جني عن بعضهم لأنه لو زالت الباء لاحتمل شربه جميعا، فثبتت الباء لذلك.

سادسا ـ وجه أصول الدين :

الكسرة للباء عرض لازم في الوجود في هذا الموضع، والباء أيضا عرض لأنها من الكم المنفصل وهو عرض، فكيف عرض العرض للعرض وهو قيام معنى بمعنى وذلك محال ؟

وجوابه أن الباء هي عرض من حيث هي صوت، والكسرة عرض من حيث هي ترقيق الصوت، والغرضان معا يحملهما جسم الهواء المندفع من الصدر بالحجاب، فقاما معا به، فلم يقم أحد العرضين بالآخر.

الباء يؤخذ من إشارتها الاستدلال باللزوم على مقتضى الاسم في الوجود.

الباء تدل على الإضافة وهي متأخرة عن المضاف وقد تقدمت هنا، ووجه ذلك أن المتأخر وجودا متقدم في الاستدلال لضرورة اللزوم.

الإلصاق عين الملتصقين فلا ينقسم في نفسه لأنه عرض، وإنما ينقسم باعتبار التوجهات.

الباء تدل على لزوم صدور الفعل عن فاعله، وعلى لزوم دلالته على فاعله، وعلى أن فاعله بالصفات التي تأتي بها صدور الفعل عنه. وصدوره ودلالته نسبتان لازمتان لذات الفعل، يزول بزوالهما وتزولان بزواله، ونسبة الصدور ممكنة، ونسبة الدلالة ضرورية، والأحكام العقلية والنسب الوجودية والدلالية هي لازمة الفعل وراجعة إليه، يدل عليه تعلق الباء به، والفاعل غني عن ذلك بذاته وصفاته لأنه ليس هو هو من أجل فعله، ولا من أجل الدلالة عليه، بل هو هو لحقه في ذاته.

متعلق الباء معدوم لذاته، موجود بانتسابه، ولولا نسبته لفاعله ما وجد، فالباء تشير إلى عدم كل ما سوى الله تعالى، وحدوثه بعد أن لم يكن، ففيها دلالة على حدوث العالم، وأن لوجوده مفتتحا، وأن وجوده كعدمه في عدم التأثير.

وفيها دلالة على قدم الله وثبوت أزليته.

ففي الباء المعارف العقلية كلها لائحة بلمحة واضحة، فيفهم منها وحدة كلام الله المفهم الكثير متفقات ومختلفات، وأن الله متكلم، لأنه يفهم ويعلم، وأنه قدير، لأنه يوجد المتعلق باسمه، وأنه عالم، لأنه اخترع ذلك كله من عنده، وأنه يعلم معلوماته بعلمه لأنها عنه كانت، ولم يكن هو عنها، ولا هي عنها، فهي من لا هي عن هو، قل هو الله أحد، وكل ما سواه باطل، لا ذات لما سواه، ولا صفة إلا خلقها من خلقه، وأنه سميع بصير، لأنه يخلق الأصوات ومعانيها في الخلق، وهو الذي يجلي ما يشاء ويكشفه للإدراك، فكله منكشف له بعلمه، وأنه مريد لأنه رجح وجود الموجودات المتعلقة باسمه، على عدمها المتعلق بها، ورجح عدم المعدومات المتعلق بها على وجودها المتعلق باسمه، وكله بمشيئته وعلمه، فهو حي قيوم.

والباء تنبه على احاطة الالهية، وسعة الرحمانية، وولاية الرحيمية، ففيها إفهام المبادئ والغايات والمراقي في مزيد الرحمات.

سابعا ـ وجه أصول الفقه :

الباء جامعة لمعاني الإضافة إلى الاسم، وإظهارها مع عدم متعلقها يدل على ظهور إضافة الفعل إلى الاسم قبل ظهور العمل، فيلزم منه تقديم الذكر في الأعمال، إنما

في اما توصيته للتوحيد. وفي التوبة للتعبير. ومن

ويحانه يقوى الارواح والجسوم. ويعين اما كيفان

في العلوم ومن تدبره تبصر ومن عقله تزكى ومن

سلك نجا. ومن لم يسلك وقف. والواقف اما مرمى

في عذره سالم. واما كان في عذره هالك. اللهم

اجعلنا به من الفائزين واعطنا برحمتك من عبادك

الصالحين. امين

تم بحمد الله سبحانه وحسن عونه

تسعة عشر ... من شهر شعبان ...

وبعجالة وصلى الله على سيدنا محمد و ...

من المنقول من خط المؤلف نفعه الله ونفع

أحمد الله. فضل اول الكلمات التي تلقى ادم من ربه هي

اللهم انني اسئلك بأن لك ... بحمد وانت المحمود في

وبعد ... وانت فاطر السموات والارض وبعلي وانت

العلي الاعلى وبحسن وانت المحسن وبحسين وعنك

الاحسان ان تغفر لي ذنبي وصلى الله على سيدنا محمد والسلام

الصفحة الأخيرة من المخطوط .....

الأعمال بالنيات، والتزامه واجب، وبه يصح العمل، وإليه مستند الأفعال كلها، وبه تؤكد في الوجود، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.

ولما جاءت في أول الكتاب للتفهيم، وزوال الجهالة بالتعليم، وجب التفهم والتعلم، ولزم المعلق بباسم الله في جميع الأمور، وهو معنى التزام التشرع في كل شيء، وطلب العلم فريضة، فلا يقدم على شيء ولا يحجم عن شيء إلا بمقتضى اسم الله، وعلى قدر الاستطاعة.

كل ذلك تشير إليه الباء، فيندرج تحتها جميع المعارف الشرعية لأنها بسم الله نزلت، وبأمره شرعت ولزمت.

والباء حقيقة في جميع معانيها، على أنها مشتركة، أو على أنها متواطئة، أو حقيقة في البعض، فإن اعتبر الضم الإضافي فيها كانت متواطئة، وإن اعتبر الإلصاق في الحسيات والإضافة في المعاني كانت مشتركة، وإن اعتبر الإلصاق في الكل كانت حقيقة في الحسيات، مجازا في المعاني.

والمشترك وضعا قد يكون معه وصف مشترك لمعانيه، فيصير باعتباره متواطئا إن كان على السوية في محل أفراده، أو مشككا إن كان لا على السوية فيها.

والمتواطئ وضعا قد تكون أفراده متباينة الصفات، فيصير بها اللفظ مشتركا إن كانت الصفات وجودية، أو كالمشترك إن كانت حالية، وبالجملة فقد تختلف المتفقة الذوات في وصف، وقد تتفق المختلفة الذوات في وصف. والوصف إما من باب الوجود، وإما من باب الإدراك، ولذلك اختلف الفقهاء هل الاختلاف في الصفات كالاختلاف بالذوات أم لا ؟

ثامنا ـ وجه الفقه :

الباء تشير بما فيها من المناسبة إلى جواز القياس، وبلزومها إلى جواز الاستدلال، وبتعلقها بالمسكوت إلى جواز رد الممكن إلى حكم المنطوق ومقتضاه.

والإشارات من الأعجم كالعبارات من الألسن، وما عليه رائحة من الوحي أولا كما لا رائحة عليه منه في الاستعمال، فبذلك يصح الاتباع والتبري من الابتداع. وكل هذا تصريف على لازم ذلك التأصيل، فلا علم ولا عمل إلا وهو داخل تحت الباء مجملا، ويفصل الله منه ما يشاء لمن يشاء.

والذي يتعلق بها في نفسها من الأحكام، أنه لا تجوز التلاوة بغيرها من الحروف، ولا تحريفها عن وجه مشهور تلاوتها، ولا إسقاطها عملا بالاستصحاب : لازما ثبت، لا يرتفع إلا بدليل، فلا يجوز تغييرها.

تاسعا ـ وجه التصوف :

روي عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قعد بين يدي مؤدب فقال له المؤدب قل : بسم الله الرحمن الرحيم، فقال عيسى ما بسم الله ؟ فقال المؤدب لا أدري. فقال عيسى الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم ملكه، وكذلك ورد عن جعفر الصادق في معنى بسم الله، وكذلك قال الحسن إلا أنه قال والميم مجده.

وروى مثله أيضا عن جعفر.

وروي عن جعفر أيضا أنه قال : «بسم» ثلاثة أحرف، فالباء باب النبوة، والسين سر النبوة الذي يفهمه عن النبي خواص أمته، والميم مملكته التي تعم الأبيض والأسود، فهذا تفسير لأرباب القلوب، المتطلعين في الوحي للغيوب.

وبالباء، تعلق الألباء، لوصل الأحباء، لأن الباء من بسم الله في باب إدراكنا بمنزلة الكاف من الأمر بالكون، وذلك لأن الأشياء تتحقق باسم الله في الإدراك، كما تتحقق بكن في الوجود، فببسم الله يترقى الإدراك إلى الإسلام والإيمان والإحسان، كما تتنزل بأمره الأكوان إلى الأعيان والعرفان.

والباء وصلة النوعين، ومفتاح البابين، ولها حيطة الإضافات، ووجوه الملازمات، ووجه الفعل منها هالك، ووجه الاسم منها باق، ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون**﴾. وأنت بإدراكك كالباء بكثرتها،

ففيك الدلالة على عبوديتك للربوبية المصاحبة لك، المستند أنت لها، فاقطع عنك سواه، وإن كنت تقتضي متعلقها بظاهرك كما قطع عن الباء غير اسمه فلم يقدم عليها شيئا، ولم يصلها بغير اسمه، فما أسعد من صحت له نسبة الباء إليه، فأكل مما ذكر اسم الله عليه، وسمى الله في ابتدائه بحمده، وتعلق به في فتح معاني كتابه الذي هو مجمل بين الباء والسين والحمد لله رب العالمين.

عاشرا ـ وجه إعجازها وحكمتها :

إن الباء مشاكلة بصورتها الوجودية للإلصاق، وبابتداء محلها من جهة الحس للبدايات الإدراكية، ولكسرتها على انكسار الأثر، وانتظام ذلك كله ليس هو من عمل الإنسان، إنما هو لله تعالى. هو الذي نزل التفهيم للتفهم بعد الخلق، ووصل بينهما بالربط، وأخر ذلك كله وجودا، وحلاه في ذات الإنسان إدراكا حتى فهمه فحكاه تلاوة.

والباء معجزة بحقيقة لفظها وبحقيقة معناها، وهي أيضا على مجرى الإفادة بحسب حكايتها بعد تعلمها، وإنما جيء بها من وجهها الذي جيء بها منه، قال تعالى : ﴿**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**﴾[12].

ولا يكون غير الباء من الحروف يؤدي معناها، ولا نظير لها في غير العربية لأنه يغير مخرجها، ولا يشاكل بالعقل النظام الطبيعي الذي لها، وتغير الألفاظ الكاملة يحيلها إلى نقص المعنى، بخلاف تغير الألفاظ القاصرة إلى الكاملة. وإذا لم يصح ذلك في الحرف، لم يصح في الكلمة المركبة منه، ولا في المركب من الكلمات المركبة من المركبة منه، فلذلك أعجز نظم القرآن كما أعجز معناه.

وللقرآن أسلوب انفرد به، وهو تنزل الخطاب بحسب الحق من نفس الأمر لحق الوجود لحق الإدراك ويرقي العقول من الإدراك والفهوم المعهودة إلى حق الوجود بحسب نفس الأمر. وكله بأحسن البيان فيه. قال تعالى :[13] ﴿**ولا ياتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**﴾.

وهذا الأسلوب لا ينكرونه ولا يستطيعونه، فإن البلغاء من الخلق إذا اجتهدوا في بلاغتهم في أرفع رتبة فصاحتهم فإنما ياتون بما ياتون على قدر فهمهم ومبلغ علمهم، لا على حقيقة نفس الأمر، قال تعالى : ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم، وأنتم لا تعلمون**﴾[14] فبيان الخلق حكاية لا محكي، والحق في المحكي لا في الحكاية، والقرآن جاء لبيان حق الأشياء من الوجه الذي عجزنا عنه، فأفصح بما لا نعجز عنه على وجه في نظم ما لا نعجز عنه : نعجز عنه بحسب أسلوب تنزله إلى الفهوم، وترقيه بالعقول في درجات التحقيق على أوسع مسلك وأوضح طريق، ويرشد الألباب، إلى الإصابة في تدبر الكتاب، وإذا فهمناه حكيناه، ولم يكن قبل ذلك انتحلناه، فالمحق يحبه ويرده، والمبطل ينشؤه ويرده، وهو يشهد على المبطل بالضلال، وللمحق بالهدى والكمال : ﴿**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾[15] أجمع في القضية بين حرفي التوكيد، فظهر لك كظهورهما الرأي الرشيد. برهانه يلزم الفريقين، وبيانه يوضح الطريقين، وغرضه التصريف الحق، على التفصيل الحق، على التأصيل الحق، بحسب نفس الأمر. وهو غرض لا تعانده الطباع، ولا تمجه الأسماع، ونوره يهدي في الألوهية للتوحيد، وفي الربوبية للتفريد، ومزيد ريحانه يقوي الأرواح والجسوم، ويفيد الاطمئنان والعلوم، ومن تدبره تبصر، ومن عقله تذكر، ومن سلك عرف، ومن لم يسلك وقف، والواقف إما مومن في عهدة سالم، وإما كافر في عهدة ظالم. اللهم اجعلنا من الفائزين وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين[16].

تم الكتاب[17].

---

12) الأعراف 52.

13) الفرقان 33.

14) النحل 74.

15) سورة سبا 24.

16) جاء في آخر المخطوطة الموجودة بالقرويين ما يأتي :
نجز بتوفيق الله سبحانه وإحسان عونه لستة عشر مضت من صفر عام ستة وأربعين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد ونسخ من المنسوخ من خط المؤلف نفعه الله ونفع.

17) يوجد الكتاب ضمن مجموع بخزانة القرويين يحمل الرقم 1367 وقد أشرنا إليه أثناء الحديث عن تفسير الإسم من بسم الله الرحمن الرحيم لابن البناء أيضا المنشور بمجلة دعوة الحق العدد 262.

من عطاءات جلالة الملك الحسن الثاني

مؤتمرات القمة الإسلامية (*)

تعريب: الأستاذ م. بنحمان الداودي

نشرت مجله «ذي ميدل إيست» الشهرية الصادرة في لندن بالأنجليزية بحثا حول مؤتمرات القمة الإسلامية التي أسسها بتوفيق إلاهي جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وغرس بذرتها الطيبة في عاصمة المملكة - الرباط - سنة 1969م لتصبح الدول الإسلامية في ظرف وجيز ولأول مرة بعد مضي قرون طويلة من التواري والانكماش، متعارفة، متعاطفة، مجتمعة وقادرة على التشاور والتداول.

ونظرا لكون عمل جلاله الملك نصره الله اكتسى أهمية خاصة عربت أهم وأغلب فقرات هذا البحث النير بمناسبة حلول عيد الشباب السعيد احتفاء به وتقديراً وإكباراً لمنشئ المؤتمر الإسلامي وفاتح باب مسيرته التضامنية وتعميما للفائدة التي أرجو أن تكون جادة في نفعها وهادفة في تحقيق مرادها.

«انعقاد القمة الخامسة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في نهاية يناير (بالكويت)[1] جاء بالخصوص في ظرف حرج من تاريخ الأمم الإسلامية... أما المؤتمر الإسلامي نفسه فقد أنشئ مما ارتئي (يومئذ) كهجوم مباشر على حبل وريد الهوية الإسلامية إن لم يكن على قلبها - المسجد الأقصى (المبارك) بالقدس (الشريف) منذ 17 سنة خلت.

وجريمة الإحراق العمد التي نفذها غلاة صهيونيون والتي جاءت إثر استيلاء إسرائيل بدون حياء على القدس (الشريف) اعتبرت أكثر من مجرد واقعة سياسية. تلكم الفعلة أكثر من غيرها بدت وكأنها تضرب في أعمق أعماق كل من هو مسلم في العالم، فاتحدت بسبب ذلك الأمة الإسلامية، وربما لأول مرة، بعد قرون عديدة، فقد قامت مظاهرات ضد إسرائيل، وارتجت دول من طانزانيا في إفريقيا، إلى جاكارطا في أندونيسيا، ولأول مرة أصبح تحرير الأراضي الإسلامية المقدسة وتحرير فلسطين، كامتداد لذلك، مهمة إسلامية حقيقية وليست عربية (فقط).

(*) أنجز الدراسة الكاتب الأستاذ أنفر قريشي الذي تبدو مقالاته المتعلقة بالقضايا الإسلامية متسمة بالموضوعية والجدية وذلك إثر انعقاد القمة الإسلامية الخامسة في بداية السنة الجارية.

1) كل ما هو بين قوسين من إضافتي.

كان الاحتلال المستمر للقدس من طرف إسرائيل ولا يزال يرى على أنه تهديد للنظام العالمي كما أقره أهل الكتاب. فالقدس (الشريف) كان قبل كل شيء منبع ديانات العالم الثالث : الإسلام والمسيحية واليهودية، وظلت قدسيتها على عهد الحكم الإسلامي لعدة قرون محفوظة ومصونة.

والقدس (الشريف) مثل مكة (المكرمة) ظل دائما فوق السياسة والصراعات المحلية على السلطة، فهو يمثل جلالا وكرامة فوق طاقة الإنسان، ورغم أن احتلال إسرائيل للقدس (الشريف) رفضته من الأعماق الدول الإسلامية، إلا أنه كان إلى حد بعيد يعتبر في الباطن مشكلا عربيا، وعلى أي حال فإن إحراق (المسجد) أكد أسوأ مخاوف المسلمين. وبذلك أطلقت إسرائيل، عن غير إدراك، للضمير الإسلامي قوته تلك التي عمت العالم قبل ألف سنة، وقد أنشئت منظمة المؤتمر الإسلامي لتبلور بمعنى من المعاني هذه القسوة. وارتكازها القاعدي يقوم على الاعتقاد بأن الاختلافات الوطنية والسياسية والاقتصادية وحتى الثقافية يمكن أن تفرق العالم الإسلامي إلا أن هناك أرضية راسخة للتضامن تظل قائمة يمكن للدول والشعوب الإسلامية أن تجعل منها قضية مشتركة.

ولما انعقدت القمة الإسلامية الأولى بالرباط برئاسة ورعاية جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في سنة 1969م كان جدول الأعمال مبسطا جدا : إحراق المسجد الأقصى، وضعية القدس (الشريف)، انسحاب الجنود الإسرائيليين من الأراضي العربية، استرجاع حقوق الشعب الفلسطيني لوطنه والتعاون بين البلدان الإسلامية.

والبلدان الحاضرة في القمة الأولى بالإضافة إلى كل الدول العربية تقريبا شملت أفغانستان وغينيا وباكستان ومالي وإيران وتركيا، وقد كان من بين القرارات المصادق عليها نداء موجه إلى كل البلدان الإسلامية لقطع علاقاتها مع إسرائيل، وربما أخطأت بعض الدول الإسلامية قراءة قوة التضامن الإسلامي، فرفضت الانصياع وكانت من بينها إيران على عهد الشاه الذي علم فيما بعد درجة خطئه حينما قامت ضد كل المراهنات ثورة أودت بأعتى قوة عسكرية في الشرق الأوسط.

أما مؤتمرات القمة التي انعقدت فيما مضى في باكستان (1974) والعربية السعودية (1981) وفي المغرب مرة أخرى في 1984 فكانت تليها اجتماعات قمة يشترك وزراء خارجية الأمم الإسلامية، وجدول أعمال أغلبها لم يكد يطرؤ عليه أي تغيير، فالقضية الفلسطينية ووضع القدس وموقف الدول الإسلامية في العالم الجيوسياسي كانت هي القضايا الإنسانية في الحوار، ولم يكن في الأمر غرابة أن تكون هذه كلها المجالات الرئيسية للصراع السياسي في زمننا هذا مع التسليم بتسابق الدول العظمى.

وكيفما كان، فلا مؤتمرات القمة الإسلامية ولا اجتماعات وزراء الخارجية ادعت أن تكون أكثر من منابر للنقاش، لأن سياسيات العصر أرهف وأدق من أن تخضع لقرارات العمل التبسيطي التوجيهي، ومنظمة المؤتمر أسست لتقوية واستمرار التضامن في عالم صار معاديا بإطراد لكل ما هو إسلامي.

ولهذا فلا يمكنها عمل هذا إلا بالاندراج الحذر في مسار عبر حقل ألغام من المصالح المستثمرة (Vested tuterests) والمواقف السياسية المتجذرة (Entrenched Blitical Positions).

غالبا ما انتقدت القمات (الإسلامية) بأنها ليست «سوى منابر خطابية» (Hiere Talking Chops) قليلة أو قديمة الجدوى الناتجة منها، لكن قمات منظمة المؤتمر الإسلامي لم تكن قط معدة لحل مشاكل المسلمين أنفسهم ولا المشاكل الموجهة إسلاميا لأن منظمة المؤتمر الإسلامي بشكله الصرف والسهل يعني حماية وإظهار القيم الإسلامية، وهذه في أغلب ركائزها تقوم من أجل العدل والإنسانية والمساواة، والإسلام، بطبيعته، لا يمكن أن يسمح بالعنصرية ولا بالاستغلال والقهر، وهذه القيم القاعدية تتبناها بالطبع كل ديانات العالم الكبرى، إنما الفرق الشاسع هو أن الإسلام لا يجعل هذا فاصلاً بين ما هو لقيصر وما هو لله. فهو يدعو إلى أن الكل لله، ومجتمع غير عادل لا يرضى عنه الله، ـ وتبعا لذلك فإن مجتمعا

غير عادل هو مجتمع غير إسلامي. والإسلام بهذا المعنى لا يدعو إلى «الإسلام الديانة» وإنما يدعو إلى «الإسلام الرؤية».

لهذا السبب تردد منظمة المؤتمر الإسلامي بأن التضامن الإسلامي هو إنساني بدلا من التصور الإسلامي الصرف.

وعلى مدى خمس قمم (إسلامية) اعترفت منظمة المؤتمر الإسلامي بأن صورة الإسلام معروفة معرفة غير جديرة به وبالأخص في الغرب، فاختلاط الجهل مع استعمال ماهر لوسائل الإعلام أعطاه صبغة (دين) متزمت ومتعصب وغير متسامح. والغرب غالبا ما كان يبرز قيمه الخاصة به حول الإسلام وينظر إليه بنظارة سوداء.

هذه الصورة عن العالم الإسلامي كانت ولا تزال تردد لا في الغرب وحده، وإنما أيضاً في تلكم المراكز الإسلامية التي كانت محتلة أثناء الفترة الاستعمارية.

استعمار البلدان الإسلامية حتم تنقيصا متعمدا للقيم الإسلامية وتمجيداً للقيم الغربية، فالتحديث ربط بالغرب، والبلاء والرجعية ربطت لتلك الغاية بالإسلام، والواقع أن هذا الأمر أبعد ما يكون عن الحقيقة، فالإسلام هو أكثر ديانات العالم جدة. فقد قاد في العلوم والطب والمعرفة والفنون والفلسفة والحكم قبل أن يضعف الصراع الداخلي والتمزق الأمبراطورية الإسلامية، ويؤدي بها إلى الاستعباد من طرف مجتمعات أقل تألقاً (صوفيستيكية) (Sofisticated) وإنما أحسن سلاحاً.

قمات منظمة المؤتمر الإسلامي هي في الواقع محاولة لاستحضار جديد لتلك الروح الإسلامية التي تفرقت في كل أركان العالم إثر انهيار الأمبراطورية الإسلامية، فهي ليست معسكرا سلطيا سياسيا وليست منبرا مؤتمريا لحل مشاكل العالم،إنما هي تعمل فقط لتذكير كل المسلمين في العالم بتركتهم الخصبة.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

وإذا كان سلفنا الصالح قد قاموا بالدور الحضاري الذي ألقاه الإسلام على عواتقهم أحسن قيام، حسبما أدركوه وتصوروه، وعلى النحو الرائع الذي أبدعوه وابتكروه، فإن ذلك يدفعنا إلى مواصلة نفس الدور، لكن على نحو جديد ونمط فريد، يتناسب مع معطيات هذا العصر.

حوار مع شباب الصحوة

للأستاذ المهدي السيني

«الوسطية» خصوصية الأمة الإسلامية بالنسبة إلى أمم التوحيد قبل الرسالة الخاتم، ولا تتاح فرصة إلا ويؤكد عليها أمير المومنين، مذكراً الشباب حذر الإفراط والتفريط.

ومن هذه الوسطية تنطلق هذه المقالة، توعية وترشيداً، مناصحة وتسديداً.

التزكية تعني تطهير النفس مما هي معرضة له من الخطأ، لتكون في مستوى خطاب التكليف، ومنه قوله تعالى : ﴿**قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾.[1]

وتنسب التزكية تارة إلى العبد لكونه مكتسبا لذلك كما في الآية السابقة، وكما في قوله تعالى : ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**»،[2] من العبادات والقربات والكف عن المحرمات.

وتارة تنسب للحق المتعال لكونه سبحانه فاعلا لذلك في حقيقة الأمر، ومنه قوله تعالى : ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً، ولكن الله يزكي من يشاء**﴾.[3]

وتارة تنسب التزكية للنبي ﷺ، كما في قوله تعالى : ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة...**﴾.[4] وقوله تعالى : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...**﴾.[5]

وتزكية المسلم نفسه بفطامها عما لايجوز وكفها عن المحظورات، هو جهاد ومجاهدة للنفس الأمارة، عسى أن تتدرج إلى مقام اللوامة، ثم إلى مقام المطمئنة.

وبالمقابل هناك التزكية المتباهى بها أو ادعاء التزكية، وقد حذرنا الحق سبحانه منها فقال : ﴿**فلا تزكوا أنفسكم، هو أعلم بمن اتقى**﴾،[6] ثم ضرب لنا المثل

1) سورة الضحى : آية : 9.
2) سورة النور : آية : 4.
3) سورة النور : آية : 21.
4) سورة البقرة : آية : 151.
5) سورة التوبة : آية : 103.
6) سورة النجم : آية : 32.

بالمغرورين من أهل الكتاب قبلنا فقال : ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم، بل الله يزكي من يشاء، ولا يظلمون فتيلا﴾.[7] قال الحسن وقتادة : نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا : ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾؛[8] وفي قولهم : ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾.[9]

وفي هذا عبرة لبعض فئات شباب الصحوة الإسلامية الذين ركبهم الغرور فصاروا يظنون بعباد الله الظنون، ويحسبون أنهم الفرقة الناجية وغيرهم ضال أو مضل؛ وهو موقف نربأ بهم عنه، وندعو الله تعالى أن يعصمنا وإياهم من تلبيس إبليس.

وموقفهم ذلك هو لامحالة وليد تراكمات اجتماعية : ذاتية وموضوعية، فمن ذلك أن المظهر العام لبعض المجتمعات الإسلامية، من حيث السمت والسلوك، والعلاقات والمعاملات، هو مظهر يخالف مواصفات المجتمع الذي ينتسب أفراده إلى الإسلام، عدا أصوات التكبير والتهليل المنبعثة من المآذن في أوقات الصلاة؛ وإلى الله المشتكى، وهو سبحانه المرتجى لإصلاح أحوال عبيده.

ولقد كان لذلك تأثيره على أولئك الشباب المعرضين عن كل المظاهر الوافدة التي لاتتفق وجوهر الإسلام : عقيدة وشريعة وسلوكاً ومعاملات؛ لكن مأساة أولئك الشباب أن بضاعتهم من فقه الإسلام ضئيلة، بالإضافة إلى عدم توفرهم على أدوات التعلم كعلوم اللغة العربية وقواعد الأصول، للتمييز بين الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، مما ينتج عنه أخذهم ببعض النصوص دون البعض، أو أخذهم بالمتشابهات غافلين عن المحكمات، أو تمسكهم بالجزئيات تاركين الكليات.

إن تلك المواقف الشاذة هي وليدة الفراغ العلمي المعمق، وهي مواقف تتأذى منها الدعوة، إذ يستغلها خصوم المسلمين بالتشويه متندرين تارة، ومحرضين تارة، ومتوعدين طوراً...

«إن الإخلاص للإسلام وحده لا يكفي ما لم يسنده فقه عميق لشريعة الله وأحكامه، وإلا وقع أصحابه فيما وقع فيه «الخوارج»: من قبل الذين صحت الأحاديث في ذمهم من عشرة أوجه، كما قال الإمام أحمد، مع شدة حرصهم على التعبد والتنسك..» ![10]

فقد أخرج الإمام مسلم بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : يخرج من هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية...»[11]

إن بعض فئات شباب الصحوة الإسلامية انتهجوا نهج الخوارج الذين يكفرون المسلمين باقتراف الكبائر، وقد حاجهم الإمام البخاري في كتاب الإيمان من جامعه الصحيح حين ترجم : «باب كفران العشير، وكفر دون كفر». وبعده : «باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك».

قال القاضي أبو بكر ابن العربي في شرحه : مراد المصنف أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيماناً، كذلك المعاصي تسمى كفراً، لكن حيث يطلق عليها الكفر، لا يراد الكفر المخرج من الملة.

وقال ابن بطال : غرض البخاري الرد على من يكفر بالذنوب كالخوارج ويقول إن من مات على ذلك يخلد في النار، والآية ترد عليهم...

وقال ابن حجر : ومحصل الترجمة أنه لما قدم أن المعاصي يطلق عليها الكفر مجازاً على إرادة كفر النعمة لا كفر الجحود، أراد أن يبين أنه كفر لايخرج عن الملة، خلافاً للخوارج الذين يكفرون بالذنوب، ونص القرآن يرد عليهم

---

7) سورة النساء : آية : 49، وانظر تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي.
8) سورة المائدة : آية 18.
9) سورة البقرة : آية : 111.
10) مجموع فتاوي ابن تيمية ج 7، ص 302 ـ 310، ط. الرباط. 1401 هـ / ظاهرة الغلو : يوسف القرضاوي ص 17.
11) صحيح الإمام مسلم : كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج. وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب التوحيد باب قول الله : إليه تعرج الملائكة والروح.
12) فتح الباري : كتاب الإيمان ج 1، ص 83 ـ 85، ط. دار الفكر 1379 بإشراف الشيخ ابن باز، ومحب الدين الخطيب.

وهو قوله : ﴿ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾ فصير ما دون الشرك تحت إمكان المغفرة...[12]

«إن الإيمان قد يجامع شعبة أو أكثر للكفر أو الجاهلية أو النفاق، وهذه الحقيقة قد خفيت على كثيرين من القديم والحديث، فحسبوا أن المرء إما أن يكون مؤمنا خالصا أو كافرا خالصا، ولا واسطة بينهما، وقريب منه من يقول : إما مسلم محض أو جاهلي محض، ولا ثالث لهذين الصنفين.

وهذه طريقة كثير من الناس، حيث يركزون النظر على الأطراف المتقابلة دون الالتفات إلى الأوساط، فالشيء عندهم إما أبيض فقط أو أسود فقط، ناسين أن هناك من الألوان ما ليس بأبيض خالص ولا بأسود خالص، بل بين بين.

ولا عجب أن نجد فئة من الناس، إذا وجدت فردا أو مجتمعا لا تتحقق فيه صفات الإيمان الكامل، بل توجد فيه بعض خصائص النفاق «أو أخلاق الجاهلية، سارعت إلى الحكم عليه بالكفر المطلق، والنفاق الأكبر، أو الجاهلية المكفرة؛ لاعتقادهم أن الإيمان لا يجامع شيئا من الكفر أو النفاق بحال، وأن الإسلام والجاهلية ضدان لا يجتمعان.

وهذا صحيح إذا نظرنا إلى الإيمان المطلق أي الكامل والكفر المطلق، وكذلك الجاهلية والنفاق.

أما مطلق إيمان وكفر، أو مطلق إيمان ونفاق، أو مطلق إسلام وجاهلية، فقد يجتمعان، كما دلت على ذلك النصوص وأقوال السلف رضي الله عنهم..[13]

فقد أخرج الإمام البخاري أن النبي ﷺ قال لأبي ذر : «إنك امرؤ فيك جاهلية»،[14] مع سابقته وصدقه وجهاده، لكنه تصرف في موقف تصرفا يخالف الآداب التي جاء بها الإسلام، فاتصف بالجاهلية في تلك اللحظة..

وأخرج الإمام مسلم، وأبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شيعة من نفاق.[15]

وأخرج الإمام أحمد مرفوعا في المسند : القلوب أربعة : قلب أغلف، فذاك قلب الكافر، وقلب مصفح وذاك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر، فذاك قلب المومن، وقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل شجره يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه أغلب...[16]

فالمعتزلة والخوارج هم الذين قالوا لا يجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب، ومعصية يستحق بها العقاب؛ ولا يكون الشخص الواحد محموداً من وجه، مذموماً من وجه، ولا محبوبا مدعوا له من وجه، ومسخوطاً ملعوناً من وجه...[17]

ومن تلك الأصول الاعتقادية تسرب التنطع والغلو إلى بعض فئات شباب الصحوة، فشذت مواقفهم عن التسامح الذي هو السمة المميزة للمسلمين عن الغلاة من أهل الكتب السماوية الذين سجل القرآن الكريم الخطاب الرباني لهم، علنا نتعظ ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق...﴾.[18]

إن الصحوة الإسلامية ظاهرة القرن الخامس عشر الهجري، بقدر ما تثلج صدر المسلم، تأخذه الشفقة حذر الكبوة، لأن الشباب المسلم الذي هو لحمتها وسداها، هو في حاجة إلى من يؤطره ويبصره العواقب الذي لا تتفق ومنهج الدعوة الحق، فقد وجه الرسول ﷺ الدعاة، خاصة الشباب فقال : يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا.[19] وقال إن هذا الدين متين فأغلوا فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى.[20]

---

13) مجموع فتاوي ابن تيمية ج 7 ص 302 ـ 310.
ـ ظاهرة الغلو : يوسف القرضاوي ص 41.

14) صحيح الإمام البخاري : كتاب الإيمان : باب المعاصي دون أمر الجاهلية.

15) صحيح الإمام مسلم : كتاب الإمارة : باب من مات ولم يغز، سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب كراهية الغزو.

16) مسند الإمام أحمد ج 3. 173. ط.م. الإسلامي.

17) مجموع فتاوي ابن تيمية ج 7. ص 302. 310.
ـ ظاهرة الغلو : يوسف القرضاوي ص 44.

18) سورة النساء : آية : 171.

19) صحيح الإمام البخاري : كتاب الأداب : باب قوله عليه السلام : يسروا ولا تعسروا.
وأخرجه أيضا في كتاب العلم من جامعه الصحيح.

20) مسند الإمام أحمد ج 3. ص 199.

ولقد ذهب الحماس ببعض الشباب أن نصبوا أنفسهم قضاة يجرحون ويعدلون، لا بمنهج المحدثين، ولكن بأهواء من يتجرأ فيصف هذا بالإيمان وهذا بالكفر؛ وفرق كبير بين القاضي والداعية، فالقاضي لابد وأن يبحث عن حقيقة الناس ويعرف مواقفهم ليقضي لهم أو عليهم، والناس أمامه قبل إصدار حكمه متهمون...

أما الداعية فهو يدعو الجميع، ويبلغ للجميع، ويعلم الجميع، يصدع بكلمة الإسلام ويدعو إليها كل الناس، ليهتدى من كان ضالا، وليتوب من كان عاصيا، وليسلم من كان كافرا... والداعية لا يعمل على عقوبة المخطئ، وإنما يعمل على هدايته، ولا يتعقب المرتد ليقتله، بل يبحث عما يدرأ عنه الحد، ليرده إلى حظيرة الإسلام...[21]

وليذكر شباب الصحوة الإسلامية أحوالهم قبل أن يهتدوا، هل لفظتهم المجتمعات الإسلامية ؟ لقد صبرت عليهم إلى أن هداهم الله تعالى وتفتحت بصائرهم **﴿كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم﴾**.[22]

﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً...﴾.[23]

على أن تلك المواقف الشاذة ليست عامة لدى شباب الصحوة الإسلامية، فهناك شباب مسلم نشئ تنشئة إيمانية،، فأشرب حبّ الله ورسوله والمومنين، وتجاوز نزوات الشباب إلى ما وعد الله به الذين نشأوا في طاعته حيث قال رسول الله ﷺ : من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله : شاب نشأ في طاعة الله..[24]

إن صفوة من شباب الصحوة الإسلامية يذكرنا إيمانها واحتسابها، وسط لجي من الغفلة، وظلمات من العتو، بالرعيل الأول من شباب المهاجرين والأنصار.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفذ وصية الرسول ﷺ ليلة الهجرة، وقريش قد وسوس لها الشيطان بكل شر مستطير..

مصعب بن عمير رضي الله الذي هجر حياة الترف في محيط الكفر إلى حياة الشظف في مأوى الإيمان، معبدا الطريق وممهدا لنشأة الدولة الإسلامية....

وبعد الهجرة ضرب المثل في الاستشهاد وفي سبيل الدعوة الإسلامية كتيبة شباب القراء : شهداء بئر معونة..[25]

إن إنكار الذات والصبر على المكاره والصفح الجميل، هي الصفات التي يتمنى كل مسلم أن يتحلى بها شباب الصحوة، أما تزكية النفس واعتبار الآخرين ضالين أو مضلين، فمما يحبط الأعمال، إذ قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ومن قال : أنا مومن فهو كافر، ومن قال هو عالم فهو جاهل، ومن قال هو في الجنة فهو في النار أهـ.[26]

---

21) ظاهرة الغلو : يوسف القرضاوي ص 7.
22) سورة النساء : آيه : 94.
23) «آل عمران : آيه : 103.
24) الموطأ : كتاب الشعر : باب التحاب في الله، والحديث متفق عليه...

25) صحيح الإمام البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الرجيع.
وفي صحيح الإمام مسلم : كتاب المساجد : باب استحباب القنوت.
26) رواه الإمام أحمد وابن مردويه : تفسير ابن كثير : سورة النساء : آية : 49.

الدروس الحسنية الرمضانية

ترأس مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، ـ نصره الله وأيده ـ بقصره العامر، خلال شهر رمضان المعظم سلسلة من الدروس الدينية، ألقاها بين يدي جلالته، صفوة من علماء العالم الإسلامي.

وقد افتتح هذه الدروس السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية العلامة الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري بالتطرق إلى موضوع :

المدونة التشريعية للطفل في الإسلام انطلاقا من قول الله تعالى :

﴿لله ملك السماوات والأرض، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً، ويجعل من يشاء عقيماً، إنه عليم قدير﴾.

(سورة الشورى (49/50)).



أمير المؤمنين يفتتح الدروس الحسنية.

قضايا و أخبار

وتناول العلامة الأستاذ محمد بهجت الأثري من العراق موضوع :

الإسلام والسلام.

انطلاقا من قوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، إنه لكم عدو مبين، فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم﴾.

(سورة البقرة (209/208)).

أما الأستاذ عبد السلام جبران المسفيوي فقد كان عنوان موضوعه :

أوصاف عبد الرحمان

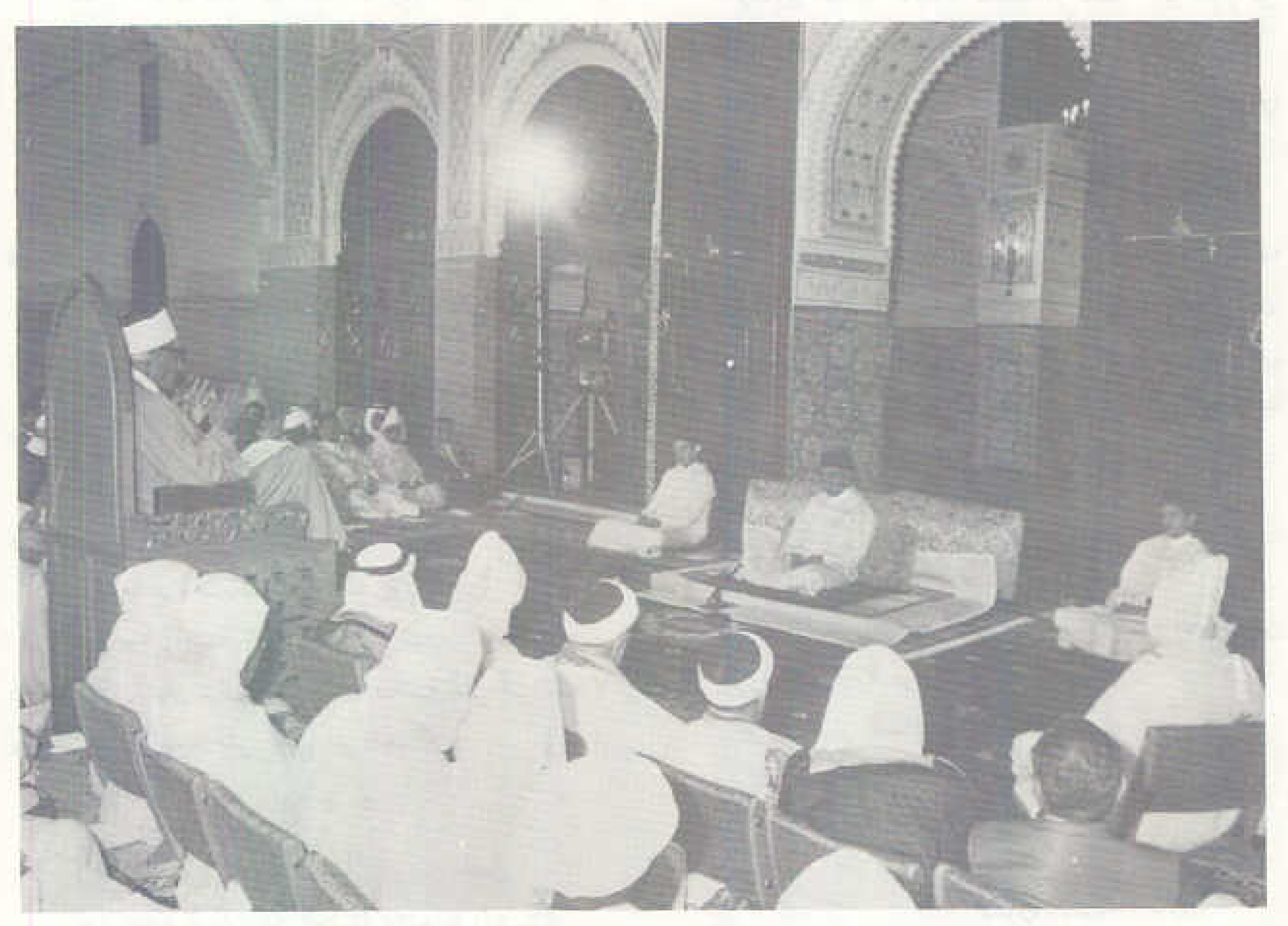
انطلاقاً من قول الله تعالى :

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.

إلى قوله تعالى :

﴿خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما﴾.

(سورة الفرقان ـ الآيات (76/63)).



العلامة محمد بهجت الأثري من العراق يتشرف بإلقاء درسه بين يدى أمير المومنين

قضايا وأخبار

وتناول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة موضوع :

أثر العمل الصالح في انفراج الشدائد.

انطلاقا من قول الله تعالى :

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، سيجعل لهم الرحمن ودا﴾.

(سورة مريم ـ الآية : (96)).

☆ ☆ ☆

أما الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود فقد كان موضوعه :

القراءات القرآنية

انطلاقا من حديث رسول الله ﷺ :

«إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه».

☆ ☆ ☆

وتناول العلامة الأستاذ محمد الحبيب بلخوجة موضوع :

الفقه الإسلامي يهدي إلى الرشد ويقضي بالعدل ويحل مشاكل الفرد والجماعة.

انطلاقاً من حديث رسول الله ﷺ

«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله.

☆ ☆ ☆

وكان موضوع العلامة الأستاذ إدريس خليل :

في مفهوم الزمان بين الحقيقة والمعرفة الإنسانية.

انطلاقاً من قول الله تعالى :

﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع، أفلا تتذكرون ؟ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾.

(سورة السجدة (5/4)).

☆ ☆ ☆

وتناول العلامة الأستاذ محمد الأحمدي أبو النور من جمهورية مصر العربية موضوع :

كيف صاغ القرآن الكريم، شخصية جدكم المصطفى ﷺ.

انطلاقاً من قول الله تعالى :

﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم، دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا، وما كان من المشركين، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين﴾. الأنعام 161 ـ 163.

☆ ☆ ☆

وتناول العلامة الأستاذ عبد الله الطيب من الجمهورية السودانية موضوع :

بركة القرآن الحكيم على العالم القديم والحديث.

انطلاقا من قول الله تعالى :

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

(سورة الأنبياء (107)).

☆ ☆ ☆

قضايا و أخبار

وكان موضوع الأستاذ العلامة محمد فاروق النبهان :
دور التفسير في تجديد الأحكام الشرعية.
انطلاقاً من قول الله تعالى :
﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم، ولعلهم يتفكرون﴾.
(سورة النحل (44)).

☆ ☆ ☆

أما الأستاذ إبراهيم محمود جوب من السنغال فقد تناول موضوع :
إلى أين تسير إفريقيا المسلمة ؟
انطلاقاً من قول الله تعالى :
﴿هو الذي بعث في الأُميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.
(سورة الجمعة (2)).

☆ ☆ ☆

وتناول العلامة الأستاذ محمد الزيزي موضوع :
البعث والحشر بين النظر العقلي والإيمان الديني.
انطلاقاً من حديث رسول الله ﷺ :
«ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم، وإن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن...» الحديث.

☆ ☆ ☆

أما العلامة الأستاذ عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والمقدسات بالمملكة الأردنية الهاشمية فقد تناول موضوع :
الإسرائيليات في التفسير
انطلاقاً من قول الله تعالى :
﴿وكلاّ نقص عليك من أبناء الرسل ماتثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين﴾.
(سورة هود (120)).

وقوله سبحانه :
﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾.
(سورة يوسف (3)).

☆ ☆ ☆

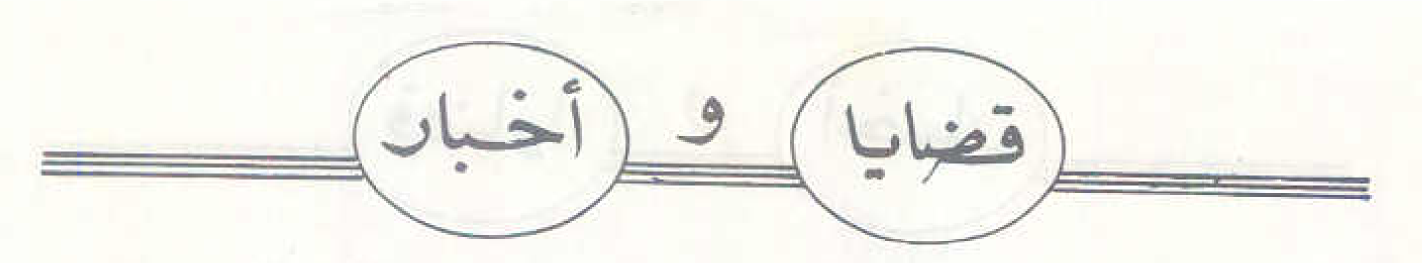
وتناول العلامة الأستاذ محمد العثماني موضوع :
السلام في مفهوم الإسلام ومنظور العصر
على ضوء ما رواه الإمام البخاري قال :
باب : «السلام من الإسلام».
قال عمار بن ياسر : ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار.

☆ ☆ ☆

وجاء دور الأستاذ العلامة عبد السلام جبران المسفيوي ليكمل موضوع درسه الذي سلف والمتعلق بأوصاف عباد الرحمن.

☆ ☆ ☆

وكان آخر الدروس الدرس الذي تناول فيه الأستاذ محمد بن حماد الصقلي موضوع :
تصحيح النظرة في الموازاة بين التمسك بكتاب الله ومحبة الشرفاء أهل بيت رسول الله ﷺ.
انطلاقاً من حديث رسول الله ﷺ :
«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».



بعثات إلى الخارج

ترأس السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بمقر الوزارة أواخر شهر شعبان اجتماعاً خصص لإعداد بعوث العلماء الموفدة إلى الجالية المغربية بالمهجر للقيام بمهمة الوعظ والإرشاد خلال شهر رمضان الأبرك.

وفي هذا الاجتماع توجه السيد الوزير بتوجيهاته إلى العلماء الشباب الذين سهرت الوزارة على تكوينهم بالمعهد العالي لتكوين الأطر الدينية بالدار البيضاء، وهيأت لهم قضاء فترة تدريبية بالأزهر الشريف، وفترة تمرينية بمساجد المملكة.

ومما جاء في كلمته : يحق لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تفخر بهؤلاء الشباب الذين حققوا لنا الظن فيهم، وعكفوا على الدرس والتحصيل، وأعطوا النتائج المشرفة، وكانوا في المستوى الذي أعطانا القناعة الكاملة بصلاحيتهم للقيام بهذه المهمة.

وبعد أن أبرز العناية الخاصة التي يوليها أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني لشؤون الجالية المغربية بالمهجر عموماً، وما يتعلق بضمان توجيهها الديني التوجيه السليم خصوصاً، ذكر بالجهود التي تبذلها الوزارة في هذا المضمار، ومنها إيفاد مئة من معلمي اللغة العربية لفائدة أبناء جاليتنا بالمهجر وفق الخطة التي أمر بها صاحب الجلالة في خطابه الكريم يوم 23 فبراير 1984.

وحرصاً من الوزارة على ضمان نجاح هذه التجربة أنشأت جهازا خاصا بالوزارة للتنسيق ومتابعة أعمال هؤلاء المعلمين وتزويدهم بالوسائل الضرورية لعملهم من كتب ونشرات وغيرها، وفي هذا السياق أوفد السيد الوزير بعثة برئاسة السيد الكاتب العام للوزارة لتدارس مشاكل الجالية وحاجياتها، وتوفير الظروف المناسبة لعمل هؤلاء المعلمين وتذليل جميع العقبات.

وحث السيد الوزير مبعوثي الوزارة من العلماء الشباب على التعاون مع معلمي اللغة العربية بالمهجر ودعا لهم بالنجاح والتوفيق حتى يكونوا عند حسن ظن أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره.

وفيما يلي لائحة بأسماء السادة العلماء والأقطار التي توجهوا إليها.

البعثة الأولى

فرنسا :

السيد المعقول مصطفى، باريز.
السيد عدلي محمد، مارسيليا.
السيد تولي إدريس، ليون.
السيد عبري بن صابر، بوردو.
السيد بختي حسن، كورسيكا.

بلجيكا :

السيد ولد السادنيا رشيد، بروكسيل.
السيد الخيروني محمد، أنڤيرس.
السيد تميم العربي، ليياج.

هولندا :

السيد الدبدي أحمد، أمستردام.
السيد الزبيري حميد، روتردام.

ألمانيا :

السيد لكدع لحمادي، بون.
السيد الشطيبي عبد القادر، دوسلدورف.

إسبانيا :

السيد الصباري محمد، مدريد.
السيد المعتصم مولاي أحمد، مالقا.
السيد أبركان عبد الرحيم، جبل طارق.

البعثة العلمية الثانية المتوجهة إلى فرنسا :

الأستاذ السعيد بوركبة، ليل.
الأستاذ مصطفى الصغيري، بويني.
الأستاذ محمد الصوفي، ستراسبورغ.
الأستاذ الحبيب الشرقاوي الناصري، مونبوليي.

البعثة الثالثة المتوجهة إلى إفريقيا :

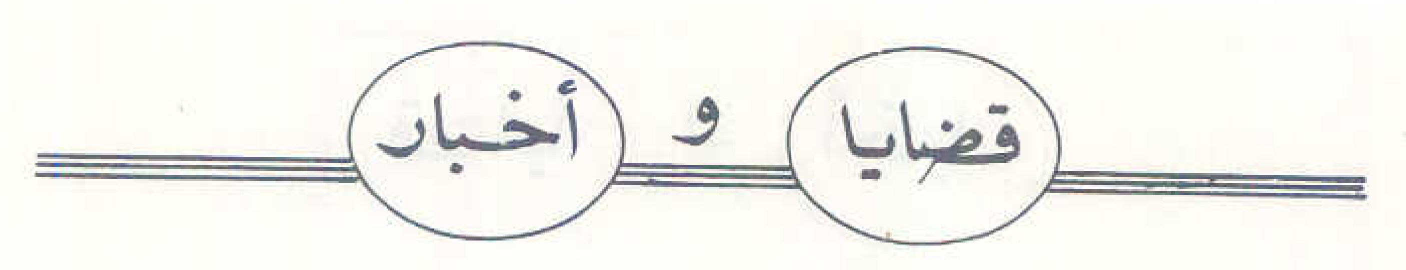
الأستاذ محمد الكبير العلوي، السينغال.
الأستاذ عبد السلام الأدغيري، السينغال.
الدكتور التهامي الراجي الهاشمي، إفريقيا الوسطى.

دورة عادية لرابطة علماء المغرب والسنغال

انعقد في أواخر شهر رمضان المعظم بمقرر رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط، اجتماع لأعضاء الرابطة بحضور رؤساء المجالس العلمية بالمملكة ونخبة من علماء السنغال.

وكان في طليعة المواضيع التي تم تدارسها الالتفاتة الملكية السامية بتشجيع المؤسسات الإسلامية، ومن بينها رابطة علماء المغرب والسنغال، عندما أعلن جلالته عقب الدرس الذي ألقاه بين يديه الأمين العام للرابطة، أن معاهد المغرب وكلياته ترحب بالطلبة الأفارقة لدراسة اللغة العربية وتلقي العلوم بها.

وقد أجمع المجتمعون على الإشادة بهذه الالتفاتة المولوية السامية التي ترمز إلى عناية صاحب الجلالة بالعلم والعلماء، وحرصه على التمكين للعربية ونشر الإسلام، وتوثيق عرى التعاون بين المغرب والسنغال اللذين يوحد بينهما الدين والمذهب والتاريخ المشترك.



نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خلال شهر رمضان الأبرك

أعدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لمناسبة شهر رمضان المعظم، برنامجا حافلا بأنشطة متعددة، وهكذا وإضافة إلى البعوث التي أوفدتها إلى خارج الوطن، أشرفت على تنظيم سلسلة من الدروس الدينية بمختلف مساجد المملكة، وصلت إلى حوالي 20 000 درسا خلال هذا الشهر المبارك.

كما أشرفت على عدة محاضرات وندوات لفائدة الشباب وقواتنا المسلحة الملكية.

ومن الندوات التي قدمتها التلفزة المغربية وأشرفت على إعدادها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- **ندوة حول رمضان**

بمشاركة الأساتذة :

عمر بنعباد.
محمد الرزكي.
محمد أصبان.

- **ندوة حول شخصية المغفور له جلالة السلطان المقدس سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه.**

بمشاركة الأساتذة :

الشيخ المكي الناصري.
عبد الوهاب بنمنصور.
مولاي هاشم العلوي.

- **ندوة حول غزوة بدر**

بمشاركة الأساتذة :

محمد الأحمدي أبو المنور.
إبراهيم جوب...
محمد المختار السولامي.

- **ندوة حول ليلة القدر**

بمشاركة الأساتذة :

رضوان بنشقرون.
عمر محسن.
قاضي مسعود الحريزي.

- **ندوة حول زكاة الفطر**

بمشاركة الأساتذة :

مولاي مصطفى العلوي.
عبد الكريم الداودي.
محمد بن حماد الصقلي.

قضايا و أخبار

كما أشرفت على إعداد سبعة وعشرين درسا تحت عنوان حديث الصائم، بثتها التلفزة والإذاعة، وفيما يلي أسماء الأساتذة مع عناوين دروسهم.

1) الأستاذ محمد العوفير : **حقوق الوالدين.**

2) الأستاذ محمد أصبان : **الإيمان والحياة.**

3) الأستاذ محمد الرزكي :

الإنفاق في سبيل الله.

4) الأستاذ عبد السلام الادغيري

دين الإسلام نعمة الله.

5) الأستاذ قاضي مسعود الحريزي :

صفات أهل الجنة.

6) الأستاذ عمر محسن : بر الوالدين.

7) الأستاذ رضوان بن شقرون : **التوبة.**

8) الأستاذ الحسن اليندوزي : **التوبة.**

9) الأستاذ مصطفى الصغيري : **الكلمة الطيبة.**

10) قدور الورطاسي : **القناعة.**

11) أحمد العدوي : **الإيثار.**

12) ج الحبيب الناصري الشرقاوي :

الاستقامة (قل آمنت بالله ثم استقم).

13) عمر بن عباد : **الإخوة الإسلامية.**

14) عبد اللطيف عبضاري الحداوي :

الدين النصيحة.

15) مولاي المصطفى العلوي : **رمضان والقرآن.**

16) عبد الرزاق أسكندر أناتول شرح : **الحديث : لن تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن** أربع.

17) أحمد البودراري : **نصائح إلى الشباب الإسلامي.**

18) عبد الكريم الداودي : **شرح الحديث (اتق المحارم).**

19) عبد الحي العمراني : **فضل تلاوة القرآن.**

20) محمد العثماني : **الإسلام أخلاقا.**

21) الأستاذ محمد حماد الصقلي : **أصناف المؤمنين التالين لكتاب الله.**

22) الأستاذ عبد الغفور الناصر : **تفسير سورة العصر.**

23) الأستاذ عبد السلام جبران المسفيوي : **حكم الصيام وحكمته.**

24) الأستاذ محمد الشنتوف : **الخصال الحميدة في القرآن.**

25) الأستاذ المقدم بوزيان : **سماحة الإسلام ويسره.**

26) الأستاذ الغازي الحسيني : **الهداية إلى الحق.**

27) الأستاذ محمد عبد الكبير البكري : **خيار عباد الله الذين إذا رأوا ذكر الله،** (وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت) الحديث.

تعقيب على:

عودة ابن تاشفين إلى المغرب بعد الزلاقة

السيدة الزميلة عصمت دندش

تحية تقدير وودّ

وبعد، فقد قرأت في العدد السابق من مجلة دعوة الحق رقم 262، جمادى الأولى والثانية 1407 = يناير - يبراير 1987 مقالاً لكم.

وقد استوقفتني فيه فقرة تتعلّق بالأسباب التي حدت بالسلطان يوسف بن تاشفين للتعجيل بالعودة إلى ديار المغرب في أعقاب وقعة الزلاّقة...

فعلاوة على الأسباب التي رددها المؤرخون الذين تناولوا هذه الفترة من عهد المرابطين والتي كانت - على ما يذكرون - ترجع لأسباب عاطفية : رزء العاهل المرابطي في أحد أبنائه... علاوة على ذلك قدمتم لنا سبباً آخر... كان يتخلص في تحرك صاحب قلعة بني حماد (الجزائر) ضد المغرب مغتنماً فرصة غياب ابن تاشفين في الأندلس...

وقد وجدتم في رسالةٍ وجهها ابن تاشفين إلى صاحب القلعة وأوردها ابن بسام في الذخيرة، وجدتم فيها ما يعزّز تلك الأطروحة المبتكرة... التي تقول : إن يوسف بن تاشفين عجّل بالعودة لمواجهة صاحب القلعة...

وأريد في هذا الموضوع - وأنا أقدر جهدكم - أن أذكركم ببعض المصادر والمراجع التي لا تسمح، في نظري، بما استنتجتموه وما ذهبتم إليه...

إن الرسالة التي كتبها ذو الوزارتين ابن القصيرة (وليس ابن الجد كما قلتم) عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كانت بعد مرور فترة على عودة ابن تاشفين...

وهي تشير لبعض الاحتكاكات التي كانت تواجه بين الناصر بن علناس وبين ابن عمه الأمير تميم بن المعز، مما أفاض فيه المؤرخون سواء منهم القدامى أو المعاصرون...

ولعل في ورود اسم أبي عبد الله محمد بن يوسف في رسالة ابن بسام، بل لعل في ورود اسم صاحب رومة أثناء الرسالة ما يدفع بكم إلى المزيد من البحث عن الظروف الحقيقية التي تم فيها تحرير الخطاب المذكور، سيما وأنتم أقرب إلى الخزانة الأندلسية الحيّة !

وأرجو، بهذه المناسبة، أن أذكركم بما أوردته في المجلد الخامس من كتابي **«التاريخ الدّبلوماسي للمغرب»** عند الحديث عن العلاقات بين المرابطين والحماديين... فهناك يمكن لكم أن تقفوا على نص وصورة الوثيقة التي تأتي بفحوى الرسالة الموجهة من لدن البابا كَريكَوار إلى صاحب قلعة حماد : الناصر بن علناس وكلها إطراء وثناء على موالاته... أو بعبارة أخرى على معاداته للأمير تميم بن المعز الذي كان يضايق النصرانية على سواحل صقلية بمساعدة من المرابطين...

إنني أعتقد أن الربط بين الرسالتين، رسالة ملك المغرب، ورسالة البابا ضروري لمحاولة الوصول إلى الحقيقة...

وهكذا يظهر أن سخط المرابطين على الناصر بن علناس كان بسبب موالاته لملك روما ومعاداته لتميم بن المعز... ولهذا فقد وجدنا يوسف بن تاشفين يقوم، فور وفاة الناصر، بربط الصّلة مع ولده المنصور على ما نقرأه في تاريخ ابن الأثير...

وملخص كلّ هذا أن سبب تعجيل السلطان يوسف بن تاشفين بالعودة على ما يبدو عائلي وليس بسياسي.

هكذا أرى، لكني ما أزال بحاجة إلى من ينير طريقي حول هذا الموضوع الدقيق الذي سبق لي أن أثرته علانية في تدخلي أثناء اللقاء الدولي الذي تم أخيراً بالمغرب (أول أبريل 1987) حول «الوثائق الديلوماسية للمغرب كمصدر من مصادر تاريخ إفريقيا...».

وتقبلوا احتراماتي.

د. عبد الهادي التازي

فهرس العدد 265

□ أبحاث ومقالات

□ ديوان المجلة :

□ نصوص محققة

□ آراء ومناقشات

مطبعة فضاله . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3





من المآثر الخالدة في العهد الحسني الزاهر دار الحديث الحسنية.